الرحلات الهندية

الشمال الشرقي من الهند

رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

شمال شرق الهند - الرياض .

٢٠٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢ - ٣٠٦ - ٣٩ - ٩٩٦٠

١- الإسلام - الهند ٢- المسلمون في الهند

أ- العنوان

ديوي ٩١٥٤, ٢١٠ ٢٢/١٦١٥

رقم الايداع ٢٢/١٦١٥

ردمك : ٢ - ٣٠٦ - ٣٩ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم



كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١)- في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢)- رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣)- مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤)- جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥)- رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦)- صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين – نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧)- مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين – نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨)- إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩)- زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية – طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠)- شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين – الرياض – المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١)- في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢)- رحلات في أمريكا الوسطى – المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣)- إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤)- على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥)- على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦)- في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧)- في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨)- بقية الحديث عن إفريقية – مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩)- جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠)- جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١)- داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢)- بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣)- الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤)- مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥)- جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦)- في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧)- بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨)- بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩)- مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠)- ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١)- كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢)- في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣)- كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤)- ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥)- أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦)- على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧)- نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨)- بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩)- من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠)- سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١)- يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢)- نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣)- بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤)- قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥)- حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦)- المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧)- في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨)- رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩)- إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠)- أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١)- في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢)- إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣)- حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤)- زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥)- سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور – مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦)- راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧)- في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية – طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨)- العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية – طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩)- في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية – طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠)- هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١)- من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية – طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢)- بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال – نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣)- بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤)- مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥)- تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦)- نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧)- ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨)- نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩)- في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠)- قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية. مطابع المسموعة في الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧١)- مشاهدات في تايلند، مطبعة النرجس في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢)- مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطبعة النرجس في الرياض.

(٧٣)- فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٤)- المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥)- في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦)- بلاد البلطيق.

(٧٧)- العودة إلى ما وراء النهر: رحلة في وسط آسيا وحديث عن المسلمين.

(٧٨)- الشمال الشرقي من الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٧٩)- معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٠)- أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨١)- الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٢)- كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٣)- نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٤)- مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٥)- سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٦)- صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٨٧)- العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٨٨)- نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨٩)- المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٠)- مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩١)- كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٢)- المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٣)- مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٤)- رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٩٥)- الدعاة إلى الدعوة: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٦)- واجب المسلمين في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٩٧)- « العالم الإسلامي: واقع وتوقعات » نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(٩٨)- الدعوة وإعداد الدعاة.

(٩٩)- حكم العوام.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلق أجمعين من ماء وطين. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا ومولانا عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن هذا الكتاب أحد الكتب التي ألفتها أثناء زياراتي للهند، وكنت جمعت ما كتبته عن الهند حتى غدا كتاباً في مجلدات عدة، فرأيت من واقع ما جريت أن القراء لا يقبلون على الكتاب إذا كان كبير الحجم، ضخم الجرم، فقسمته إلى عدة كتب، اختص كل كتاب منها بمنطقة أو ناحية من نواحي الهند، مثل كتاب " شمال الهند "، و" جنوب الهند "، و" غرب الهند "، و " الاعتبار في السفر إلى ماليبار "، و "وسط الهند ".

ولذلك يلاحظ القارئ الكريم أن كتابة بعض فصول هذا الكتاب متأخرة عن كتابة فصول أخرى، ومرد ذلك إلى كون الرحلات التي قمت بها للهند تمت في أزمان متفاوتة، ولكن ذلك - في ظني - لا يعيب الكتاب؛ لأنني ذكرت تاريخ كل رحلة أو فصل من الرحلة باليوم والشهر والسنة، فمن ذلك يعرف القارئ الكريم التفاوت في الزمن بينها.

وسبب آخر، هو أنني طبعت عدة كتب من كتبي في الرحلات، ناهز عددها سبعين كتاباً من مجموع كتبي في هذا الفن التي جاوزت مائة وستين كتاباً حتى الآن.

وقد صارت كتب الرحلات إلى الهند من الكتب المؤجلة، وما ذلك إلا لكون الهند بلاداً قريبة منا، وأن الصلات ما بينها وبين بلداننا العربية هي وثيقة وقديمة، ربما يعرف كثير من بني قومنا كثيراً منها، وبخاصة ما كتبه أسلافنا العرب عن الهند، الذي يمكن أن يربط ما بينه وبين حاضر الهند، وقد فعلت ذلك حينما وجدت المناسبة للحديث عنه، مع أن كتابي هو

كتاب رحلة ومشاهدات، ولكن لا يمكن الفصل فصلاً تاماً بين ماضي الناس في هذه البلاد، وبين حاضرها، لا سيما عند التطرق إلى الحديث عن العادات الغريبة والصفات غير المستساغة عند غير الهنود، وذلك خلافاً لما اعتدت عليه من الكتابة في كتب الرحلات دون الرجوع إلى التاريخ القديم للبلاد التي أذهب إليها.

ولهذا السبب وجدتني وقد قرأت شيئاً مما كتبه أسلافنا عن الهند، أنقل قليلاً من ذلك في أماكن معدودة محدودة من هذا الكتاب.

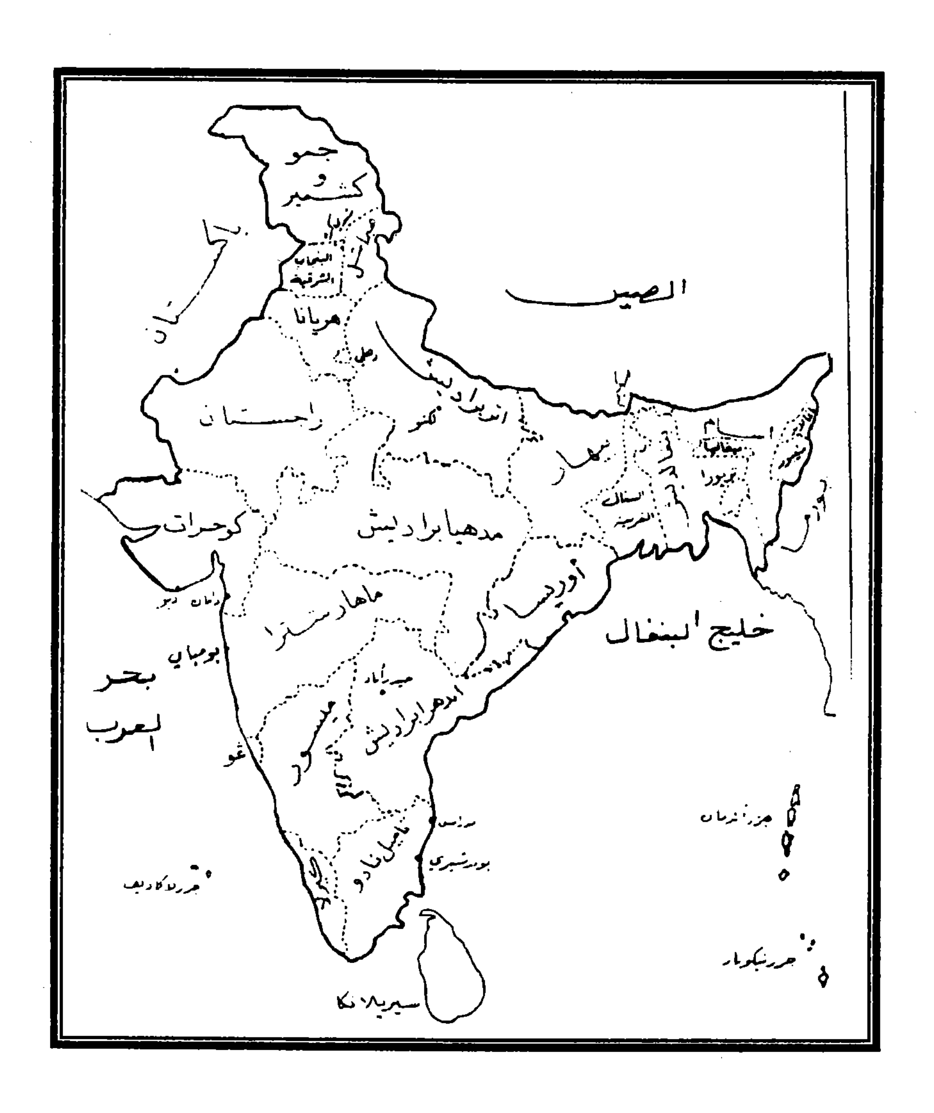
وهذا الكتاب يختص بالكلام على الشمال الشرقي من الهند، فهو يتكلم عن أماكن في ولاية (بيهار) وأخرى في ولاية (إترا براديش) التي وإن كان معنى اسمها (الولاية الشمالية) فإن المنطقة التي تكلمت عليها في هذا الكتاب هي واقعة في الجهة الشمالية الشرقية من وسط الهند، وليست في الشمال الحقيقي من الهند.

وعلى أية حال فإن الأمر هو أمر اصطلاح، قصد منه في الأصل ما ذكرته من تقسيم الكتابة عن الرحلات في الهند إلى أقسام، و (لا مشاحة في الاصطلاح) كما يقول الأصوليون القدماء.

وبالله التوفيق.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



الولايات الهندية

ولاية بيهار



ولاية بيهار:

تحتل ولاية بيهار المرتبة الثالثة في الهند بين الولايات الهندية من ناحية وجود المسلمين فيها، وتقع هذه الولاية بين ولايتي اترابراديش وبنغال الغربي، بينما يقع الجانب الشمالي منها في حوض نهر كنكا أو (الكنج) الذي يقدسه الهنادكة.

ومساحتها مائة ألف وثلاثة وسبعون ألفاً وسبعة وسبعون وثمانمائة كيلو متر مربع، وعدد من فيها من السكان المواطنين – حسب ما جاء في إحصاء عام ١٩٩١م - ستة وثمانون مليوناً وثلاثمائة وثمانية وثلاثون ألفاً وثمانمائة وثلاثة وخمسون مواطناً، ويسكن ثلاثة عشر شخصاً في ولاية بيهار من كل مائة ساكن من سكان الهند، ونسبة وجود المسلمين في بيهار من عام ١٩٥١م إلى عام ١٩٨١م هي ما يلي:

العام	عدد المسلمين	النسبة المئوية بين السكان
١٩٥١م	٤,٣٧٣,٣٦٠	٪١١,٢٨
١٩٦١م	٥,٧٨٥,٦٣٠	٪١٢,٤٥
١٩٧١م	٧,٥٩٤,١٧٣	٪١٣,٤٨
١٩٨١م	٩,٨٧٤,٩٩٣	٪١٤,١٣

وتزيد نسبة وجود المسلمين في سائر ولاية بيهار على ١٢,٣٥ في المائة باعتبار نسبتهم الوطنية في الهند، ويقدر أنه يبلغ عدد المسلمين في بيهار في عام ١٩٩١م اثني عشر مليوناً وسبعمائة ألف وثمانية وثلاثين ألفاً وسبعمائة وواحداً وأربعين شخصاً، عن طريق زيادة ٢.٩٪ المتوقعة في وجود المسلمين خلال عام ١٩٨١م.

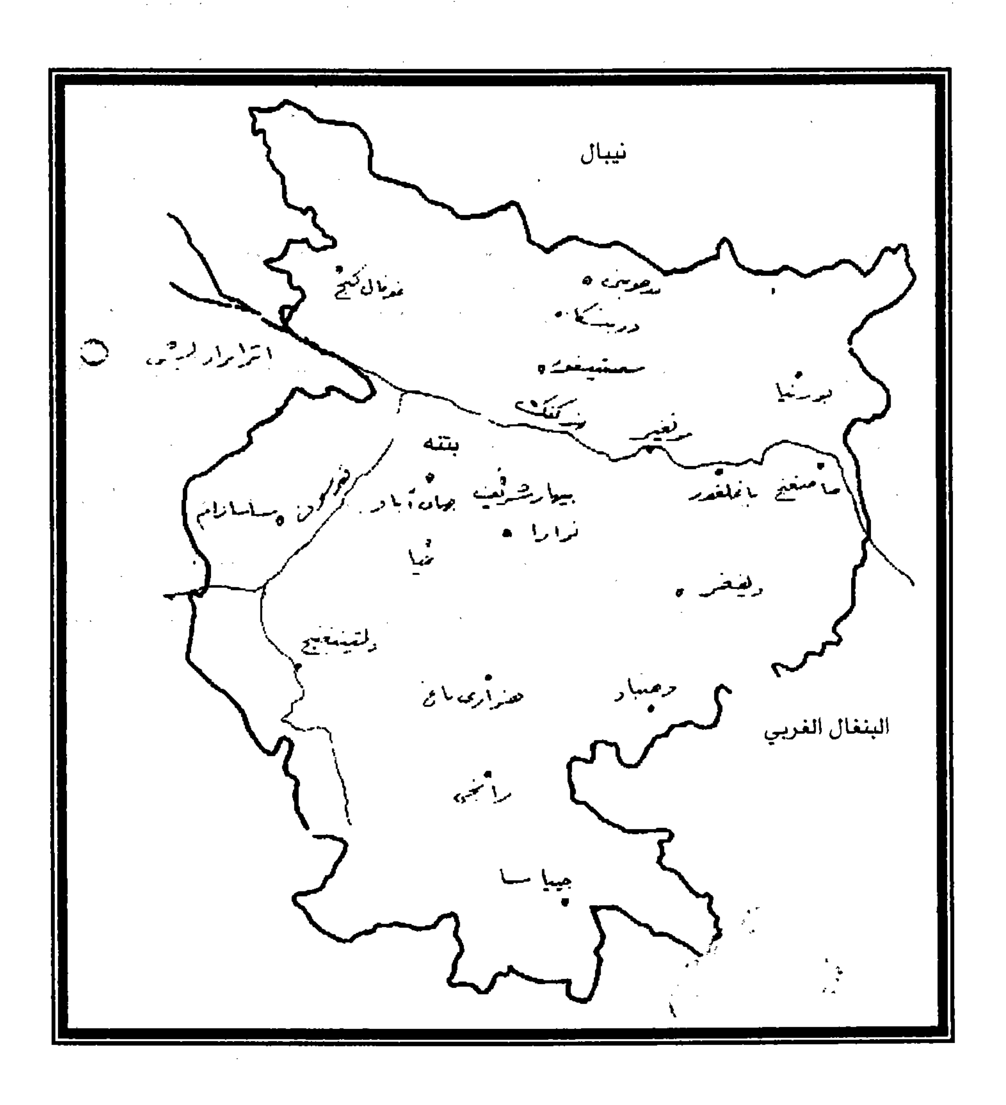
وبالنسبة لسائر القوميات في الولاية فقد كانت هناك سبع محافظات

وإحدى وثلاثون مديرية في ولاية بيهار إبان الإحصاء الذي أجري في عام ١٩٨١م، بينما كانت فيها ثلاث عشرة واثنتان وأربعون مديرية في أوائل عام ١٩٩١م، تكونت مديريات مدهي بورا، كهكريا، كشن غنج، وديوكهر، كدًا، صاحب كنج جهان آباد، لوهردكا، كملا، ومديريات سنغ بهومي الشرقية البالغ عددها إحدى عشرة مديرية بعد الإحصاء الذي أجري في عام ١٩٨١م، وكونت في الأيام الأخيرة مديريات أخرى من كرهوا، وجهبرا، وبوكارو، وسيول، وبذلك بلغ عدد المديريات في ولاية بيهار ستاً وأربعين مديرية.

كانت مديرية بورنيه أعظم المديريات في ولاية بيهار من ناحية وجود المسلمين في عام ١٩٨١م، وعدد مواطنيها كان إذ ذاك مليوناً وأربعمائة ألف وخمسة وتسعين ألفاً وخمس مائة وسبعة وخمسين مواطناً. وكان المسلمون يشكلون نسبة ٤١,٥٩٪ في المائة، بينما كانت نسبة المسلمين في مديرية بورنيه خلال شهر يناير من عام ١٩٩٠م ٣٢,٧٣٪ ، وفي مديرية أرريا ٣٨,١٠٪، وفي كشن غنج ٦٤,٧٥٪، وأصبحت مديرية كشن غنج بعدما انقسمت بورنيه إلى ثلاث مديريات ذات أغلبية إسلامية، وبذلك بلغ عدد المديريات التي تشكل أغلبية المسلمين في البلاد أربع عشرة مديرية.

ونسبة المسلمين في مديرية بورنيه ٤١,٥٩٪، وفي دربنقها ٢١,٥٥٪، وفي جمبارن الغربية ١٩,٦٣٪، وفي سيتامرهي ١٩,٤٥٪، وفي جمبارن الشرقية ١٧,٦١٪، وفي سيوان ١٦,٥٧٪، وفي سنتهال بركنه ١٦.٤٥٪، وفي مدهوبني ١٥,٨١٪، وفي كوبال غنج ١٥,٢٢٪، وفي كريديه ١٥,٩٠٪.

ونسبة عدد المسلمين في ٣٢ مديرية من بين مديريات ولاية بيهار الحالية أكثر من عشرة في المائة ماعدا بتنه، ونالنده، وأورنك آباد، وبهوج بور، ورهتاس، ومونكير، ورانجي، وكوملا، وسنكهبهوم، ويبلغ عددها إلى عشرمديريات، ووجود المسلمين في مديرية سنكهبهوم ٤,٥٪ فقط، وهي أقل نسبة لعدد المسلمين في مديريات ولاية بيهار.



ولاية بيهار

قال السيد عبد الحي الحسني - والد السيد أبي الحسن الندوي العلامة المشهور - عن بيهار:

يحدها من الشرق بنغاله، ومن الغرب صوبة إله آباد وأوده، ومن الشمال والجنوب سلسلة الجبال، طولها مائة وعشرون ميلاً وعرضها مائة وعشرة أميال، ومجابيها (٣٨٠٧٣٠٠٠٠) دام، وأنهارها المشهورة (كنك) -أي نهر الكنغ - و(سون) و(كرم ناسه) و(بن بن) وغيرها.

ومن قلاعها العظيمة قلعة (رهتاس)، ولها سبعة (سركارات) ومائتان وأربعون عمالة، أما (السركارات) فهي (١) بهار، (٢) حاجي بور، (٣) مونكير، (٤) جمبارن، (٥) سارن، (٦) ترهت، (٧) رهتاس[1].

وأشهر مدنها مدينة (بتنه) بفتح الباء الفارسية وإسكان التاء الهندية، ويقال لها (عظيم آباد) نسبة إلى عظيم الشأن بن شاه عالم بن عالم كير، وهي على الشمال الغربي من (كلكته) على نحو خمسة وثمانين ومائتي ميل، وهي واقعة على الضفة اليمنى من (كنك) في عرض ٢٣ ، ٢٥ شمالاً، وطول ١١ ، ٨٥ شرقاً، ولها تجارة واسعة في ملح البارود والأفيون وغير ذلك. انتهى.

---

(١) هذه مصطلحات قديمة كانت معروفة في زمن المؤلف، وقد تغير أكثرها الآن.

سبب الرحلة إلى بيهار:

سبب الرحلة إلى بيهار هو تلبية دعوة كريمة قدمها إلينا أخونا الدكتور السيد عبد الحفيظ السلفي مدير (الجامعة الأحمدية السلفية) في بلدة (دربنقها)، في هذه الولاية، وكنا في رحلة إلى الهند، فلبينا الدعوة شاكرين.

ورفقاء الرحلة هم: صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، والشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود، مدير إدارة الدعوة في الخارج في تلك الإدارات، والأخ لقمان السلفي، من إخواننا طلبة العلم الهنود، وإن كان هو وأمثاله يحبون أن ينعتوا بالهنديين - على صيغة جمع المذكر السالم - لا بالهنود، لئلا يشتبه ذلك بكفار الهنود الذين هم الهنادك أو الهنادكة، وبالإنكليزية (الهندوس).

يوم الثلاثاء ١٣٩٧/٥/٨ - الموافق ١٩٧٧/٤/٢٦م :

من دلهي إلى بتنه :

غادرنا مدينة دلهي بطائرة الخطوط الهندية الداخلية من طراز بوينج ٧٣٧ عند الساعة السادسة والدقيقة الخمسين صباحاً، قاصدين مدينة (بتنه) عاصمة ولاية بيهار عن طريق (لكنهو)، وبعد ٤٥ دقيقة من الطيران في اتجاه الجنوب وصلنا لكنهو عاصمة ولاية (أترابرديش) أكبر الولايات الهندية من حيث عدد السكان، وقدموا لنا في الطائرة أربعة أقراص من البسكوت كل قرص في كيس من اللدائن، وفنجاناً من القهوة، هذا هو الإفطار الذي يدل على التقتير.

مطار لكنهو:

هذه هي المرة الثانية التي أصل فيها مطار لكنهو، ولم نجد في المطار أية طائرة أخرى، مما يدل على قلة الطائرات هناك، أما بناية المطار فهي صغيرة حقيرة بالنسبة إلى مدينة هي عاصمة ولاية سكانها ٩٠ مليوناً من السكان[1].

وبقينا في المطار ٤٥ دقيقة، ثم عدنا إلى الطائرة ثانية، فوجدنا أن نصف مقاعدها تقريباً خالٍ من الركاب.

أما المناظر التي ترى من الطائرة حول مدينة لكنهو فإنها لا تدل على الخضرة الطبيعية، بل ربما دلت على شيء من الجفاف، وذلك لبعدها عن موسم الأمطار.

وأعلنت المضيفة أن الرحلة إلى مدينة بتنه ستستغرق ٤٥ دقيقة، وقدموا لنا فيها الفطور، وهو قطعة من الخبز مع قطعة من الزبد، ثم قليلاً من

---

(١) زاد عدد سكانها عن ذلك كثيراً الآن.

الكعك وثمرة واحدة من اليوسفي والشاي.

والمضيفات من الهنديات، إلا أن واحدة منهن يظهر من شكلها أنها تنتمي للجنس الصيني، ولعلها من بلاد الهند المتاخمة لحدود الصين.

مدينة بتنه :

نزلت بنا الطائرة في مدينة بتنه عاصمة ولاية بيهار، فوجدنا في استقبالنا في المطار عدداً من إخواننا من علماء المسلمين وبخاصة أهل الحديث، الذين أحاطونا بكرمهم وعواطفهم الجياشة، ومنظر أولئك الشيوخ الكبار في السن من طلبة العلم الذين حضروا لاستقبالنا، وأخذ كل واحد منهم يعصر ذهنه ليتذكر الكلمات العربية التي يحيينا بها، أمر لا يمكن أن ينسى.

أما مطار بتنه فإنه صغير، ولم نشاهد فيه غير طائرتنا، إلا طائرة صغيرة ذات محرك واحد.

والجو فيها حار، ولكنه ليس شديد الحرارة.

ومن المطار إلى الفندق كنا نشاهد ما حولنا لا يخلو من الخضرة، ولكنه ليس في كثافة خضرة جنوب الهند، مع أن هذه المنطقة تسقط عليها أمطار كثيرة لأنها تقع إلى الجنوب من سلسلة الجبال العالية التي تحجز الرياح المحملة بأبخرة المياه التي تأتي من المحيط الجنوبي الهندي.

وكان نزولنا في فندق (بتالا أبترا) وهو من فنادق الدرجة الأولى، والمدينة ذات ماضٍ إسلامي مجيد، وإن يكن عدد المسلمين قليلاً فيها الآن، إذ كان اسمها الإسلامي القديم (عظيم آباد) ولكنه غيّر بعد ذلك إلى بتنه الذي قيل إن أصله على اسم شخص سيخي الديانة كان اسمه (بتنه صاحب)، وقيل إنه من اسم ملك قديم من ملوك الهند كان اسمه (باتني قدره)، وإنه كان في زمن أشوكا الملك المشهور.

ويبلغ سكان مدينة بتنه سبعمائة ألف نسمة، ٩٪ من المسلمين، وهي عاصمة ولاية بيهار التي يبلغ عدد سكانها ستة وثمانين مليوناً، منهم ١٤٪ مسلمون، إنها أرقام مذهلة، ذلك بأن عدد سكان هذه الولاية التي لا يعرف أكثر الناس عنها في الخارج إلا قليلاً يساوي في الوقت الحاضر أكثر من عدد سكان دولة من الدول العظمى، مثل بريطانيا أو فرنسا. ولكن الشأن ليس في الكثرة العددية، وإنما الشأن في النوعية، فنشاط الرجل الواحد في بريطانيا وفرنسا، أو قل إسهامه في حياة بلاده لا ينسب إليه نشاط الرجل الواحد وإسهامه في خدمة بلاده في الهند، وإلا لو كان الأمر مقتصراً على النسبة العددية لكانت الهند من ناحية القوة والعظمة تأتي في المرتبة الثانية بعد الصين بين دول العالم المجتمعة، أي لفاقت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي.

جولة في مدينة بتنه :

جلنا في بعض نواحي المدينة على السيارة، وبخاصة قسمها القديم، ونحن في طريقنا لزيارة مكتبة (خدابخش)، وزيارة (مدرسة إصلاح المسلمين)، فكان أول ما لاحظناه أن الهواء في البلدة هو سموم، وهي أول مكان نحسّ فيه بالسموم منذ دخولنا الهند، وهذا يدل على الجفاف النسبي، وهو أمر طبيعي إذ تقع ولاية بيهار على خط العرض ٢٤ شمالاً أي على الخط الموازي تماماً لمدينة الرياض في الموقع، إلا أن الذي يبدل من الأمر هو قربها من البحار ووجود الجبال الشمالية التي تمنع الرطوبة الآتية إليها من الجنوب والشرق من التسرب والتبدد.

ومما استرعى انتباهي لأول وهلة عدم وجود العربات التي تجرها الثيران في الشوارع، وقد حل محلها شيء لا يوجد هناك إلا على نطاق ضيق جداً، وهو ما يسمى الركشا، وهي دراجة معتادة، أي ليست بذات محرك لها ثلاث عجلات، يسوقها رجل بقدميه كما يسوق الدراجة العادية، وهي مهيأة

لركوب شخصين، وربما يكون معهما بعض الأطفال، كل ذلك يتحمل ثقله ذلك الرجل، وإذا وصلت إلى مرتفع نوعاً ما من الأرض رأيت الإجهاد بادياً على عضلات جسمه كلها، أما ملابسه من كثرة تصبب العرق فحدث عن سوء منظرها ولا حرج.



تكثر الدراجات النارية والمعتادة في شوارع المدن الهندية

ويرى المرء أرتال الدراجات من الركشا تكاد تسد الشوارع لكثرتها، ويركبها الناس على اختلاف طبقاتهم، يليها في الأهمية عربات نارية من ثلاث عجلات، معدة لإركاب ثلاثة أشخاص، وقد كتب عليها (تاكسي) استعاضة منهم بها عن سيارات الأجرة المعتادة التي لا تكاد توجد إلا على قلة.

وقد مررنا بالحي القديم من المدينة، وهو ضيق الشوارع غير مكتمل النظافة، كما مررنا بجزء منه قالوا إن أكثر السكان فيه من المسلمين، واسمه - سيجي باغ - أي سوق البستان.

وقد لاحظنا أن نساء المسلمين يتحجبن في هذه البلاد حجاباً تاماً، أما

الهندوكيات فإنهن باللباس الهندي التقليدي الذي لا يكتفي بكشف الوجه والكفين، وإنما يكشف أيضاً عن جزء من البطن والظهر.

مجنون ليلى في بتنه :

رأينا إعلاناً عن فيلم سينمائي كتب عليه بالأوردية (ليلى مجنون) بحروف عربية بطبيعة الحال، وقالوا إنه يصور قصة ليلى والمجنون، وأنهم يقبلون على مشاهدته.

مكتبة خدا بخش :

هذه مكتبة تستحق الزيارة حقاً، فهي غنية بالمخطوطات، أسسها في عام ١٨٩١ م شخص محسن اسمه (خدا بخش خان) ومعناه: عطية الله خان، وخان اسم لقبيلته، وأفنى عمره في جمع المخطوطات العربية والفارسية، وكان من بين ما عمله أن عين شخصاً من أحد البلدان العربية وجعله يجمع له المخطوطات حتى يشتريها ويرسلها إليه بأغلى الأثمان، فكان أن جمع فيها ما زاد على اثني عشر ألف مخطوط بالعربية والفارسية، بلغ عدد المخطوطات العربية نيفاً وسبعة آلاف. وابتدأت المكتبة في إصدار فهرس مفصل للمخطوطات فيها بالعربية والإنكليزية منذ عام ١٩٠٥ م، ولم ينته حتى الآن، وإنما طبع منه ٣٠ جزءاً، ويقولون إنه يحتاج إلى مثلها ليكمل، كما طبعوا فهرساً مختصراً لأهم المخطوطات العربية في ثلاثة أجزاء أرونا إياه .

وتعتبر هذه المكتبة من أهم المكتبات في الهند التي تضم مخطوطات عربية، ولا يوجد لها مشابه إلا في مدينتين هما حيدر آباد ورامفور في ولاية يوبي، وهي ولاية أتربراديش التي عاصمتها لكنهو .

وتقوم الحكومة الآن على هذه المكتبة، وتتحمل ما يلزم لها من مصروفات، وهي مقصودة للمطالعة، رأينا فيها عدداً من المطالعين

والمراجعين والناسخين أغلبهم من المواطنين، كما رأينا رجلين وامرأة من الأوربيين .

وقد تحدثنا مع مديرها الشيخ عابد رضا بيدار ، ومع المسؤول عن المخطوطات العربية فيها الشيخ محمد عتيق الرحمن بن محمد حقيق خان عن النوادر في المكتبة فقال: إنه يوجد لديهم كتاب نادر اشتروه من البلاد العربية ، وأصله من مكتبة قرطبة اسمه كتاب (التصريف) في الجراحة للزهراوي ، وأهم ما فيه أنه رسم آلات الجراحة المستعملة في ذلك الوقت ، وقد اطلعنا على مصورة له ، وهو عجيب حقاً إذ فيه عشرات الصور لآلات الجراحة من المباضع والمقاريض وآلات بط الجروح وفتقها ، وهذه النسخة هي الوحيدة المعروفة في العالم من هذا الكتاب .

وحدثني الشيخ عابد مدير المكتبة قال: إن لدينا أجزاءً من مصحف شريف مخطوط قديم الخط جداً ، يقدر الخبراء أن تاريخ كتابته هو عام ٧٠ من الهجرة ، وقال: إنه من مخطوطات القرن الأول بلا شك ، وإنهم يعرفون ذلك من نوع الخط ، والمداد ، والورق ، وإنه يود أن باستطاعته أن يرينا إياه إلا أنه لا يتمكن من ذلك الآن ، لأنه لا يستطيع أحد في المكتبة أن يلمسه إلا بحضور مندوب من حاكم الولاية ، وهو لا يحضر إلا خلال الدوام الرسمي ، وقال: إننا كنا قد هيأنا أنفسنا لذلك قبل ظهر اليوم إلا أنكم لم تحضروا . فشكرنا ذلك له ، وعجبنا من حرص القوم على العناية بتلك المخطوطة للمصحف الشريف ، إذ مدير المكتبة لا يستطيع أن يلمسها إلا بحضور مندوب من حاكم الولاية .

وقد أرانا نسخة مصحف كتب بطريقة غريبة ، وذلك أنه في ورقة طويلة واحدة يبلغ طولها نحو عشرة أمتار ، وعرضها عرض الكف ، وفيها رسوم للشجر والسيف ، مكتوب عليها القرآن الكريم أي على موضع التلوين منها .

مدرسة إصلاح المسلمين :

من مكتبة خدا بخش خرجنا مخترقين قلب الحي القديم من مدينة بتنه، قاصدين مدرسة إصلاح المسلمين السلفية، وكنا نمر بالحوانيت وهي مضاءة بالمصابيح الصغيرة من الغاز السائل، وذلك لأن الكهرباء عندهم تنقطع في كثير من الأحيان، وقد ضايقنا كثرة عربات الركشا، أي الدراجات العادية التي يقودها آدمي، وهي التي تستعمل بمثابة سيارة الأجرة (التاكسي)، فوصلنا المدرسة فألفيناها في بناية قديمة من الحجارة والآجر، وسقفها بالخشب الضخم، أما أبوابها ونوافذها فإنها من الخشب الغليظ تذكر المرء بما كان عليه بناء المنازل في بلادنا قبل الازدهار الأخير، ووجدناهم مستعدين لنا ومستعدين أيضاً لانقطاع الكهرباء، فلديهم مراوح من السعف، وأظنه من سعف التار الذي ينبت عندهم، يشبه النارجيل وليس به، ولديهم مصباح من الغاز السائل، وبالفعل انقطع التيار الكهربائي بعد بدء الحفل.

وقد علمنا أن المدرسة تضم ٧٧ طالباً، وأنها لها فروع هي سبع مدارس للبنين ومدرسة واحدة للبنات، وأنهم يركزون في عملهم على تدريس العقيدة السلفية ونشرها، ومحاربة الخرافات التي دخلت في عقائد المسلمين، كما قالوا إنهم يعلمون الطلاب بعض الحرَف، حتى إذا خرجوا للحياة العملية يكون لديهم وسيلة للرزق، وقد رحبوا بنا ترحيباً يفوق الوصف جزاهم الله خيراً.

يوم الأربعاء ١٣٩٧/٥/٩ الموافق ١٩٧٧/٤/٢٧م:

إلى دربنقها:

في تمام الساعة السادسة والنصف صباحاً تحركنا من فندقنا الجميل الراقي، فندق (بتالا أبترا) في مدينة بتنه، بعد أن تناولنا طعام الإفطار فيه، قاصدين بلدة (دربنقها) على بعد ٢٥٢ كيلومتراً إلى جهة الشمال الشرقي من مدينة بتنه، وكل ذلك داخل ولاية بيهار بالقرب من حدود الهند مع نيبال، ومعنى اسمها (باب البنغال)، لأن أصلها دربنقال و (در): باب بالفارسية، و(البنقال): هو المعروف في شرق الهند، تحول بعد ذلك إلى دربنقها.

وكان معنا سيارتان صغيرتان، وكنت مع الأخ الدكتور عبد العزيز ابن الدكتور عبد الحفيظ بن عبد الرحمن، وهو طبيب شاب تخرج حديثاً من كلية الطب في مدينة بتنه، ووالده الدكتور عبد الحفيظ هو المشرف على المدرسة التي تسمى (الجامعة الأحمدية السلفية)، وكان يشرح لي كل ما أريد معرفته في الطريق، وكان السائقان من أهل بتنه من الهنود الهندوكيين، وسائقنا بالذات ضعيف الجسم أصفر اللون، حتى لتخشى أن يعجز عن إدارة دفة السيارة.

أول ما لاحظناه نحن الذين اعتدنا في الأيام الماضية على رؤية الريف في جنوب الهند، هو اختفاء نخيل النارجيل في هذه الولاية من الهند، ولا عجب في ذلك، إذ نحن الآن تحت خط العرض ٢٤ شمالاً إلا أنهم قد استعاضوا عنه هنا بأشجار تشبه أشجار النارجيل، ويسمونها (تار) وهي تشبه ما يسمى عندنا (النخل الهندي)، ويكون في الحدائق العامة، كما يوجد في بعض البلدان العربية مثل مصر في حدائق القاهرة وغيرها، للزينة فقط، إلا أن التار هذا يثمر ثمرة مكورة أصغر من ثمرة النارجيل، يفتحونها فيجدون فيها فاكهة في مقدار حجم التمرة مرتين، لها نوى يبعدونه، أما باقي الثمرة

فيؤكل، ويتكون من مادة هلامية فيه شيء من الحلاوة، ويتخذ منه الهنادك الخمر في بعض الأحيان.

وإلى جانب الأشجار المغروسة التي نراها الآن أشجار منها العمبة، أي (المانغو) العظيمة الحجم، وما عدا ذلك فأكثر الخضرة هنا خفيفة تتألف من الخضروات ونحوها، إلى جانب البقع التي حصد منها القمح حديثاً، وتراهم يدوسونه على الثيران، أو يذرونه ويعملون على خزنه.

ومن الطريف هنا منظر الآبار المنتشرة في الحقول، ووجه الطرافة فيها ليس في قربها من الأنهار، وكونهم لم يكتفوا بها عن الآبار، ولكن الطرافة في طريقة السقي عندهم، فهم يضعون على جانبي البئر خشبتين طويلتين، وعليهما خشبة طويلة معترضة على شكل خشبة القبان الذي كان يوزن به من الخشب، في آخرها قطعة من جذع شجرة التار الذي يشبه جذع النخلة المستدقة في بلادنا، وفي أولها حبل قوي فيه دلو كبير، فينزل الدلو في البئر فارغاً بمعاونة الرجل الذي لا بد أن يكون واقفاً على شفير البئر، ويخرج مليئاً بقوة الثقل الموجودة في جذع الشجرة في الخشبة، ولا بد في كلتا الحالتين الإنزال والرفع من جهد الرجل.

وقد لاحظنا أنه كلما كان قعر البئر أعمق، وجب أن تكون الخشبة المعترضة أطول.

وقد مررنا في الطريق بقرية صغيرة، تمهل السائق فيها لكثرة الزحام، وشارعها مليء بالناس، وكلهم حفاة يستوي في ذلك نساؤهم ورجالهم، وكثير من الرجال قد اقتصروا على فوطة قصيرة من قماش أبيض خفيف، فوقها قميص خفيف أو صدرية قصيرة اليدين (فانيللا).

بُنْ بُنْ:

ينطق بالكلمة الأولى بضم الباء وإسكان النون، وينطق بالثانية

مثلها ، وتظن أن هذا اسم لعبة من لعب الأطفال ، ولكنه اسم نهر صغير مررنا عليه بعد خروجنا من مدينة (بتنه) بما يقارب ٢٥ كيلاً ، وسألت عن اسمه لأننا تأخرنا بعض الوقت عند مدخل الجسر الذي أقيم عليه ، وذلك لأنه جسر عتيق لا يتسع لمرور أكثر من سيارة واحدة ، وكانت السيارات القادمة - وهي كلها من حافلات الركاب يتخللها عدد من العربات التي تجرها الثيران - قد بدأت دخول الجسر ، فانتظرنا حتى مرت ، ثم عبرناه .

أما الأهالي في هذا الريف فإنهم من الجنس الهندي المعروف في بلادنا ، من ذوي الوجوه السمر سمرة تميل إلى البياض ، وذوي الأجسام النحيلة الطويلة نوعاً ما ، إلى جانب اللحى الطويلة المسترسلة التي لاحظنا أنها ليست على كل الوجوه ، وإنما صار عدد منهم يحلقونها ، وأما نظافة الثياب هنا فتكاد تكون معدومة.

والأهالي هنا من الريفيين يتزاحمون على وسائل الركوب ، وأكثرها شيوعاً العربات التي تجرها الثيران أو الدراجات النارية ، وقد أحصيت عدد الراكبين في أحدها فبلغ اثني عشر راكباً ، وقال لي الدكتور عبد العزيز ابن عبد الحفيظ إنهم كثيراً ما يفعلون ذلك ، حتى إن سيارة صغيرة مخصصة لأربعة ركاب ركب فيها ٢٤.

وهذا سببه قلة وسائل الانتقال السريعة ، وفقر الريفيين ، إلى جانب نحافة أجسامهم وخفة أوزانها .

نهر الكنج :

ويسمونه (قانقا) بجيمين مصريتين.

قطعنا نهر الكنج في هذه المنطقة ، وهو في طريقه المرسوم إلى الانتهاء بعد أن قطع من رحلته إلى البحر أكثرها ، فمررنا على ظهره فوق جسر عظيم من الصلب الثقيل يتسع لسيارتين متقابلتين ، وذلك بعد ١١٢ كيلاً من

(بتـه)، وهـذا النـهر يقدسـه الهنادكـة، يغتسـلون فيـه، ويـذرّون فيـه رمـاد موتاهم.

محطة جنشل للقطارات:

توقفنا في محطة مركزية للقطارات في مدينة (بروني) في هذه المنطقة من ولاية بيهار، وهي محطة كبيرة عددنا الخطوط المميزة فيها فإذا هي أحد عشر خطاً، فيها مكاتب لموظفي الخدمات العامة مثل البرق، وفيها غرف للاستراحة للدرجة الأولى، استرحنا في إحداها قليلاً، وتسمى محطة (جنشل)، إلا أن المحطة والواردين إليها على وجه العموم تغلب عليها القذارة، والأهالي المكدسون فيها من الواصلين والمسافرين في مستوى غاية في الانحطاط، من حيث المظهر الجمالي في الملبس والتغذية، إلا أنهم على غاية من اللطف في المعاملة، فلا شجار ولا أصوات مزعجة، ولا أذى لغيرهم من الناس.

وإذا تذكر المرء أن سكان ولاية بيهار يبلغ عددهم ٨٦ مليوناً، وأن أكثرهم في مستوى متدنٍ من العيش، عرف أهمية الدرجات المنخفضة في القطارات لنقلهم إلى المسافات الطويلة.

ولا شك أن من كان في تلك المثابة فإنه لا يهتم بنظافة القطارات أو مستوى العاملين فيها، بقدر ما يهتم برخص أسعارها.

أما السيارات الخاصة فإنها نادرة جداً في الأرياف ولدى القرويين.

وفي هذه المحطة ألحفتْ عليَّ بالسؤال والاستجداء عجوز كبيرة، مظهرها يدل على الفقر والعوز، بل على الجوع، فأردت أن أعطيها بعض الشيء، إلا أن تجربتي في الهند لم تشجعني على ذلك، إذ لا يكاد المرء يعطي واحداً، وبخاصة في المدن الكبيرة، حتى يتجمع عليه جمهور من السائلين الملحفين ما يزال يتبعه ككرة الثلج التي كلما تدحرجت كبرت،

حتى يتخلص منهم بمعجزة، وسألت سائق السيارة أيظن أنها حقاً جائعة ومحتاجة أم هي سائلة محترفة ؟ فقال: إنها جائعة محتاجة وكثيرون غيرها كذلك. وأضاف: ولكن الحكومة لا تفعل شيئاً، إنها كانت تعطيهم الوعود فقط. قلت له: وماذا عن الحكومة الجديدة بعد حكومة أنديرا غاندي ؟ فأجاب إنها تعد أيضاً، ونخشى ألا تعطينا غير الوعود .

وتذكرت عندما رأيت هذه العجوز أننا في ولاية بيهار التي طالما سمعنا بحدوث المجاعات فيها، إلا أنني طردت ذكر المجاعة عن خاطري وأنا أرى أكوام القمح في البيادر وبقايا حقول القمح الواسعة، وتذكرت أخيراً ما سمعته من أن الهند أعلنت أنها في هذه السنة ستكتفي بالقمح الذي تنتجه، وأنها تفعل ذلك لأول مرة منذ سنين طويلة، بل إنها إذا استمر التوسع في زراعة القمح في الهند فإنها قد تصبح دولة مصدرة له بعد أن كانت مستوردة.

تذكرني بإفريقية

بعد عودتنا إلى الطريق نسير فيه أخذنا نرى بعض القرى المنتشرة وسط الحقول على خط الإسفلت، وهي مبنية بالعيدان أو بالطين ومسقفة بالقش أو بالحصير على شكل مسنم .

وذكرتني ما رأيته في قرى الأرياف في إفريقية، وفي بعض هذه القرى الهندية أقاموا ما يشبه المحاريب الواقفة من القش وفروع الأشجار وجعلوها مخازن لخزن الحبوب لهم والأعلاف لمواشيهم .

أما الخضرة فإنها عامة هنا إلا أنها كلها مما زرعه الإنسان، وليست خضرة طبيعية .

قرية يقطنها مائة ألف :

وقف بنا السائقان في قرية في الطريق يقال لها (سمستي بور) ومعنى

بور في تلك الناحية بلد، وهي بقرب نهر يسمى باقمتي، عليه جسر من الحديد القديم يتسع لسيارة واحدة.

وقد اشترينا من القرية خياراً طويلاً مما يسمى في بلادنا وفي العراق عجور، كل واحد يبلغ طوله زهاء نصف متر بالعدد كل واحد بعشر بيزات، أي العشرة بروبية.

وعند ما رأيت كثرة الناس في سوق القرية، سألت الدكتور عبد العزيز فقلت له: كم يبلغ عدد سكان هذه المدينة ؟ فأجاب ضاحكاً: إنها ليست مدينة، إن سكانها لا يزيدون على مائة ألف، قلت فما هي المدينة في عرفكم ؟ فقال: إذا كانت فوق خمسمائة ألف كانت مدينة صغيرة، أما المدن الكبار فلا بد فيها من الملايين.

وبعد مضي ست ساعات كاملة من بدء سفرنا من مدينة بتنه قطعنا خلالها ٢٥١ كيلومتراً وصلنا:

بلدة درمنقها :

وهي مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها مائة وعشرين ألفاً منهم نحو ٣٥٪ مسلمون، وموقعها في شمال ولاية بيهار على بعد ستين كيلو متراً من حدود مملكة نيبال مع الهند، وأصل تسميتها دربنقال أي باب البنقال، لأنها طريق البنقال، ومعنى " در " باب بالفارسية، ثم تطورت إلى (در منقها) كما تقدم.

وجدنا في استقبالنا جماعة من أهل العلم والفضل من المسلمين على رأسهم الدكتور عبد الحفيظ بن محمد فريد السلفي، وكان يعانقنا وهو ينتفض من الفرح والتأثر بقدومنا، وكذلك من معه من المستقبلين، ونظراً لأننا وصلنا لتونا من رحلة طويلة متعبة، فقد أنزلونا في دار الضيافة، وهي ملك للحكومة تنزل فيها كبار الضيوف، وذلك لأن بلدة درمنقها صغيرة لا

يوجد فيها فنادق، وقالوا: إنهم أخبروا الحكومة بقدومنا وطلبوا منها أن تسمح بنزولنا في دار الضيافة هذه فأجابت إلى ذلك .

ثم بادرونا بالشاي والماء البارد الذي طلبنا معه الليمون نعصره من باب الاحتياط في تطهير الماء، ثم تركونا لنستريح .

وكنا كل واحد في غرفة خاصة بها حمام خاص، والدار تشبه الدارة (الفيلا) في وسطها عدة غرف من طابق واحد، أمامها رواق من جهة الشرق، ومستوى الفراش هو مستوى فنادق الدرجة الثانية. ويقوم عليها عدد من الخدم من الهنادك، ولم تكن مكيفة الهواء وإنما فيها مراوح كهربائية وناموسيات تقي من البعوض .

واستلقيت على هذا السرير لأستريح وبي حاجة إلى النوم، ولكن شغلني التفكير فيما أظهره أولئك الأحباب من فرح غامر، واستقبال دونه استقبال الأهل والأقارب، وأخذت أقول لنفسي: ماذا ضيعنا نحن العرب من أخوَّة غالية، ومن علاقات حميمة مع إخواننا المسلمين .

إنه ليس بيننا وبينهم نسب ولا قرابة دم، ومع ذلك هم يعظموننا ويحترموننا ويتألمون لما يؤلمنا مثلنا أو أكثر منا، حتى لغتنا هم يحاولون أن يتعلموها أو يتعلموا منها ما استطاعوا، فينفقون السنوات الطوال في تعلمها وتعلم أمور دينهم، مع أن ذلك لا ينفعهم لدنياهم وإنما يريدونه لآخرتهم .

وهم يدخرون من أقواتهم، ويوفرون من عيشهم حتى يتعاونوا ويجمعوا ما يبني مسجداً يذكر فيه اسم الله، وينادى فيه بلغة القرآن، أو تشيد به مدرسة تعلم فيها اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولا ينسى المرء منظر شيوخهم، والواحد منهم إذا رآنا يعصر ذهنه ويحث ذاكرته، عسى أن يتذكر كلمات بالعربية يحيينا بها، ويزيد بها استقبالنا مجاملة وحبوراً كما سبق .

وغفوت قليلاً ثم صحوت، وإذا بهم يقولون لنا: إلى الصلاة، ومن بعدها

الغداء، وكان الغداء عند مضيفنا أخينا إشفاق علي خان، أحد وجهاء البلدة، ينحدر من أسرة كانت تحكم على مساحة كبيرة في تلك المنطقة .

وذهبنا إلى بيته، بل إلى قصره، أمامه باحة واسعة، في أحد أركانها القصية بحيرة يسبح عدد من الصبيان في ركنها، وفي ركنها الآخر عدد من النساء يغسلن أجساد أطفالهن من بنين وبنات وهن معهم في البحيرة، وبعضهن يغسلن ملابسهن .

وهذه البحيرة تتكون من ماء المطر وتبقى دائمة الماء، لأن مستوى الماء ليس بعيداً من وجه الأرض، وهي لا تنظف إذ هي منخفضة، وقد رأينا ماءها غير صاف ويعلو بعضه طحلب أخضر .

وقد حدثونا أن من عادة الوجهاء والأثرياء عندهم أن يحفر الشخص منهم بحيرة قرب مسكنه، تكون بمثابة المرفق الهام للفقراء من السكان يغتسلون فيها، ومنها يتبردون وينظفون ملابسهم، ويربي صاحب البيت فيها الأسماك لسد حاجته من السمك للأكل .

أما نظافة ماء البحيرة فأمر غير ذي بال في هذه البلاد، ذلك بأن تجمعات المياه والمستنقعات الصغيرة منتشرة فيها في كل مكان، وبعض المستنقعات ذات ماء قد اخضرّ من طول المكث، وبعضها ذو رائحة كريهة، ومع ذلك يسبح فيها الأطفال، ويخوض فيها الرجال، وقد يتبرز حولها أو فيها الصغار، وهم على ذلك معتادون، وله غير منكرين، ولله في خلقه شؤون.

ولكن إذا رأى المرء ذلك عرف السبب الذي من أجله اشتهر عن الهند أنها موطن لأمراض كثيرة مستوطنة، قد اعتاد على وجودها السكان من قديم الزمان، حتى ألفوها وسكتوا عن الشكوى منها ؛ مثل الملاريا والزحار والكوليرا .

ولذلك ترى الناس في الأرياف إذا قارنتهم بغيرهم من سكان البلدان الأخرى على غاية من الضعف والهزال والمظهر البدني السيئ، لأن تلك

الأمراض تكون في الغالب مضافة إلى سوء التغذية، ويضاف إليها أيضاً كونهم جميعاً يبرزون للشمس، أو يعيشون حياتهم كلها معرضين لأشعة الشمس المباشرة التي تغضن الجلود، وتذهب نضارة الأبدان.

كله من دربنقها :

كانت مائدة الغداء حافلة بما لذ وطاب من أنواع الطعام، حتى السمك كان نوعين، والدجاج أكثر من طبقين، ومع ذلك قالوا لنا إن كل ما على هذه المائدة هو من بلدتنا، فالأرز والخبز والسمك والدجاج واللحم والزبد والأبازير والأفاوية من إنتاج بلدتنا هذه، لم نجتلب شيئاً من خارجها حتى الفواكه من البرتقال والليمون البنزهير منها .

الكلية الملية للمسلمين :

أخذونا بعد الغداء وأرونا الكلية الملية، وقالوا إنها كلية تدرس العلوم والآداب على مستوى جامعي ومعترف بها من الدولة، وقالوا: إن السبب في إنشائها أنهم لاحظوا في أوائل عهد الاستقلال أن هناك تحيّزاً ضد الطلبة المسلمين في بعض الكليات الجامعية، وبعضهم لا يستطيع أن يحصل على التعليم الجامعي المدني، فتناشد المسلمون وقرروا علاج ذلك بإنشاء كلية مدنية على حسابهم الخاص دون مساعدة من الدولة، وأنشأوا هذه الكلية التي جمعوا لها الأموال جمعاً، وتبرع كثير من المسلمين بالأراضي اللازمة لها، وكان القائم على ذلك والزعيم أحد المسلمين الذي قال إنه بدأ بها عام ١٩٥٩م، ولم يكن يملك لذلك فلساً واحداً، ولكنه ما أن بدأ العمل حتى اكتملت، وقد خرجت حتى الآن أعداداً كبيرة من الطلاب الذين يشغلون وظائف مهمة في المجتمع، وقالوا إن فيها ألفاً ومائة طالب، ٩٥٪ منهم من المسلمين .

وقد تجولنا فيها فوجدناها مبنية بالآجر الأحمر ومسقفة بالإسمنت،

وذات قاعات للدراسة واسعة قد تتسع الواحدة منها لمائة طالب، وأرونا أراضي شاسعة تابعة لها، يقولون إنهم ينوون استعمالها إذا تيسر لهم أن يجعلوها جامعة للمسلمين .

وتعترف الدولة بشهاداتها، وتعادلها بالشهادات الجامعية الأخرى، وتتبعها مدرسة ثانوية تؤهل الطلاب للالتحاق بها .

وتلك مفخرة من مفاخر العمل الأهلي لإخواننا المسلمين في الهند، تذكر فتشكر، ونرجو أن تكون مثالاً يحتذيه المسلمون في الأقطار الأخرى لكي يوفروا لأبنائهم الدراسة المدنية المطلوبة إلى جانب الدراسات الدينية .

ومن لطيف ما رأينا في هذه الكلية خزائن خشبية للكتب (دواليب) كتبت عليها بعض الأسماء، قالوا لنا إن هذه هي أسماء المتبرعين بالكتب للكلية، تكتب أسماؤهم على تلك الخزائن اعترافاً بفضلهم وتقديراً لهديتهم، وقد قرأنا من أسماء المتبرعين السيد (أحمد حسن) على ثلاث خزائن منها .

منزل الكرماء أو حي المسلمين :

في أثناء تجولنا في هذه البلدة مررنا بحي فيه عدد من المساجد المتقاربة، فقالوا إنه حي المسلمين، وإن اسمه هو (كرم كنج)، فكرم هي اللفظة العربية من الكرم، وكنج بمعنى منزل، فمعناه إذاً منزل الكرم أو منزل الكريم .

باب الملك فيصل وباب الملك خالد :

في طريقنا من دار الضيافة إلى الجامعة الأحمدية لحضور الاحتفال الذي تقيمه المدرسة المذكورة لوفدنا، مررنا بأقواس من الزينة كتب على أولها الذي يقع في أهم ميدان في قلب البلد (**باب الملك فيصل**)، ثم

تجاوزناه إلى بوابة أخرى كتب عليها (**باب جلالة الملك خالد**)، أما البوابة الثالثة فكتب عليها (**باب عبد العزيز**) وهو مؤسس هذه المدرسة، والبوابة الرابعة التي هي على مدخل المدرسة كتب عليها (**باب محمد فريد**) وهو الذي تولى القيام على المدرسة بعد الأول، وكلاهما لاقى ربه رحمهما الله .

وعندما وصلنا إلى مقر المدرسة كانوا قد صفوا طلابها صفين، ما أن نمر على أحد من الطلاب وهم واقفون بانتظارنا حتى يبادرونا بالسلام قائلين: (السلام عليكم)، ثم أخذونا في جولة على مباني أقسام في المدرسة، فهذه المطبعة كتب عليها المطبعة الحميدية، نسبة إلى المتبرع بهذه المطبعة واسمه عبد الحميد، وهي مطبعة كبيرة يطبعون بها الرسائل والمنشورات وبعض المقررات الصغيرة .

ثم انتقلنا إلى بناء كتب عليه (فريد شفاء خان) أي مستوصف فريد، وهو الدكتور الذي أنشأه وأخذ يعالج به المرضى، وقد توفي رحمه الله. ثم مساكن الطلاب في المدرسة، ثم (نادي الإصلاح) فيها هكذا كتبوا عليه بالعربية، وهو قاعة للمطالعة يقضي فيها الطلاب والشباب أوقات فراغهم في المطالعة المفيدة، فيه عدد من الكتب والمجلات بالعربية والإنكليزية والأوردية، ثم (دار المعارف) هكذا أيضاً كتبوا عليها بالأوردية، وهي في الحقيقة مكتبة المدرسة، وفيها كتب كثيرة قيمة لا يتوقع المرء أن يجد نصفها في مدرسة من المدارس الحكومية المماثلة لهذه المدرسة في البلدان العربية على سبيل المثال .

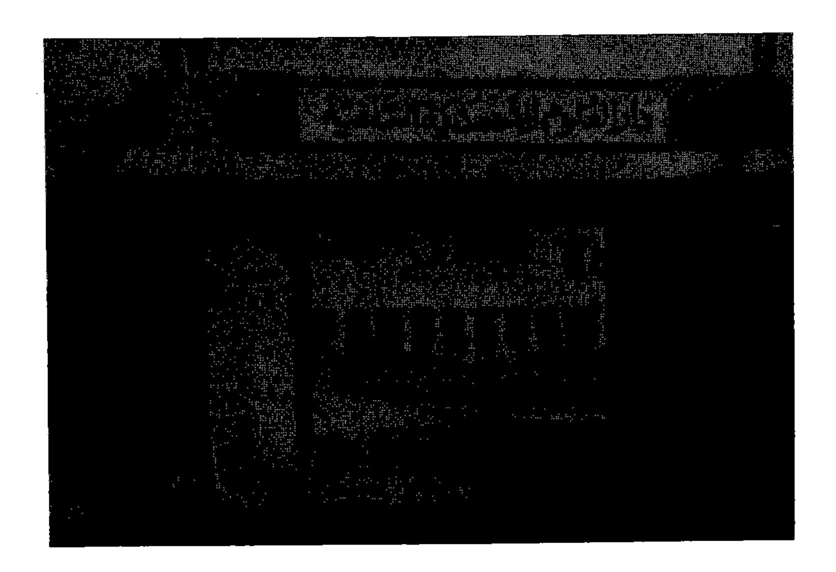
أما دار الإقامة للطلاب - ويريدون مساكن الطلاب في المدرسة - ففيها يقيمون وينامون، وتقدم لهم المدرسة إلى جانب المسكن الغذاء اللازم الذي أعتقد أنه كامل، بدليل حسن المظهر الصحي الغذائي لأولاد المسلمين في هذه المدرسة، مما جعلهم في نظري أحسن في هذا الأمر بمراحل من

أطفال بقية السكان، ومنهم الهنادك الذين لهم الأغلبية العددية في البلاد .

الاحتفال:

بدأ الحفل الخطابي بأن أقاموا منصة رئيسية في الفناء الداخلي للمدرسة، ونصبوا فوقه خيمة كبيرة، وركبوا عدة آلات لمكبرات الصوت، وكتبوا على المنصة الرئيسية أسماءنا جميعاً بخط كبير ليجلس كل شخص أمام اسمه في مقعد خصص له .

ومن انفراداتهم أنهم وضعوا أمامنا صحناً فيه أوراق التنبول التي يمضغها الهنود، وهي رمز لإكمال الإكرام في الضيافة، وإلا فإننا لسنا ممن يعرفون التنبول، فضلاً عن أن يهووه، ما عدا الأستاذ محمد لقمان السلفي مترجم الوفد فقد (تنبل) حال وصوله تلك البلاد، ولا غرو في ذلك فهي بلاده بلاد التنبول.



الباب الرئيسي لدار العلوم الأحمدية

اشتمل الحفل الخطابي على كلمات لهم بالأوردية والعربية، كان أهمها كلمة من أحد الطلبة اسمه مشتاق أحمد ألقاها بالعربية ارتجالاً أو

حفظاً عن ظهر قلب، مما لو ألقى مثلها أحد العرب لعدّ خطيباً مصقعاً، ثم ألقى الشيخ عبد الله بن منيع وألقيت كلمتين مناسبتين.

وبعد أن قارب الحفل على الانتهاء، أمطرت السماء بعد أن أرعدت، فقالوا إن هذه أول مطرة تنزل من موسم المطر هذا العام، وإن المعتاد أن يبدأ المطر في منتصف مايو، أي بعد نحو ١٧ يوماً .

وكان العشاء في منزل الدكتور عبد الحفيظ السلفي مدير المدرسة، وكان عشاءً حافلاً حقاً بأنواع الطعام الهندية الشهية، ويقع في حديقة منزله التي زينها بعقود من الأنوار الكهربائية الصغيرة، نثرها نثراً بين الأعشاب والأشجار الصغيرة والزهور، فكانت معها زهوراً من النور. وكان الرجل منشرح الصدر بادي الحبور بحضور إخوانه في الله، وما يفتأ يكرر ترحيبه وبيان سروره جزاه الله خيراً .

أعطتنا إدارة دار العلوم الأحمدية هذه النبذة عن الدار، ممهدة لذلك ببيان عن الوضع الإسلامي عند تأسيسها، رأيت أن أشرك القارئ الكريم في الاطلاع عليه، قالت النبذة :

بسم الله الرحمن الرحيم

دار العلوم الأحمدية السلفية في ولاية بيهار بالهند ودورها القيادي في ميدان التربية والتعليم

١-الحالة الدينية في الهند قبل النهضة الإسلامية الصحيحة:

إن الإسلام طلع فجره على البلاد الهندية بمجيء المجاهدين الأولين من العرب في القرن الأول من الهجرة النبوية، ولكنه لم يجد فرصة التغلغل في أعماق البلاد إلا في عصر الفاتحين الذين بدأ مجيئهم في القرن الخامس الهجري، ولكن قلوبهم لم تكن مصطبغة بالصبغة الإسلامية الخالصة كما أن كثيراً منهم كانوا حديثي العهد بالإسلام .

لذلك لا بد من الاعتراف أن الإسلام انتشر في القارة عن طريق الصوفية والوعاظ الذين خلطوا العقائد الوثنية وأوهام المتصوفة البراهمة بدين التوحيد الخالص، فالانحطاط الديني أحاط بسرادقه البلاد، وظلت راية السنة منتكسة .

وقد زاد الطين بلة ذلك الملك الذي سمي " باكبر " فقد اخترع ديناً سماه (الدين الإلهي)[1].

٢- الجهود لإحياء الدين وتجديده .

فظهر الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي الذي وقف أمام الطاغوت وجهر بالحق، فكانت جهوده بمثابة النواة الأولى للحركة .

ثم جاء من بعده الإمام الثقة العادل ولي الله الدهلوي الذي سعى ليل نهار ليدخل تغييراً جذرياً في العقول، ودعا العلماء والفقهاء إلى جعل الكتاب والسنة حكماً .

---

(١) يريدون به السلطان أكبر شاه الذي اخترع ديناً من عنده لنفسه من عدة أديان وسماه (دين إلهي).

ولكن الواقع الذي لا مرية فيه أن الذي دوى صوته مجلجلاً بالدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة وإقامة دولة إسلامية هو الشهيد العظيم الإمام إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي الذي دعا الناس إلى التوحيد الخالص ونبذ ضلالات اليونان وخرافات الهند. وقد قال عنه العالم المحقق أبو الكلام آزاد في كتابه (**تذكرة**): إن الذي كمل بيده صرح التجديد، وتمت به حجة الله على خلقه هو إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله .

٣- حركة أهل الحديث في القارة الهندية:

وبذلك استطاع الإمام إسماعيل الشهيد أن يوجد دعائم قوية لإقامة حركة سلفية أصلها ثابت في القرآن والسنة، وفرعها على الأرض يؤتي أكله كل حين. ألا وهي حركة أهل الحديث التي ظلت منذ تلك الآونة تدعو المسلمين إلى المعين الصافي للإسلام .

وقد كان من ثمار جهود هذه الحركة المباركة أن رفرفت راية التوحيد في الديار الهندية، وارتفعت الأصوات بقال الله وقال الرسول في المدارس والمعاهد .

٤- الأعلام المحدثون ودورهم في تدعيم الحركة:

ومن الأئمة الأعلام الذين كان لهم دور أساس في تأصيل هذه الحركة: المحدث الكبير الإمام نذير حسين الدهلوي الذي قال عنه تلاميذه الأئمة من البلاد العربية: " إنه كان حامل راية الحديث في الديار الهندية بلا كلام ". والإمام السيد نواب صديق حسن خان، والمحدث الكبير الشيخ (عبد العزيز) الرحيم آبادي، والإمام الحجة شمس الحق صاحب عون المعبود، والحافظ عبد الله الغازي فوري، والمحدث الكبير الشيخ عبد الرحمن المباركفوري، والمحدث الجليل الشيخ عبيد الله الرحماني صاحب مرعاة المفاتيح الذي لا نزال نتمتع بحياته المباركة. وآخرون كثيرون ممن تفتخر بذكرهم وذكرياتهم جماعة أهل الحديث، وكانت لهم أدوار عظيمة

لإرساخ قواعد الحركة .

٥- حاجة الحركة إلى مدارس عربية:

الاستعمار الإنكليزي الذي استولى على البلاد أخذ يحيط بأخطبوطه القارة الهندية كلها ، فلإثبات دعائمه قرر في المدارس مناهج دراسية يؤول في النهاية إلى إدخال التغيير في أفكار الجيل المسلم وجعلهم عبيداً للإنكليز.

فشعر العلماء الذين تربوا في المدرسة الفكرية للإمام ولي الله الدهلوي بالأخطار الجسيمة ، ووضعوا مناهج دراسية علمية تخرج علماء أكفاء ، ودعاة مؤهلين ، فكان من ثمار هذه الجهود أن فتحت مئات من المدارس في جميع أنحاء البلاد .

ومن أولئك العلماء الأفذاذ العلامة المحدث (عبد العزيز) الرحيم آبادى الذي يعود إليه الفضل جله لتأسيس مدارس سلفية في الهند عامة ، وفي ولاية بيهار خاصة .

دار العلوم الأحمدية السلفية في ولاية بيهار

ودورها القيادي بالهند

١- تأسيس دار العلوم السلفية :

ومن المدارس العليا التي أسسها العلامة الشيخ عبد العزيز رحمه الله دار العلوم الأحمدية السلفية الكائنة بمدينة دربنقها في ولاية بيهار بالهند ، فقد أسسها في عام ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٨م ، وكان يتمنى أن يراها في حياته داراً علمية عظيمة الشأن تخرج العلماء والدعاة ، ولكن اختاره الله لجواره بعد عام واحد فقط من تأسيس الدار .

٢- الدكتور السيد محمد فريد ورعايته للدار :

وكان من شدة رعاية الشيخ لدار العلوم وحنانه عليها أن وكل أمر

رعايتها إلى رجل تربى في حجر مجاهدي صادقفور وعلمائها، وهو الدكتور السيد محمد فريد رحمه الله الذي أثبت جدارته وكفاءته لرعاية الدار والاهتمام بشؤونها، فرعاها حق الرعاية ومنحها كل أفكاره وجهوده لتترعرع تلك الشجرة فتصبح دوحة علمية شامخة .

٣- أثر دار العلوم في تثبيت دعائم السلفية :

وقد استمر الدكتور السيد فريد في جهوده، ولم يألُ جهده حتى جعل الله تلك الشجرة عالية وارفة الظلال، وأصبحت من كبرى الدور العلمية والمدارس التابعة لجمعية أهل الحديث الهندية. فخرجت مئات من العلماء الأكفاء والدعاة المخلصين حتى ذاع صيتها وأصبحت حديث المجالس العلمية، وأدت دورها العظيم في المجتمع الهندي، وحتى قال القائلون إنه لولا فضل الله ثم مساعي هذه الدار فقد مرت فترة من الزمان خاف فيها السلفيون من اندراس الحركة وعلائمها في المنطقة .

والحق الذي لا غبار عليه أن خريجيها انتشروا في أرجاء الهند كلها واعتلوا مناصب مرموقة، وتصدروا المجالس العلمية وفاقوا الآخرين في مجال التعليم والتدريس.

ومن أولئك العلماء المتخرجين من فتحوا مدارس عربية في المناطق الأخرى، ومنهم من زانت بوجودهم المنابر والمحاريب، وافتخرت بهم المدارس والأكاديميات، ومنهم من أصدروا مجلات وجرائد إسلامية هادفة. فلله الحمد وله الشكر على كل هذه النعم. وتغمد الله الفقيد الدكتور السيد محمد فريد وأسكنه فسيح جناته الذي سقاها بدمه ووهبها فكره وعقله وكل ما كان يملك من الجهد والمال، حتى أصبحت في حياته أشهر الدور السلفية في القارة الهندية كلها، وطار باسمها الركبان، فما من منتمٍ إلى حركة أهل الحديث في القارة الهندية الباكستانية إلا وهو يعرفها جيداً ويعترف لها بالفضل والعظمة.

٤- الدكتور السيد عبد الحفيظ السلفي ودوره في النهوض بالدار :

ولا يفوتنا أن نسجل كلمة اعتراف وتقدير لفضيلة الدكتور الشيخ عبد الحفيظ السلفي، أحد خريجي الدار، فقد تولى رئاسة دار العلوم هذه بعد وفاة والده الدكتور السيد محمد فريد رحمه الله ولا يزال حفظه الله يرعاها ويسهر من أجلها ويهتم بشؤونها رغم مسئولياته المتشعبة، والحق أن لفضيلته دوراً كبيراً في تقدم الدار وازدهارها، فأدخل التعديلات في المناهج حسب الظروف والأحوال، وزاد في عدد الطلبة، وفتح أقساماً أخرى، وأدخل كذلك إصلاحات إدارية وفتح مدارس أخرى عديدة في مدن مختلفة تابعة للدار. والجدير بالذكر أن الدكتور السيد عبد الحفيظ السلفي حاز بثقة الجمعية الهندية لأهل الحديث فانتخب رئيساً للجمعية المركزية، وحق له أن يقبل هذا المنصب العظيم فهو الرجل الذي قال عنه العارفون للرجال إنه لو وجد مثله عشرة آخرون في الهند لاستطاع أهل الحديث بحول الله وقوته أن يعيدوا ماضيهم المجيد، ويحيوا في المسلمين روح الجهاد الذي كان بدأه في الهند الإمام الشهيد إسماعيل الدهلوي .

٥- مراحل الدراسة في دار العلوم :

الدراسة في الدار المذكورة متوزعة على أربع مراحل :

- المرحلة الابتدائية، وهي ست سنوات.
- المرحلة الثانوية، وهي أربع سنوات.
- مرحلة الإجازة العالمية، وهي أربع سنوات.
- مرحلة الفضيلة في الحديث النبوي وعلومه وهي سنتان .

٦- أهداف دار العلوم:

إن جمعية أهل الحديث والقائمين على الدار يهدفون من وراء الدراسة في الدار والمناهج المقررة فيها ما يلي :

أ)- إعداد جماعة من العلماء الصالحين الذين يتربون تربية دينية صحيحة ليتأهلوا لقيادة العالم وريادته بكل ما تعني الكلمات من المعاني .

ب)- إعداد جماعة من العلماء الذين يدرسون النظريات الهدامة والمذاهب الفاسدة، ويتزودون بقوة الخطابة والقدرة على الصحافة الراقية ليتمكنوا من كشف زيغ تلك المذاهب الهدامة، وينبهوا العالم على أخطارها ومساوئها. ومن ثم يمهدون السبل لنشر الإسلام ودعوة البشرية إليه .

ج)- تزويد الطلبة بعلوم القرآن والسنة وتبصيرهم بأصول الفقه الإسلامي ليتمكنوا من الاجتهاد في المسائل المستجدة .

د)- الاهتمام بدراسة اللغة العربية وآدابها القديمة والحديثة، إذ اللغة العربية مفتاح لفهم الكتاب والسنة، ووسيلة مثلى لتوثيق عرى التعاون مع الإخوة العرب .

هـ)- تدريس اللغة الإنجليزية إلى درجة تمكنهم من التفاهم بها والتحادث لأهميتها في الدعوة الإسلامية .

و)- تربية النشء الجديد على العقيدة الصحيحة لئلا يزلزل إيمانهم التيارات الجارفة التي قد يمرون بها في مستقبلهم.

٧- مباني دار العلوم:

إن الدار تملك بنايات ضخمة لسد حاجات السكن والدراسة على مساحة واسعة وسط المدينة وذلك كالتالي :

١- بناية كبيرة خاصة بالفصول الدراسية لجميع المراحل.

٢- ثلاثة مبانٍ أخرى لسكن الطلبة تتسع لثلاثمائة طالب .

٣- مطعم كبير، ومطبخ حديث واسع.

٤- مسجد جامع كبير يسع لأكثر من ألف مصل.

٥- مكتبة تضم أكثر من ثلاثين دولاباً كبيراً تحتوي على ألوف من مراجع علمية وكتب قيمة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والأدب وغيرها من الفنون والمواضيع

٦- مطبعة في بناية مستقلة تقوم بطبع الكتب النافعة بالإضافة إلى كونها مورداً مالياً لدار العلوم .

٨-المكتبة السلفية :

إنها مكتبة قديمة تابعة للدار تعنى بنشر الكتب السلفية ، وقد نشرت حتى الآن كتباً كثيرة نافعة باللغة الأوردية .

٩-مجلة " الهدى " نصف شهرية :

تأسست منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، وهي لا تزال تصدر بالأوردية وتصل إلى طالبي الحق والباحثين عن الحقيقة. وهي تعتبر لسان دار العلوم وصوتها في البلاد الهندية .

١٠- نادي الإصلاح :

إنه منتدى للطلبة ، تعقد اجتماعاته كل يوم الخميس يتدرب فيها الطلبة على الخطابة والكتابة ، وللنادي مكتبة خاصة تحتوي على كتب قيمة نافعة ، والطلبة هم الذين يشرفون عليه ، يصدرون مجلة دورية باسم "النادي".

١١-إدارة الدعوة والإرشاد:

إن الدار تملك قسماً خاصاً يعنى بشؤون الدعوة والإرشاد ويرسل الدعوة إلى مختلف الأنحاء ، كما ينظم بعثات للمدرسين والأساتذة في أوقات مختلفة من السنة تقوم بمهمة التبليغ في مناطق محتاجة .

١٢-دار المعارف :

هذا القسم يهدف إلى البحث والتحقيق والنشر والترجمة، وقد تم فتح هذا القسم على يد الدكتور المرحوم ذاكر حسين، الرئيس الأسبق لجمهورية الهند .

١٣-المستوصف الفريدي :

يصرف فيه العلاج مجاناً للذين لا يملكون قيمة العلاج، ولهذا المستوصف دور كبير في تقريب المسلمين من الدعوة السلفية وجلب قلوب الهنادك إلى دين الإسلام .

١٤-جمعية الأبناء الطلبة :

إن هذه الجمعية تجمع شمل المتخرجين من الدار حيث على كل متخرج أن يكون عضواً فيها، وللأعضاء اجتماعات دورية يتدارسون فيها الدعوة وأساليبها وأهداف الدار والسعي من أجل تحقيقها. وبذلك ينخرطون في سلك قوي متماسك لا يفصمهم بعد الدار أو طول الزمان .

يوم الخميس ١٣٩٧/٥/٩هـ، ١٩٧٧/٤/٢٨م

عود إلى بتنه :

كان الجو في درمنقها عندما صحونا لصلاة الفجر لطيفاً ذا نسائم منعشة، وقد صحونا بعد نوم تحت المراوح طرداً للبعوض الذي لم تكف الناموسية لطرده، وتناولنا طعام الإفطار .

ثم تحركنا من درمنقها عند الساعة السادسة والربع، ولا أنسى وداع الشيخ الكريم الجليل الدكتور عبد الحفيظ، إذ كان يودعنا وهو يبكي، أي والله إنه يبكي بكاءً لا أعتقد أنه يودع ابنه إذا فارقه بمثله، هكذا محبة في الله ولله، خالصة لوجه الله، فالرجل طبيب وغني يملك محطة للمحروقات، إلى جانب ما يكسبه من عيادته، وليس بحاجة إلى شيء من الدنيا، وله ولدان تخرجا من كلية الطب، فحبه كله لله، لا لشيء من أمر الدنيا .

عدنا مع الطريق الذي سلكناه أمس، ولم يكن معي في السيارة إلا رفيقي بالأمس الدكتور عبد العزيز، أما بقية الزملاء فهم في السيارة الأخرى.

شاة مات :

تمتلئ الطريق – كما قلت – بالحيوانات والعربات والناس والدراجات إلى جانب الحافلات، وهي ضيقة غير جيدة التعبيد، مما جعل السواقة فيها امتحاناً لضبط الأعصاب، وكنت وأنا راكب أظل مشدود الأعصاب، خائفاً وجلاً من وقوع حادث، أو حدوث شيء، وأكثر خوفي ليس على نفسي فقط، وإنما على مسبب الحادث والمتضرر منه .

وفي أثناء الطريق كان هناك عدد من الأغنام، فصدم سائقنا إحداها

بركن سيارته الأمامي، صدمة اهتزت منها السيارة، وتناثر زجاج المصباح الأمامي، وكنت في تلك الآونة غافلاً لم أدر ما حدث، فسألت الدكتور عبد العزيز - وكان نادراً ما يستعمل الكلمات العربية التي يعرفها - فقال بالعربية: شاة، قلت: ماذا فعل بها؟ فقال: مات.

فقلت: هذه إذاً (شاة مات) كما يقولون[1].

استراحة غير مريحة:

قال الدكتور عبد العزيز إنه لا يعرف مكاناً نظيفاً في طول هذا الطريق الذي نسير عليه، ولكننا اضطررنا إلى الوقوف بعد مسيرة مائة كيلو متر متعبة، فكان وقوفنا في مقهى في قرية بجانب بئر عميق، يبلغ عمقه نحو ١٢ متراً، مطوى بلبن من آجر أحمر مستدير، وقد نصبت عليه خشبتان، عليهما خشبة كبيرة مثقلة، يمتحون الماء من البئر بدلو بمساعدة ثقلها، وانتهزتها فرصة طيبة لأشرب ماء نظيفاً من هذا البئر، فأشرت إلى هندوكي أسمر اللون عاري الجسم، إلا من خرقة على عورته المغلظة، كان يمتح الماء من البئر أن أعطني ماء، فأشار وهو يتكلم برطانته إلى إناء من الماء خارج البئر، فأشرت إليه أنني أريد من الدلو، فاستجاب وسقاني وغسلت وجهي فاسترحت، أما الإناء الذي أشار إليه فقد رأيت صبي صاحب القهوة، وهو قذر الثوب والبدن حافي الرجل عاري الجسم إلا من قطعتين صغيرتين متمزقتين، رأيت ذلك الصبي وهو يغرف الماء منه بإناء يضعه على الأرض، ثم يعيد الغرف منه، وهكذا، وأما أثاث هذه القهوة فإن مستواه عن مستوى ثياب الصبي ليس ببعيد.

واحتجنا إلى ما يحتاج إليه المسافر الذي شرب قدراً من الشاي، ولكن

---

(١) (شاة مات): مثل عامي نجدي أوردته في كتابي: "الأمثال العامية في نجد" وشرحته وبينت أصله.

أين المكان ؟ إنهم لم يخصصوا له مكاناً ، ذلك لأن الأرض كلها صالحة له فيما يرى أولئك الريفيون من الهنود ، بدليل أننا نراهم يفعلونه على قارعة الطريق إذا ما دعاهم داعيه ، كما كان يفعل الإنسان عبر عشرات القرون ، وكما كنا نفعله نحن العرب في صحرائنا الواسعة ، إلا أن الفرق بيننا أننا كنا نبعد في الأرض ، ونجتهد ألا يرانا أحد ، كأن يبول الواحد منا في مكان منخفض ، وكانت صحراؤنا قليلة السكان ، بل كانت خالية الأركان ، أما هم فإن بلادهم كلها مأهولة ، وهذا الفعل بينهم لا بد أن يكون مشهوداً.

وكان ما كان في جانب البستان ، كما يفعل كل بني الإنسان في هذه الأوطان.

هندوكي يتقرب إلى أموات المسلمين :

عندما وصلنا مدينة (بتنه) ولم ندخلها بعد ، أوقف سائق السيارة الأخرى التي فيها أصحابنا سيارته عند بناء على أحد قبور المسلمين ، وأخرج من جيبه قطعة صغيرة من النقد ، وألقاها في صندوق صغير كان أعده الخرافيون عند هذا القبر لتوضع فيه النقود ، مع أنه هندوكي الديانة ، ولما سأله الرفاق عن ذلك قال: إن هذا شكر على كون الرحلة مرت بسلام ، ولم تقع خلالها حوادث ضارة.

إن هذه الحادثة فيها أمران غريبان:

الأول: كون هذا السائق الهندوكي الذي لا يؤمن بالدين الإسلامي جملة وتفصيلاً يعتقد بهذه الخرافة التي يعتبرها بعض المسلمين في هذه البلاد من الإسلام ، وهي البناء على القبر ثم التشفع بصاحبه والتقرب ببذل المال له أولمن يقومون عليه ، وهي تناقض الإسلام ، وقد تصل بصاحبها إلى الشرك.

والثاني: كون الرحلة التي هي في حدود ٢٥١ كيلاً خطرة ، إلى حد أن من ينجو منها سالماً يكون من الواجب عليه أن يقدم قرباناً على سلامته من خطرها

يوم السبت ١٦/٦/١٣٩٩ هـ - ١٢/مايو/١٩٧٩م

من دلهي إلى بتنه : مرة ثانية :

كنت قد وصلت إلى دلهي أمس قادماً إليها من الرياض عن طريق كراتشي، والغرض من قدومي إلى الهند هذه المرة هو حضور المهرجان التعليمي الذي ستقيمه جامعة إصلاح المسلمين السلفية التي مقرها (بتنه) عاصمة ولاية بيهار، وذلك بمناسبة انتقال الجامعة إلى مقر جديد أسهمت المملكة العربية السعودية بجزء من نفقاته.

ولم تكن بي رغبة خاصة للسفر إلى بتنه، لأنني قد زرتها قبل سنتين، وكتبت عنها ما تقدم من انطباعات، ولذلك عندما تلقيت من إدارة المدرسة دعوتها الخاصة للحضور كدت أعتذر، إلا أن الشيخ الجليل عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد آنذاك، رغب إليّ في أن أسافر بنفسي، وأن أمثل رئاسة البحوث العلمية المذكورة إلى جانب الاستجابة للدعوة، فوافقت على أمل أن أزور شمال الهند، وبخاصة بلاد كشمير التي لم أزرها من قبل، وأحسن موعد لزيارتها هو هذا الوقت الذي هو فصل الصيف بالهند، وبخاصة قبل نزول الأمطار الموسمية.

وهكذا كان، وعندما أتت الساعة الخامسة والنصف من هذا الصباح كنت أغادر فندق (أنتركونتننتال إبروي) في دلهي، بعد أن دفعت عن الليلة الواحدة أربعمائة وعشرين روبية هندية، حسبوا ذلك بالدولارات الأمريكية لكل دولار ثماني روبيات (أي اثنان وخمسون دولاراً ونصف) وهو مبلغ كبير، وبخاصة بالنسبة إلى هذا الفندق الذي هو في الحقيقة من فنادق الدرجة الأولى، غير أنه بخيل في كل شيء، مقتّر في طعامه وشرابه مع غلائه.

وخرجت إلى مطار دلهي بسيارة أجرة مبكراً، أي قبل قيام الطائرة بساعتين، فكانت إجراءات الإركاب كلها طبيعية، بل سهلة، ما عدا التفتيش عند دخول قاعة المسافرين، فقد تولت تفتيش حقيبتي اليدوية امرأة هندية، تفتشها تفتيشاً دقيقاً، ولم أعترض على ذلك، ولم أرها جوازي الدبلوماسي، إذ التعب إنما هو عليها، وأنا لن أضار بشيء، ولكن الذي لم أستطع الصبر عليه هو موقف الرجل الذي يفتش أجسام الناس، فقد أخذ يتحسس جسدي بيديه الخشنتين، وكان يلمس مواضع لا ينبغي أن يلمسها، فنفرت منه، وقلت له: ألا تستحون أن تفعلوا بالناس مثل هذا؟ لماذا لا تشترون آلة كهربائية يدوية لا تكلف كثيراً، كما يفعل حتى الفقراء من الدول، وتريحوا الناس من هذا الذي هو منافٍ للذوق؟

وهنا دهش الرجل وجحظت عيناه، ربما كان ذلك لكونه لم يجد من يقول له مثل هذا القول من قبل، أما أنا فإنني أعلم أنه ليس بصاحب الأمر والنهي، ولكنه هو الذي رأيته أمامي فوجهت الكلام إليه، وقد تركته وهو مندهش، فلم يرد علي.

وكانت غرفة المغادرة صغيرة، لأنها لمغادرة الرحلات المحلية، والهنود يعتبرون من أقل الشعوب استعمالاً للطيران بالنسبة إلى عددهم الكبير، فعلى سبيل المثال هذه الطائرة التي سنسافر عليها هي من طراز (بوينغ ٧٣٧) ذات المحركين، وهي صغيرة مؤهلة لحمل نحو مائة راكب، ومع ذلك فهي الرحلة اليومية التي تقوم من دلهي إلى لكنهو وبتنه ورانتشي وكلكتا، وهي مدن يبلغ مقدار سكانها ستة عشر مليوناً من الأنفس.

وجميع الأشياء التي في تلك القاعة تدل على الاقتصاد، وهذا طبيعي بالنظر إلى حالة الهند الاقتصادية، وإلى طبيعة أهلها، ولكنه أيضاً يتسم بطابع آخر إلى جانب الاقتصاد هو عدم مراعاة الناحية الجمالية فيه، فمثلاً اللوحة التي تبين رقم الرحلة التي يخرج الناس إليها موضوعة على الحائط بأسلاك بارزة نافرة غير متناسقة، وكأنما هي مؤقتة، وزجاج اللوحة نفسها

هو معتم غير صاف.

وبينما كنت في القاعة أخذت أفكر في مقارنة هذه القاعة بقاعة المغادرة في بلاد صغيرة جداً بالنسبة إلى الهند، وهي (فنلندا) البلاد الشمالية الباردة، التي تمضي أكثر النواحي فيها طائفة من السنة وهي في شبه سبات عميق تحت الثلوج، فإذا بالمقارنة ليست في صالح دولة الهند ذات الستمائة مليون من السكان، فكل شيء في فنلندا ذات الأربعة ملايين ونصف ينطق بالذوق، ويسير بانتظام، ومطار هلسنكي هو أفضل في كل شيء عشرات المرات من مطار دلهي، ولم أضرب المثل بمطار كوبنهاجن عاصمة الدنمارك، لأنه مطار قد يقال فيه إنه قد يستعمل محطة للعبور بين أوروبا وأمريكا، وقد يستعمل مطار دلهي بين الشرق الأقصى وأوروبا، وإنما ضربت المثل بمطار هلسنكي الذي لا يستعمل للمرور إلا قليلاً.

إلا أن أهل الهند - والحق يقال - قوم مستوى معاملتهم فيما بينهم ومع الغرباء، وحركتهم عند الركوب والهبوط هي أفضل عشرات المرات من مستوى حالتهم المادية.

قامت الطائرة في الساعة السابعة وعشر دقائق صباحاً، كما كان مقرراً بعد أن امتلأت جميع مقاعدها بالركاب، وأعلنت المضيفة باللغة الهندية ثم بالإنكليزية أن الرحلة إلى لكنهو ستكون خمساً وأربعين دقيقة، وعلى ذكر المضيفة أقول: إن الخدمة كانت لأربع مضيفات ليس معهن مضيف واحد، إلا أنهن ممن يحملن الرجال على عدم تكرار النظر إلى وجوههن وإن لم يفعلن شيئاً، فهن إذاً يصح أن يقال للمتطلع إلى وجوههن: إن من العصمة ألا تنظر، إذ لن يجد في وجوههن ما يغري بتكرار النظر، بل إنه ليجد فيها ما يمنعه من ذلك.

ووجدت في الطائرة صديقي الأستاذ صالح بن عبد الله الصقير، سفير المملكة العربية السعودية في الهند، وهو ذاهب مثلي إلى بتنه، لحضور هذا

الاحتفال، الذي من أبرز ما فيه وضع الحجر الأساسي لمبنى جديد في الجامعة، وقص الشريط إيذاناً بافتتاح رواق الملك خالد فيها.

وكانت فرصة طيبة لتجديد اللقاء به، وإن كان قد عاتبني على كوني لم أبرق له بوصولي إلى دلهي، فشكرته وقلت له: إنني لم أر داعياً لذلك.

في بتنه ثانية:

أنزلونا في فندق اسمه (موريا كلارك هوتيل) وهو فندق جديد، بعض أجزائه لا تزال تحت العمل، مثل بركة السباحة. وهو مع جدته ليس بذاك.

كان الجو في بتنه في الصباح عندما وصلناها معتدلاً يميل إلى الحرارة، ولكنه اشتد حره بعد ذلك.

وعندما وصلنا الفندق، حضر إلينا عدد من إخواننا المسؤولين عن الجامعة والعاملين في الجمعية السلفية التي هي جمعية أهل الحديث في هذه البلاد.

وبعد ذلك كانت استراحة، فالغداء بعدها. وكان غداء حاراً جداً مليئاً بالبهارات، محشواً بالفلفل الحار، رغم أننا قد أوصيناهم بأن لا يضعوا فيه شيئاً من ذلك، وكان فيه نوع من لحم السمك النهري الذي هو رخو كلحم القواقع، وهو عندهم يربى في حياض خاصة، بل هي حفر عندهم يحفرونها لهذا الغرض تمتلئ بالمياه العذبة إبان موسم الأمطار.

ولم تكن بي رغبة في رؤية أكثر مما رأيته في (بتنه) لأنني سبق أن زرتها من قبل، واطلعت على أكثر ما فيها في المرة السابقة.

لذلك قضيت العصر مع زميلي الشيخ حماد الأنصاري، المشرف على قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والدكتور علي ناصر فقيهي عميد المكتبات فيها، وهما من أخص الزملاء عندما كنت أعمل في تلك الجامعة، وقد انقضى الوقت كله في استقبال الضيوف من

الإخوة مسلمي أهل الهند الذين حضروا إلى هذه البلدة لأجل شهود هذا المهرجان والاحتفال الكبير فيها.

ولم يكن حضر أحد من خارج الهند إلا نحن السعوديين الثلاثة، إلى جانب سفير المملكة الأستاذ صالح بن عبد الله الصقير الذي حضر من دلهي إلى بتنه ممثلاً للملك خالد بن عبد العزيز في حضور هذا المهرجان.

على مائدة هندية:

كان الدكتور إدريس خان، وهو طبيب مسلم من أسرة عريقة في بتنه، وهو في الوقت نفسه نائب رئيس الجامعة الإسلامية الإصلاحية السلفية في بتنه، قد أقام حفلة عشاء دعانا إليها نحن الحضور من المملكة العربية السعودية في بيته الذي كان قد ورثه عن والده.



السفير السعودي يتحدث إلى المؤلف على يمينه في صدر المائدة، وعلى يساره الشيخ حماد الأنصاري. في مأدبة الدكتور محمد إدريس خان

فسارت السيارة كما كانت في السابق، فهي ترفع صوتها بالنفير الذي

لا يكاد يفتر مع أن المرور ليس كثيفاً في هذه الساعة من أول الليل، ولكن عربات الركشا التي يسيرها صاحبها برجليه ويؤجر مؤخرتها بمثابة (التاكسي)، وهي دراجة معتادة لا محرك فيها، كانت تلك الدراجات موجودة إلا أن ذلك كان بكثافة أقل مما كانت عليه في النهار كما عهدتها .

وكانت السيارة التي ركبنا فيها كسائر السيارات المستعملة هنا، مصنوعة في الهند، إلا أن بعض أجزائها لا تبدو متقنة مثل زجاج الأبواب، وهي كبيرة الحجم، عالية عن الأرض، ومع ذلك قيمتها مرتفعة جداً، لأن حكومة الهند لا تسمح باستيراد السيارة الجديدة الغالية الثمن من الخارج، حتى إن السفير الشيخ صالح الصقير حدثني أنه كان للسفارة سيارات اعتبرتها مستهلكة لقدمها، ولم يكن بالإمكان حسب القانون الهندي أن تبيعها السفارة إلى شخص عادي أو معنوي، وإنما عليها أن تستعملها أو تعيد تصديرها، لأنها في الأصل كانت قد اشتريت لاستعمال السفارة، والحل الأخير صعب، إذ تصديرها يكلف مصاريف لا تتحملها السيارة في البلاد العربية، وإنما الحل أن تباع إلى الحكومة الهندية التي ترسل هيئة منها تثمنها وتدفع الحكومة ما تقرره الهيئة لها من ثمن. قال السفير: إن إحدى السيارات لدينا اشترتها حكومة الهند بثلاثين ألف روبية، فهي تعتبر مستهلكة، لأنها بقيت لدينا مدة ست سنوات، وقد باعتها الحكومة لأحد الأفراد بمائة وخمسين ألف روبية، وهكذا .

كان بيت مضيفنا الدكتور إدريس خان في الحي القديم من البلدة، ومع ذلك كان يشبه القصر، فهو ذو أعمدة في مقدمته ومسقف بالخشب المدهون المهذب.

وقد استمر حضور المدعوين من أهل البلاد حتى بلغ عدد الذين جلسوا على المائدة زهاء الثلاثين .

وكانت مائدة هندية، إلا أن الطعام ليس فيه فلفل بالكثرة المعتادة، وذلك مراعاة لرغبة الضيوف العرب، فيها أنواع من اللحوم، إلا أنها

كلها قد أعدت إعداداً خاصاً غير ما ألفناه ما عدا لحم الدجاج، حتى السمك فهو يختلف عن السمك المعتاد لأنه من أسماك المياه الحلوة .

وقد أفضل الدكتور فجاءت مائدته حافلة بأنواع الطعام حتى الحلوى كانت ثلاثة أنواع، وقد تجدد إعجابي بطريقة إخواني المسلمين في الهند في تقديم الطعام؛ إذ هم يقدمون لكل شخص في طبقه الخاص به شيئاً مقدراً من أنواع الطعام الذي يتيقنون أنه يأكله ولا يبقي منه شيئاً ، وحتى إذا أبقى منه شيئاً فإن ذلك يعتبر أمراً غير مناسب ، إذ المفترض ألا يقبل في طبقه شيئاً لا يريد أكله حتى لا يفسد بقية الطعام على الآخرين. ولا بد من أن يترك كل واحد منهم صحنه نظيفاً بعد الأكل ، وبطبيعة الحال إنهم يكررون عرض الطعام على الآكل ليأخذ منه ما يحتاجه حتى يكتفي.

أما أطباق الحلوى فإنها تكون مقدرة بحسب الحاجة ، وإذا لم تكن كافية في العدد فإنه يشترك في الطبق الواحد أكثر من شخص واحد .

وفي نهاية الحفل ألقى الدكتور إدريس كلمة رحب فيها بسفير المملكة العربية السعودية وببقية الحاضرين .

كان الجو حاراً في هذه الليلة في(بتنه)، ولكنهم كانوا يكافحونه بإشعال المراوح، أما المكيفات فإنها غير موجودة في البيوت بسبب ضعف الكهرباء أو بسبب غلاء أقيامها .

وبين عواطف إخواننا الكرام وبين أطايب الطعام وأطايب الكلام الذي سمعته من الدكتور محمد زكي الحق مدير الجامعة الإصلاحية السلفية قضيت أمسية ممتعة.

إلا أن المضايقة كانت في الليل في غرفتي بالفندق، إذ تعطل المكيف فيها ، فكان الحر شديداً ، مما جعلني أطلب منهم تغييرها في النهار ، ولم يكن ذلك مما يشكل عندهم أزمة ، لأن عدد نزلاء الفندق هم قليل جداً بالنسبة إلى غرفه الكثيرة.

يوم الأحد ١٣٩٩/٦/١٧هـ، الموافق ١٣ مايو عام ١٩٧٩م

افتتاح المهرجان :

كان من المقرر أن يفتتح مهرجان الجامعة السلفية الإصلاحية في الساعة الثامنة صباحاً، ولكنه تأخر قليلاً إذ افتتح في الثامنة والربع. وهذا أمر يحدث كثيراً، وهو تأخير ليس بالكثير.



عند الوصول لمكان الاحتفال في الجامعة السلفية الإصلاحية في بتنه

وقد انتقلنا من الفندق إلى مكان المهرجان في سيارتين تحف بهما أعين الناظرين الذين كنا نمر بهم بشكل غير معتاد، فلما سألنا عن السبب في ذلك؟ أخبرونا بأنهم كانوا قد أعلنوا بوسائل متعددة عن هذا الاحتفال ونوّهوا في إعلانهم بصفة خاصة بحضور السفير السعودي والوفد السعودي. فتذكرت بذلك ما سمعته الليلة البارحة ونحن في بيت الدكتور إدريس خان من صوت مرتفع في مكبر للصوت يدوي يشبه الأذان، فلما سألت الدكتور محمد زكي الحق عنه؟ أجاب بأن ذلك يعلن لأهل البلد قدومكم وأنكم سوف تحضرون في المهرجان وتلقون كلمات فيه .

وقد مضت السيارة حتى وصلت حياً قديماً من أحياء البلدة، إلا أنه غير مزدحم بالبيوت، وهو لا يبعد كثيراً عن ضفة نهر الكنج الذي اسمه عندهم (قانقا)، وهو أقدس الأنهار عند الهنادكة، وفيه يغسلون موتاهم ويذرون رماد أجسادهم بعد الحرق كما سيأتي .

وكانت السيارة بل موكب الوفد المؤلف من سيارتين يسير بين صفين طويلين من أجساد متراصة من المواطنين أعتقد أنهم من دون مبالغة يبلغ عددهم أكثر من خمسين ألفاً، وهم يبدون كأنما كانوا ينتظرون موكب رئيس دولة، أو كأنهم أعضاء حزب سياسي ينتظرون زعيماً لهم، وقد حشدوا لذلك الحشود حتى يظهروا مدى التأييد الذي يلقاه ذلك الحزب .

وهذا كله إنما هو بسبب الإعلان الواسع الذي عمله القوم .

وكان من أهم ما استرعى انتباهي وجود ثلة من الجنود بملابسهم العسكرية، وهم بأعداد ليست مألوفة؛ إذ يبلغ عددهم ما يزيد على الخمسين، وقد تقاسموا الأمكنة فكان بعضهم في مكان والآخر في مكان غيره بحيث لا يكاد يخلو منهم موضع معين من مكان الاحتفال .

وهذا أمر غير مألوف في الهند، ولكن السبب في ذلك أنه قد حدثت اضطرابات طائفية في هذه الأيام بالذات في الهند في مدينة (جمشيد بور) وفي مدينة سرنجار عاصمة كشمير قتل في تلك الاضطرابات طائفة من المسلمين، وأحرقت متاجر وبيوت كثيرة للمسلمين. فكانت الاحتياطات الأمنية المشددة في هذه المرة حذراً من اندلاع اضطرابات أخرى وبخاصة أمام وفد من المملكة العربية السعودية.

يقع المهرجان في مخيم ضخم واسع على أرض مرتفعة عن الشارع مملوكة لهذه الجامعة التي هي في الحقيقة ليست جامعة بالمعنى الاصطلاحي المفهوم في البلدان العربية والبلدان الأوروبية، وإنما هي مدرسة ثانوية ومتوسطة، ولكن إخواننا في الهند يسمون أمثال هذه المدارس جامعات وإن

لم يصل مستوى الدراسة فيها إلى المرحلة الجامعية.



جانب من الذين حضروا مهرجان الجامعة السلفية الإصلاحية في بتنه، بعضهم لم يجدوا مقاعد خالية فجلسوا على الأرض

وذلك السرادق كبير وواسع بحيث إن الذين استظلوا فيه لا يقل عددهم عن اثني عشر ألفاً، وقد وضعوا المنصة الرئيسية عليها نحو ثمانية كراسٍ، وجدنا في وسطها رئيس بلدة بتنه وهو هندوكي الديانة، وكذلك رجل هندوكي آخر كبير قال لي أحدهم إنه أحد الوزراء، فجلسنا في المنصة الرئيسية نحن السعوديين الأربعة، ولم يجلس فيها من خارج الهند غيرنا.

وكان الجو فيه من الحرارة ما يتعب الجالس، رغم أن الوقت لا يزال صباحاً، ولكنهم أحضروا عدداً من المراوح الكبيرة سلطوا أهويتها على الجالسين، فكانت تحرك ذلك الهواء الذي فيه قسط كبير من الرطوبة.

بدأ المهرجان بتلاوة قرآنية من أحد الطلبة، ولكن صوته لم يكن جيداً، ثم أتبعت ذلك كلمات بالأوردية تارة وبالعربية تارة أخرى ولا ثالث لهاتين اللغتين في المهرجان، ذلك بأن ولاية بيهار تتكلم الأوردية والهندية فقط



المؤلف يلقي كلمته في مهرجان دار العلوم السلفية الإصلاحية في بتنه

ثم بعد ذلك جاء دوري لألقي كلمتي، فألقيت كلمة بينت فيها بعض ما قدمه علماء أهل الهند للغة العربية والعلوم الإسلامية، ثم طلبت منهم أن يتعاونوا مع مواطنيهم في هذه البلاد من غير المسلمين فيما ينفع الوطن دون أن يكون في ذلك تفريط بشيء من أمور الدين الإسلامي.

وقد قلت ذلك لما علمته من أن رئيس الحزب المتطرف ضد المسلمين قد أعلن أن المملكة العربية السعودية هي التي تمد المتطرفين من المسلمين بالمال الذي يساعدهم على ذلك، فأردت بهذا في هذا الجمع الحاشد الذي حضره عدد من غير المسلمين أن أنصحهم بما أعتقد أنه هو الصواب، وهو أن يسهموا في خدمة بلادهم التي هي بلاد الجميع من أهل الأديان المختلفة، وأن يكون في ذلك نفي لهذه الحملة المغرضة التي يراد منها أن تكون وسيلة للانتقام من المسلمين، وإلا فالمملكة العربية السعودية تساعد المسلمين مساعدة إسلامية ثقافية، لا مساعدة سياسية لأن الوقت لا يسمح بمثل هذه

المساعدة، إذ كيف يتصور أن يقوم عشرة بالمائة من سكان بلد وهم ليسوا الأقوى فيه تعليماً ولا أنصاراً، وليس بأيديهم من الوظائف الرئيسية فيه إلا عدد أقل من نسبتهم السكانية بمحاولة التغلب على الأكثرية ؟

ولذلك قلت في كلمتي: إن المملكة العربية السعودية تساعد مساعدة ثقافية خالصة. أما إخوانكم المسلمون بالمملكة وغيرها من البلدان الإسلامية فإنهم يفرحون لما تفرحون به، ويحزنون لما تحزنون له.

ثم تكلم الدكتور علي ناصر فقيهي أحد موفدي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فألقى كلمة مناسبة.

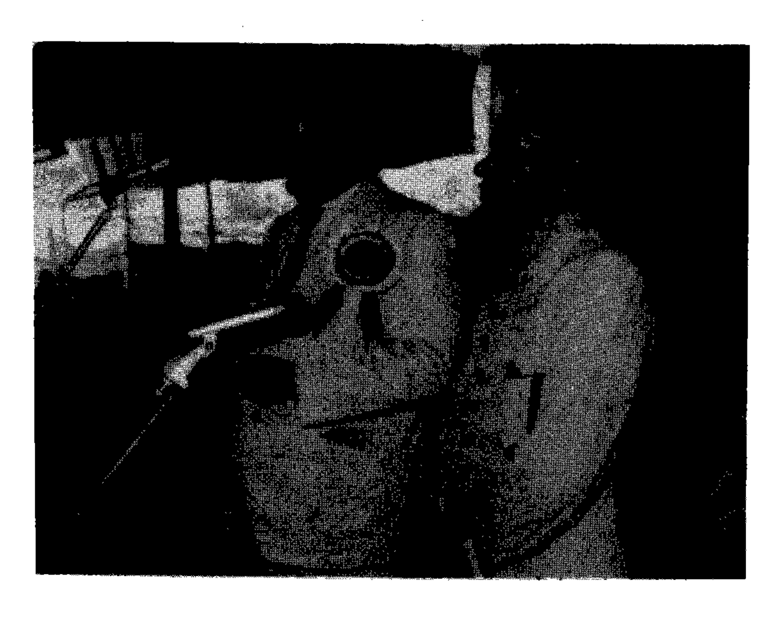


الوفد السعودي في مقدمة المهرجان

ثم تقدم بعدها أحد الشعراء فألقى قصيدة بالأوردية موجهة إلى السفير الشيخ صالح بن عبد الله الصقير وفي مدحه باللغة الأوردية، فألقاها الشاعر ثم قدم للسفير نسخة منها في لوحة جميلة ذات إطار جميل .

ثم نهض السفير وألقى كلمة ضافية وافية أبان فيها اهتمام المملكة العربية السعودية بشؤون المسلمين في جميع البلاد، وقال: إن أي شيء يحصل

للمسلمين في أي بقعة من بقاع العالم يجد صداه في مكة المكرمة والمدينة المنورة.



السفير السعودي صالح الصقير يلقي كلمته، بجانبه الشيخ محمد عطاء الله المدني يترجم

وكان يحمل مبلغاً من المال هدية من الملك خالد إلى هذه الجامعة قدره مائة ألف ريال سعودي، ولكن لم يعلن ذلك بناءً على رغبة من القوم، لئلا يستغل أعداء الإسلام ذلك في مثل هذه الظروف الحاضرة غير المواتية في دعاية ضد المسلمين.

هذا وقد استمر المهرجان مدة ساعتين ونصف، وكان مهرجاناً طيباً حاشداً اتسم بالإخلاص أكثر مما اتسم بالتنظيم الإجرائي، فكان من شواهد ذلك أن أحد المسؤولين كان يلقي كلمته في المكبر وكان يحك ظهره بيده، يدخل يده من تحت القميص. وكان جماعة من الشيوخ قد جلسوا على الأرض على شكل حلقة، في جانب من المنصة الرئيسية، وهم يتحادثون فيما بينهم والمهرجان الخطابي مستمر.

وكان هذا الجمع الحاشد خالياً من النساء خلواً كاملاً فلم أشاهد فيه امرأة واحدة لا من قرب ولا من بعد، وإنما شاهدنا النساء عند أبواب بيوتهن ينظرن بفضول إلى هؤلاء القادمين من المملكة العربية السعودية، الذين سبقت لهم من الدعاية لقدومهم أكثر مما يستحقون.

وعندما انتهى الحفل الخطابي ذهبنا وسط صف متراص خلفه صفوف متراصة ملتصقة إلى أقصى المكان الفسيح تكاد تطبق علينا للتحية والمصافحة لولا أن الضباط والجنود يمنعونهم من ذلك.

وكان الهدف هو وضع الحجر الأساسي لبناء جديد للجامعة. وقد قام بذلك السفير الشيخ صالح الصقير، ثم أزاح الستارة عن (اللوحة التذكارية لهذا الغرض) وهي مكتوبة باللغتين العربية والأوردية.

وبهذا انتهى هذا الاحتفال الكبير، وخرجنا نشق هذا الخضم من الناس حتى موقف السيارات.

إلى الجامع القديم:

وكان الذهاب إلى جامع قديم في بتنه في حي إسلامي اسمه (تنموهيه) لزيارة المسجد الجامع، وقد كان بناؤه في عام ١١٨٠هـ وهو مبني بعقود من الآجر فوقها أسقف الخشب غير مرتفعة.

وجدنا المؤذن فيه فسألته عن اسمه؟ فأجاب: إنه محمد إسرائيل، وهنا سارع أحد المرافقين من الإخوان الهنود فقال: إنهم هنا في الهند يسمون بإسرائيل في بعض الأحيان.

فقلت: إنه لا مانع من ذلك لأن إسرائيل اسم نبي مذكور في القرآن الكريم، أما هؤلاء اليهود الذين يغتصبون المسجد الأقصى وغيره من بلاد المسلمين فإنهم من الذين حرفوا التوراة ومن ذرية الذين قتلوا الأنبياء، وقوتهم إنما جاءت بسبب ضعف المسلمين وتفرقهم وابتعادهم عن الأخذ بأسباب القوة

التي أخذ بها المسلمون الأولون، والتي هي لا تزال صالحة لذلك على تطاول العصور، وامتداد الدهور .

وسألتهم بهذه المناسبة عن عدد المساجد التي تقام فيها الجمعة في مدينة بتة ؟ فأجابوا: أنها عشرة مساجد، وعن المساجد كلها ؟ كانت إجابتهم بأن عددها يزيد على مائة مسجد .

لم تقف السيارة عند باب المسجد بسبب ضيق شارعه، وإنما وقفت قريباً منه، فسرنا على أقدامنا مع أزقة مرصوفة بالحجارة الكبيرة وبعضها مرصوف بالآجر غير المتقن، إلا أنها كلها ليست ترابية، وفي طرف الزقاق مجرى للمياه المستعملة التي تخرج من البيوت حيث تذهب إلى أماكن منخفضة خارج البلدة، وذلك لأن هذه البلاد تعتبر بلاداً مطيرة ولا تعاني مشكلة من قلة المياه بل إنها قد تعاني مشكلة من كثرتها، إذ يستمر فصل الأمطار فيها أربعة أشهر كاملة.

وقد أخبرونا أنهم يقسمون السنة إلى ثلاثة فصول: أحدها وهو أربعة أشهر هو فصل الشتاء، وشتاؤها خفيف البرد، والثاني فصل الصيف، وهو شديد الحر ونحن فيه الآن، والثالث فصل الأمطار وهو أربعة أشهر تبدأ من منتصف شهر يونيو.

وقد وجدنا ثلة من الجنود والضباط ينتظروننا عند باب هذا المسجد الجامع، وكذلك عند باب كل مؤسسة أو مكان وصلنا إليه، ولم يكونوا يرافقوننا، وإنما هم لكثرتهم موزعون على الأمكنة المذكورة كلها، وكان الجو حاراً داخل المسجد فكان عدد من إخواننا يروّحون علينا بمراوح يدوية من الخوص طرداً للحر، مما ذكرني بالأيام الماضية في بلادنا التي كانت المراوح اليدوية من لوازمها في فصل الصيف .

رواق الملك خالد :

كانت الفقرة التالية رغم الحر الشديد هي زيارة بناء الجامعة السلفية الإصلاحية الذي هو مقرها القديم، وذلك لافتتاح رواق الملك خالد الذي بني بمساعدة من المملكة العربية السعودية، وقد قمت بقص الشريط المؤذن بذلك، لأن السفير كان قد انصرف إلى الفندق ليستعد للسفر إلى دلهي ظهر هذا اليوم.



المؤلف يقص الشريط إيذانا بافتتاح رواق الملك خالد في الجامعة السلفية الإصلاحية في بتنه

وقد كتبوا عليه ذلك بالعربية، كما كانت فصول الدراسة فيها مكتوبة بالعربية أو بالأوردية ذات الحروف العربية كما هو معروف.

المدرسة الأيوبية للبنات :

كانت الفقرة الأخيرة في برنامج هذه الضحوة هي زيارة المدرسة الأيوبية للبنات، وهي مدرسة إسلامية أوردية بمعنى أنها تدرس اللغة الأوردية

لغة المسلمين في هذه البلاد، وتدرس العلوم الإسلامية.

ولم نكن نريد زيارتها بسبب ضيق الوقت والتعب الذي سببه الحر، ولكن المسؤول عنها ألحّ علينا وقال: إن الذين في المدرسة ينتظرونكم منذ مدة، وإذا لم تحضروا إليهم فإن قلوبهم تتكسر على حد تعبيره، فقلنا: إننا نود أن نزور كل المؤسسات الإسلامية، وإنما قصدنا أن تكون زيارة هذه المدرسة في وقت آخر. ومع ذلك إذا كان الأمر كما تذكرون فلا مانع من زيارتها الآن.

وهكذا توجهنا بالسيارة حتى وقفت في شارع عام، فنزلنا منها نمشي على أرجلنا مع أزقة ليست واسعة ولكنها مبلطة تجري في حافاتها مياه مستعملة خارجة من البيوت، وكأنما قد عرف جميع سكان الحي بمرورنا فيه إذْ رأينا جميع الأبواب مفتوحة تطل منها نساء القوم وبناتهم، أما الرجال فإنهم قد خرجوا إلى الشارع، وكان لباسنا العربي لافتاً للنظر، وكنا نسلم على من نمر به من الرجال فيسارعون برد السلام والاحتفاء، وبعضهم يسرع لمصافحتنا إلا أن مرافقينا يمنعونهم من ذلك لأنه إذا فتح الباب للمصافحة فإن الوقت سينتهي دون أن ينتهي عدد الأشخاص المصافحين - بكسر الحاء-.

أما النساء فإن إخواننا قالوا: إن العادة عندهم ألا يحيي الرجل الأجنبي النساء الأجنبيات، ولولا ذلك لكنا نرمي بالسلام إليهن، وبمناسبة الحديث عنهن قد يتساءل المرء عن مدى حظهن من الجمال، ومع أن الجمال نسبي يختلف من ذوق شعب إلى ذوق شعب آخر، فإن الزائر العربي لا يرى نفسه تدفعه إلى تكرار النظر إلى الوجوه لأن معظمهن من المستورات !.

وصلنا إلى المدرسة الأيوبية فإذا بهم قد استعدوا لزيارة الوفد بأن أظلوا - من الظّل - فناء المدرسة بطائفة من الأشرعة، وأعدوا كراسي كثيرة جعلوا جزءاً منها للزوار من الرجال وجزءاً آخر للصغيرات من البنات اللاتي لا

تزيد سن الواحدة منهن عن العاشرة .

أما المدرسات والبنات الكبيرات فإنهم قد جعلوهن في مكان خلفي هو الجزء القديم من المدرسة.

وأما الجزء الحديث الذي نحن فيه فقد أخبرونا أنه قد بني بمساعدة من الحكومة الليبية.

ومع ذلك فقد جعلونا نتجول في أنحاء المدرسة وبخاصة الجزء القديم منها الذي لا تتوافر فيه الشروط الصحية ولا هو لائق، ولكنهم بصدد إصلاحه وتجديده إلا أنهم يحتاجون إلى مساعدة من الخارج .

وكان عدد من المدرسات ينظرن على استحياء في ركن من الممر الذي سلكناه من القسم الجديد في المدرسة إلى القسم القديم منها الذي فيه موضع الاجتماع للاحتفال.

وبعد أن استقر بنا المجلس حسب رغبتهم في منصة رئيسية أمام عدد من مكبرات الصوت أخذ أحد الخطباء في المدرسة يلخص برنامجاً كانوا قد أعدوه عندما اعتذرنا بضيق الوقت عن استيعابه كله.

فكانت أولى فقراته نشيداً باللغة العربية هو مديح للرسول ﷺ. ثم نشيد آخر باللغة الأوردية لم يترجم لنا، وفي هذه الأثناء كانت فتيات صغيرات من المدرسة يتقدمن فيقلدن كل واحد منا بطوق من الزهور الجميلة يعلقنه في عنقه، ثم قدم لنا مدير المدرسة نص الكلمة الترحيبية التي كان من المقرر أن تلقى أمام الوفد.

وطلبوا مني أن ألقي فيهن كلمة فألقيتها تحث على تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية، وتوضح مسؤولية المرأة في المجتمع المسلم، وبينت زيف ما اشتهر عند المتفرنجين وأنصاف المتعلمين في البلدان الإسلامية من أن الإسلام يهضم حقوق المرأة ولا يوفيها حقها، وأوضحت معنى بعض النصوص التي يوردونها شواهد على ذلك، مثل حديث: (خلقت المرأة من ضلع أعوج فإن

استمعت بها استمعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمه كسرته) وبينت لهم أن هذا ليس على سبيل الذم، وإنما هو على سبيل الإخبار بالواقع عن طبيعة المرأة التي تخالف طبيعة الرجل في بعض الأحوال، وبخاصة فيما يتعلق بالصبر على حضانة الأطفال وتربيتهم، وأن الضلع كمالُه في أن يبقى على اعوجاجه يحمي القلب وما في داخل الصدر، ولو حاول المرء أن يقيمه لكان في ذلك إبعاد له عن طبيعته وإفساد تلك الطبيعة، وكذلك المرأة .

وقد أخبرونا أن عدد الطالبات في هذه المدرسة يزيد على سبعمائة طالبة كلهن من بنات المسلمين، وقدموا التماساً بمساعدة على بعض مشروعات المدرسة فأخذناه ووعدناهم بدراسة طلبهم.

وبينما كانت فقرات الحفل تجري كنت أتأمل وجود البنات الصغيرات اللاتي جعلوهن بجانب الرجال في المقدمة، يفصل بين الفريقين ممر واسع، فإذا بي أجد أن مظاهرهن أحسن كثيراً من مظاهر الهندوكيات اللاتي كنت أراهن في الشوارع سواء من حيث نظافة الأبدان والثياب أو من حيث الصحة العامة .

وعندما كنا نغادر مقر هذه المدرسة كانت مفرزة من الجنود والضباط الذين وجدناهم عندها يحافظون على النظام، وكانوا غير الموجودين في الأماكن كلها .

وكل هذا - كما قلت - لمناسبة حدوث قلاقل طائفية في بعض أنحاء الهند مثل مدينتي (جمشيد بور) ومدينة (سرنقار) عاصمة كشمير .

وكانت العودة بعد ذلك إلى الفندق الذي يقع في ضاحية من ضواحي مدينة (بتنه) التي ليس فيها كثافة في البيوت، وقد لاحظت ما لاحظته عدة مرات في هذه البلدة وهو وجود أفراد من عامة الناس وبخاصة من طائفة الهنادك شديدي السمرة في اللون وهم يبولون في أصول الجدران فيها أو في زوايا الميادين مما يجعل المرء يحمل انطباعاً بأن ذلك عندهم أمر شائع في

عامتهم.

مشكلة الطعام:

ليست مشكلة الطعام هنا في أن يكون شهياً، أو لذيذ الطعم أولا يكون كما في أكثر البلدان، وإنما المشكلة هنا هي أن يستطيع المرء أن يأكله بدون ألم، وأن يتوقع أن يهضم في بطنه بدون ألم، وأن يكون الأمر الآخر الأخير بدون ألم.

فقد جربنا أننا إذا أوصيناهم بأن لا يكون فيه من الفلفل شيء أجابوا بالإيجاب والقبول، ولكننا نجده لا يطاق حرارة، وقد ناقشت أحد العاملين في الفنادق فقال: إن الطعام إذا لم يكن فيه فلفل لم يكن هندياً، فلا تطمع أن تجد طعاماً هندياً بدون فلفل لا يستطيع غير الهنود أن يستسيغوه، وإنما إذا أردت طعاماً ليس فيه ما يلذع اللسان، ويشوي البطن، فعليك أن تطلب طعاماً أوروبياً فيأتيك ذلك إذا كنت في فندق كبير فيه مطعم واسع متعدد المطابخ.

ولكن المرء في الغالب إذا وصل إلى بلد فإنه يحب أن يأكل من طعام ذلك البلد، وبخاصة في الهند التي يعد أهلها طعامهم فيها بطريقة مختلفة عن الآخرين.

وكان الأمر بالأمس مشكلاً إذ أحضروا طعام الغداء ناراً تلهب، فأكلت منه وزملائي فمرضنا مرضاً لم نستطع معه حتى تناول ما يكفي من العشاء، لذلك قررت أن أنزل إلى المطعم أنا وزملائي ونطلب من الطباخين طعاماً ليس فيه من الفلفل شيء، وليكن أوروبياً أو أمريكياً أو ما شاؤوا أن يسموه بشرط ألا يكون مفلفلاً، وقلت للمسؤول عن الطعام في المطعم كل ذلك ومعه قلت: إذا كنتم ترون أن إحضار الفلفل وما يشبهه من التوابل والحوامض الحارقة التي بعضها يكون فيه من الحموضة والحرارة حلاوة لا أدري مصدرها فليكن لكم ذلك، ولكن بشرط أن تحضروه منفصلاً عن

بقية الطعام غير متصل به.

وهكذا أحضروه لحماً مشوياً ليس فيه فلفل، وأحضروا ما أرادوا مما يكوي اللسان، فتركناه في مكانه وعوفينا منه وعوفي منا .

وكانت الوجبة الخالية من الفلفل بثمان وثلاثين روبية مع العافية، وأما الوجبة المفلفلة الملتهبة المشبعة مع الفلفل الحار والدهن الكثير فكانت أمس باثنتين وأربعين روبية مع الألم، وشتان بين الأمرين .

من النافذة:

مضى مساء هذا اليوم بين الاستقبال والنوم، فكنا كلما ذهب من عندنا زائر أو زوار جاء آخر أو آخرون ممن كانوا في الانتظار، فقد انتهز إخواننا من أهالي بتنه بالذات وأهالي البلاد القريبة منها في ولاية بيهار الفرصة لزيارتنا نحن إخوانهم في الله، ومع الزيارة كان تقديم طلبات المساعدة أو النظر في المساعدة من إخوانهم المسلمين لمدارسهم ومؤسساتهم الإسلامية التي يهمنا أمرها كما يهم أهلها .

وحتى برنامج المهرجان بعد العصر لم نحضره لأن أكثر الفقرات فيه كانت داخلية مثل انتخابات الرئاسة وأعضاء الجمعية السلفية إلخ، وأما برنامج المساء فكان أخونا وزميلنا الشيخ حماد الأنصاري هو الذي ناب عنا لأنه لم يلق كلمته في النهار.

وقد انتهزت فرصة من الفرص عصر اليوم لأراقب بعض العاملات من فقيرات الهنديات وهن يحملن التراب على رؤوسهن بأوعية ليست بعيدة من الصحون وهن حافيات الأقدام متسخات الثياب، إلا أن ثيابهن مع ذلك هي ثياب الهنديات غير المسلمات في الشكل، فهي إذاً لفائف متعددة، تكاد تعرقل سيرهن بما يحملنه على رؤوسهن من تراب يأخذنه من موضع مرتفع في حديقة الفندق التي هي تحت الإنشاء إلى مكان آخر منخفض منها .

وتسير الواحدة منهن سيراً وئيداً في عملها، يذكرني بسير الثيران التي تجر العربات في الهند وهي تطوح برؤوسها ذات اليمين وذات الشمال مستهزئة بالتاريخ الذي قد طوى هذه المرحلة في غير هذه البلاد، وانتقل منها إلى عصر السرعة سرعة الصوت في الركوب والانتقال، وعجبت لهؤلاء القوم الذين يجعلون النساء الضعيفات يعملن هذا العمل الشاق مع أن إنتاجهن قليل، ولكنني خبرت بعد ذلك كما خُبِّرتُ منذ سنوات عندما رأيت العاملات في البناء في مدينة (بومبي) بأن الحامل على ذلك هو رخص الأجر بالنسبة للرجال، وهو حاجة هؤلاء النسوة الشديدة إلى ما يسد الرمق، ويغني من جوع مثل ثلاث روبيات أو روبيتين ونصف روبية في اليوم الواحد، وذلك مبلغ لا يزيد على ريال واحد.

ومن النافذة في هذا الفندق، فندق (موريا كلارك) يشاهد المرء من بين ما يشاهد أشجار التار التي تشبه أشجار النخل الهندي المعروف في البلاد العربية، وهو لا يثمر عندنا، ولكنه عندهم في الهند يثمر ثماراً يصنعون منه الحلوى، كما يشاهد المرء أشجاراً ضخمة أخرى.

ويشاهد فيما بين هذا وذاك من المنازل، وما بين هذه وتلك من الأشجار طير الهند المميز، ألا وهو الغراب الأسود ذو اللون المكروه والصوت المزعج، وهو يسرح ويمرح، ولا من رادع له عن ذلك أو وازع، لأن طبيعة الديانة الهندوكية هي النهي عن قتل ذوات الأرواح ولو كانت مثالاً للقبح كالغراب، أما القرد عندهم فإنه لا يصح أن يضرب به المثل كما يضرب بالغراب، لأن القرد هانومان عندهم بمثابة الإله المعبود، بل هو إله معبود، يُكثِرون له من الركوع ومن الإيماء بالسجود، ويعتبرونه منقذ (سيتا) زوجة كبير آلهتهم (رام) من مرتهنها وخاطفها المقيم في الجنوب المسمى (راوون).

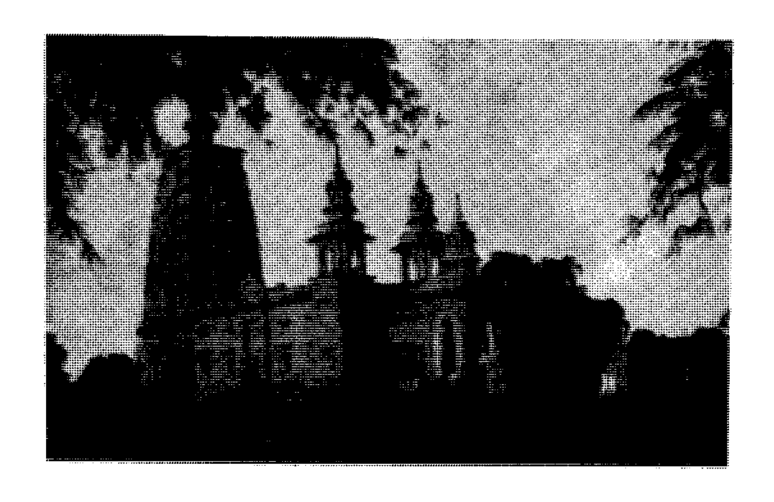
إلى مدينة بنارس

مدينة (بنارس) واقعة في ولاية أخرى غير ولاية بيهار هي (إترابراديش)، وهي ولاية كل الكلام عليها في كتاب: " **شمال الهند** ".

وبنارس هي مدينة مقدسة عند الهندوكيين لذلك يسمونها (هولى ستي) بمعنى المدينة المقدسة.

وقد يغالون في ذلك فيسمونها (مكة الهند) يريدون أنها بالنسبة إلى الهنادكة، مثل مكة المكرمة بالنسبة للمسلمين.

وهذه المنزلة الدينية الرفيعة لمدينة (بنارس) في نفوسهم هي منزلة قديمة عرفناها مشافهة من إخواننا الذين قابلناهم فيها ومن غيرهم من أهل الهند.



معبد هندوكي في بنارس

ولم أر ذلك مكتوباً مفصلاً في كتب المتأخرين من علمائنا المسلمين من خارج الهند إلى أن وقعت عليه في كتاب للعالم العبقري أبي الريحان البيروني في كتابه الفذ " تاريخ ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة" الذي كتبه قبل ألف عام.

وعندما قرأته عجبت من علوّ الهمة في المعرفة عنده وأمثاله من علماء المسلمين، ومن تقاعس المسلمين المعاصرين في الحرص على اكتساب المعارف عن الشعوب الأخرى المغايرة لهم _ ويكفي أن أسوق نص كلام البيروني على ذلك لتتصور ما ذكرته.

وقد رأيت أن يكون ذلك في مقدمة الكلام على هذه المدينة المهمة العريقة من مدن الهند، مع ملاحظة أن اليوميات لم تخل من ذكر شيء من ذلك اقتضتها المناسبات، وأن البيروني عندما ألف كتابه لم يكن المسلمون قد انتشروا في الهند، وإنما كانوا موجودين في أماكن من السند وقرب ملتان في البنجاب، لذلك كان كلامه على الهنادك الكفار .

قال البيروني في "تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة" (ص ٤٦٥):

وللهند مواضع تعظم من جهة الديانة مثل بلد (بارانسي) فإن زهادهم يقصدونه ويلزمونه لزوم مجاوري الكعبة بمكة، ويحرصون على أن تأتيهم فيه آجالهم، لتكون عقباهم بعد الموت خيراً، ويقولون: إن سافك الدم مأخوذ بذنبه، مكافى على جرمه، إلا أن يدخل بلد (بارانسي) فينال فيه العفو والغفران.

ثم ذكر خرافة عن آلهة الهنود في سبب تقديس (بنارس) أو (بارانسي) كما سماها فقال:

يزعمون في سببه أن (براهم) كان ذا أربعة رؤوس في الصورة، وأنه وقع بينه وبين (شنكر) وهو (مهاديو) شرٌ فأدت المنازعة بينهما فيه إلى اقتلاع أحد تلك الرؤوس منه، وكانت العادة وقتئذ أن يتخذ رأس المقتول بيد القاتل، ويبقى معلقاً منها للخزي والعلامة، وكذلك التحم، فخف رأس (براهم) وكان يطوف به في مقاصده ومنصرفاته، لا يزاوله فيما دخل من

البلاد إلى أن بلغ (بارانسي) وسقط الرأس من يده لما دخله، وبان عنها. اهـ كلامه.

و(مهاديو) هو كبير آلهة الهندوك.

و(بارانسي) هي بنارس - وسيأتي توجيه هذا الاسم .

وعن حالة بناريس في العهد القريب، قال السيد عبد الحي الندوي والد العلامة المشهور السيد أبي الحسن الندوي في كتابه: (الهند في العهد



نهر الكنج عند بنارس

"بنارس" مدينة مشهورة في الهند، لكونها عاصمة دينية للهنادك، موقعها على الضفة اليسرى من "كنك" في عرض ٢٥ درجة و٣٤ دقيقة شمالاً، وطول ٨٣درجة و دقيقة واحدة شرقاً، وهي مدينة البراهمة، فيها كثير من الهياكل، عددها ليس أقل من ألف هيكل، وأشهرها هيكل "شيو" الذهبي، إلا أنه ليس بجميل جداً، و"دركاكند" وهو هيكل القردة المقدسة عندهم، والهنادك يحجون إليها من أقطار البلاد، ويزعمون أنه من

مات بها نجا لا محالة، وهي مركز لتجارة متسعة في "الشيلان"[1] والبفتة والألماس وغير ذلك .

وفيها مرصد بناه "راجه جى سنكهـ" في أيام محمد شاه الدهلوي، وهو بناء عظيم يحتوي على آلات فلكية غريبة، ورسوم شرقية للأجرام السماوية، وفيها مدرسة عظيمة للهنادك يتعلمون بها "سنسكرت"[2] وفيها جوامع كثيرة، أشهرها الجامع الذي بناه عالم كير.

من بتنه إلى بنارس :

توجهنا إلى محطة القطار في بتنه للسفر إلى مدينة بنارس، ولبثنا بعض الوقت في المحطة تضايقنا فيه من الحر الشديد، والزحام المؤذي، وعدم نظافة المحطة .

وفي الساعة الواحدة إلا عشر دقائق ظهراً ركبنا القطار في الدرجة الأولى التي هي في الحقيقة تساوي الدرجة الثالثة في البلدان الراقية بل تقل عنها، في غرفة منه جاملنا إخواننا الذين كانوا في وداعنا فذكروا لناظر تلك العربة من القطار أننا وفد نستحق من الهنود التكريم، فكان أن جاملنا هو أيضاً مشكوراً في أنه لم يدع أحداً يركب معنا فيها.

وكان الجو حاراً والغرفة في القطار فيها مروحتان؛ إحداهما تتوقف في بعض الأحيان. وكان السموم الذي يأتي من نوافذ القطار حاراً مضايقاً، وكان باب الغرفة مغلقاً منعاً من أن يدخل أحد الركاب إليها فيشاركنا الجلوس فيها، أما مناظر الأرض التي يخترقها القطار فهي كلها خضراء خضرة الحقول لا خضرة طبيعية ما عدا المساحات التي كانت مزروعة

---

(١) الشيلان: جمع شال، وهو كالرداء من قماش ثمين. والبفتة: نوع من القماش القطني الأبيض.

(٢) هي اللغة السنسكريتية.

بالقمح فإنها خالية، إلا أن أكداس القمح تشاهد في أكثر الأمكنة، أما الأشجار الكبيرة العالية فهي قليلة.

وقد أخبرونا أن الرحلة ستستمر ست ساعات إلى بنارس، لأن القطار يقف في بعضها. وأهم محطة وقف فيها اسمها (مُغُل سراي) أي: قصر المغول، أو محل حكم المغول، وهذا من بقايا آثر حكم المغول المسلمين لبلاد الهند. وهي محطة لتجمع القطارات وتحويلها في تلك المنطقة.

وقد دخلنا الآن حدود ولاية (إترابرادش) أو (يو. بي) كما يختصرونها، أكبر الولايات الهندية من حيث عدد السكان، وتقع فيها مدينة بنارس، ولكن عاصمتها مدينة لكنهو كما سبق.

وازدادت العناية بالمزروعات، فكنا نرى المنسق المنظم منها خلاف ما عليه الحال في ولاية بيهار، أو في بعض أجزائها. إلا أن المستنقعات الصغيرة لا يزال يوجد لها بعض الآثار، هذا ولازال السموم يصلينا ناراً حامية، والقطار ليس فيه مما يشرب أو يؤكل شيء، وما عليك إذا احتجت شيئاً من ذلك إلا أن تطلبه من الباعة المتجولين الذين ينتظرونك في المحطات، وهم إذا رأى المرء حالة ثيابهم وأجسادهم نفرت نفسه عن الطعام والشراب، فكيف بما يقدمونه ؟ وفي تمام الساعة السادسة والنصف عصراً وصلنا إلى:

مدينة بنارس:

وأصل تسميتها مأخوذ من كونها تقع بين نهرين، أحدهما يسمى بارنا، والآخر نهر الكنج، الذي يوجد على ضفته مكان يسمى السي، لذلك قيل (بارناسي) التي تحولت إلى (بنارس).

وجدنا في استقبالنا في محطة القطار عدداً من المشايخ والطلبة يتقدمهم الشيخ عبد الوحيد عبد الحق الأمين العام للجامعة السلفية المركزية في

بنارس وبعض المشايخ الذين كانوا قد تخرجوا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما كنت أعمل فيها، حيث علموا بقدومنا من إخواننا في درمنقها، ووجدناهم قد حجزوا لنا غرفاً في فندق (كلارك هوتيل) وهو من فنادق الدرجة الأولى.

وقالوا لنا: سنترككم تستريحون لمدة ساعة، ثم يكون العشاء في بيت الشيخ عبد الوحيد، وهكذا كان، إذ جاءتنا السيارات ودخلنا منزله المكون من أربع طبقات، الطبقة الأرضية منه مخصصة للرجال، والباقيات للنساء ومحارمهن، وهو يقع في وسط حي المسلمين، والشيخ عبد الوحيد له عشرة إخوة كلهم يقيمون حوله، وكلهم متزوجون ولهم أولاد، ويقولون إن أسرته التي ترجع إلى جد لهم يقال له عبد الرحمن تعد أكثر من ثلاثمائة شخص.

ويشتغلون في تجارة الحرير الذي يقوم المسلمون والمسلمات على صناعته في بنارس، وفي بلدة (مباركفور) القريبة منها، ويصنعون الساري الجيد منه، ويصدرونه إلى بقية المدن في الهند وإلى الخارج، وأكثر الذين يشترونه ويستعملونه هن النساء الهندوكيات، لأنهن يلبسن الساري أكثر من المسلمات.

وقد تناولنا العشاء في بيت الشيخ على الطريقة العربية، أي على الأرض، وقال لنا: إننا لم نضع فيه فلفلاً من أجلكم، وكان طعاماً شهياً مكوناً من لحم الضأن والدجاج والأرز والخبز الهندي الذي يسمونه (شباتي) ويصنعونه في البيوت على التنور، واللبن الرائب إلى جانب الخضراوات، ثم الحلوى الهندية من نوعين، والفواكه.

وحضر تناول الطعام معنا زهاء عشرين رجلاً.

وكان الطريق من الفندق الذي يقع في ضاحية المدينة إلى بيت الشيخ

عبد الوحيد في حي يسمى (مادنبره) صعباً جداً مثل ما عليه الحال في أغلب المدن الهندية غير الرئيسية بسبب الزحام الشديد من الدراجات العادية وعربات الركشا وبعض المارة الذين يخيل لمن يراهم أنهم لم يسمعوا بالسيارات قبل ذلك، لأنهم لا يبتعدون عن طريقها إلا بعد جهد جهيد من السائق. وكان زعيق منبه السيارة يكاد يكون متصلاً حتى وصلنا مما أزعجنا نحن الراكبين، فكيف بالمشاة ؟



شارع مزدحم داخل مدينة بنارس

يوم الجمعة ١١/٥/١٣٩٧ - /٤/١٩٧٧م.

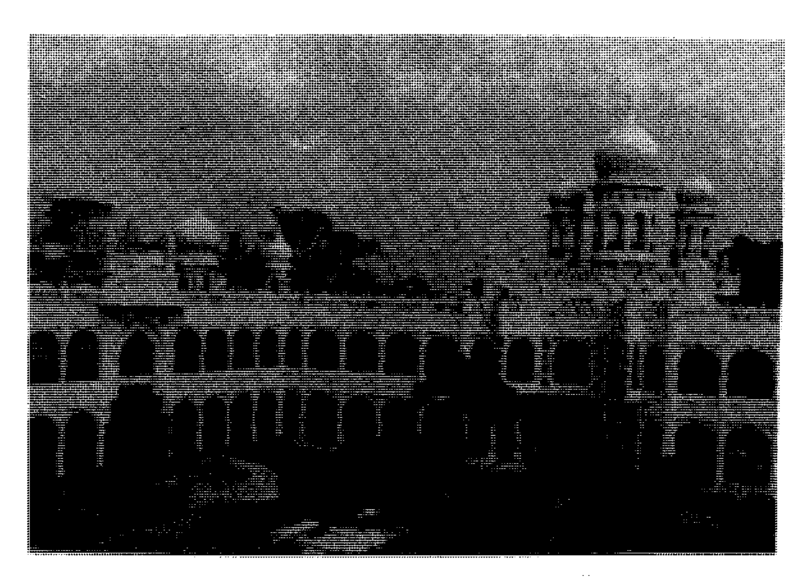
معبد القرد:

في الطريق إلى بنك الدولة في الهند لصرف بعض الدولارات أشار مرافقنا الشيخ عبد القدوس عبد الأحد إلى موضع من ركن جدار وقال: (معبد القرد)، ولكننا لم نتبين أمره، فقال: سأريكم إياه بعد ذلك.

ودخلنا البنك، ولما دخلنا في المكتب المختص بالصرف احتفى بنا الموظفون لغرابة ملابسنا، ولما أكثروا من ذلك لاحظ أحدهم ذلك وقال: أكثر عملائنا هم من الأوروبيين، أما العرب فإنهم نادراً ما يأتون إلى بنارس. فقلت: إن العرب الذين يأتون إلى الهند يقتصرون في الغالب على المدن الكبيرة مثل بومبي ودلهي وكلكتا.

وقال أحدهم: إنني مسرور جداً لرؤية الزي الوطني لبلادكم، وإنه لجميل. ثم أخذوا يسألوننا عن الطقس والعمل وعن اللغة، وعن كل شيء، وكأنما نحن جئنا من عالم آخر.

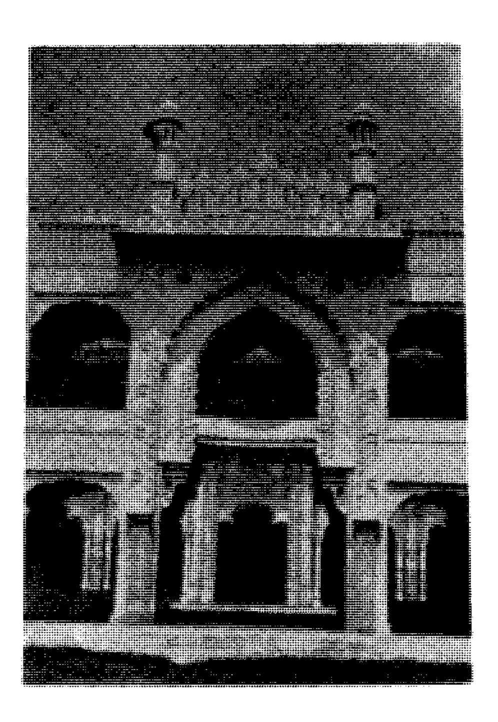
الجامعة السلفية:



فصول الدراسة وسكن الطلاب في الجامعة السلفية في بنارس

توجهنا عصر اليوم إلى مقر الجامعة السلفية في بنارس، وهي التي تسمى جامعة أهل الحديث المركزية في بنارس، وقد وجدنا فيها الشيخ الجليل المحدث الكبير عبيد الله الرحماني المباركفوري رئيس الجامعة، والشيخ عبد الوحيد عبد الحق الأمين العام للجامعة، والدكتور أبو العباس الحريري، والدكتور مقتدي الأزهري، وجمعاً من وجهاء المسلمين في بنارس، إلى جانب المدرسين والطلاب.

فأخذونا في جولة على أقسام الجامعة، زرنا مساكن الطلبة والمكتبة العامة التي يقل في بلادنا من الكليات ما يكون لها مثلها. ومبنى المسجد الجامع الذي لم يتم بناؤه، وفصول الدراسة، وباحات الجامعة. وهي مكونة من طابقين، ولها مدخل من بوابة ذات شكل أندلسي رائع، ولها أربع قباب في أركانها ذات هندسة مغولية، وقد زينت أركانها بالزهور والنباتات ذات الخضرة الدائمة، قد وضعت في جرار من الفخار معلقة على الجدران الخارجية في مستوى قامة الرجل دون أن يؤثر ذلك على الجدران بشيء من التشويه.



مدخل المسجد في جامعة بنارس

وبعد ذلك توجهنا إلى قاعة المحاضرات الكبيرة الجميلة البنيان، والتي يرتفع سقفها إلى مستوى أربعة طوابق، إلا أنها دور واحد ماعدا شرفات داخلية في مقدمتها ومؤخرتها، أما أبوابها فقد زين ما يليها بزجاج ملون بديع.

والحقيقة أن من يرى مباني هذه الجامعة واستعدادها العظيم لا يصدق أن ذلك كله تم بتبرعات من تبرعات المسلمين، إذ كثير من المعاهد التابعة للحكومات لا تستطيع أن تكون كذلك.

وقد أقاموا حفلاً خطابياً تضمن كلمات الترحيب والتعريف بالجامعة، ثم ألقى كل واحد منا كلمة مناسبة، فحان وقت صلاة المغرب، فصليناها معهم، وبعد ذلك قدموا الشاي ومعه الحلوى وبعض المكسرات الهندية.

جولة في مدينة بنارس:

مدينة بنارس: مدينة مقدسة للهندوكيين، يسمونها المدينة المقدسة (هولي ستي) ولذلك تكثر فيها المعابد الهندوكية بأشكالها الهندية الغريبة التي لا يرى فيها من هو مثلي شيئاً من الذوق في البناء أو جمال التصميم، وربما كان مرجع ذلك إلى اختلاف الذوق أو الاعتياد على النظرة الفنية.

والمعابد الهندوكية تتفاوت في صغرها وفي كبرها حسب عدد ما يزعمون من آلهتهم التي لها تماثيل فيها، وقد طلبنا من إخواننا أن يرونا أحد المعابد من الداخل، فقالوا: إن الهنادك لا يسمحون لأحد من غيرهم أن يدخلها. ولما سألناهم عن السبب في ذلك ولماذا لا يكونون كالمسلمين والمسيحيين والبوذيين في السماح بدخول أماكن العبادة لغيرهم ؟ قالوا: إنهم يقولون: إن آلهتهم تهرب إذا دخل المعابد غريب عن ديانتهم. فقلنا لهم: أي آلهة هذه التي تفر من الأغراب ؟

فقالوا: لقد قلنا ذلك، فكان جواب الهندوكيين قولهم: إن آلهتهم تهرب من المعابد إذا دخلها غير هندوكي، لأن غير الهندوكي نجس، فهي

تهرب منهم لهذا السبب، ومن الطبيعي في هذا المنطق المعوج أنهم لا يريدون أن تهرب آلهتهم من معابدهم فتبقى خالية من جماعة الآلهة.

ويحكي إخواننا في هذا الصدد قصة طريفة حدثت في نيبال، وهي أنه اجتمع المسلمون في العاصمة كتمندو، وبنوا مسجداً فيها، والأكثرية في نيبال يدينون بالديانة الهندوكية، وكان المسجد بالقرب من معبد للهندوكيين، فكان مَن في المعبد يسمع صوت الأذان، فخشي الهنادك أن تهرب آلهتهم من سماع صوت المؤذن، فرفعوا الأمر إلى ملك نيبال وهو هندوكي مثلهم، وقالوا له: إنه يجب إغلاق المسجد، وإيقاف صوت الأذان منه لأن آلهتهم تهرب من صوت المؤذن. فقال لهم: إن إلهاً يهرب من صوت المؤذن هو إله جبان، ولا مكان في نيبال للجبناء، فليذهب إلى بلاد أخرى !.

أرأيت هذه الترهات التي إذا سمعها المسلم لا يزيده ذلك إلا تمسكاً بدينه، وإيماناً بربه الواحد الأحد، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

كانت جولتنا في مدينة بنارس بعد المغرب، وعلى أسواق البيع والشراء، ولاحظنا أن مدينة بنارس نظيفة نظافة نسبية، أو أنها أكثر تنظيماً من كثير من المدن الهندية، إلا أنها دون مدينة بنقلور الجنوبية بمراحل[1].

وكذلك فإن عدد المتسولين والزمنى فيها لا يبدو كثيراً.

موسم الزواج:

خلال الجولة الليلية لاحظنا كثرة الأنوار الكهربائية الملونة رغم ضعف الكهرباء وقلتها في جميع بلاد الهند فقالوا لنا: إن هذا هو موسم الزواج عند الهندوكيين، وإنهم يستأجرون لهذه الأنوار مولدات كهربائية خاصة، ووددنا أن نرى شيئاً من مراسم الزواج وسرعان ما جاءنا الجواب:

(١) ذكرت زيارتي لمدينة بنقلور في كتاب: (جنوب الهند) وهو كتاب مطبوع.

فقد سمعنا قرع الطبول خلفنا، فإذا الموكب مقبل من الشارع تتقدمه فرقة موسيقية، يقدر عدد أفرادها بخمسة أشخاص معظم آلاتها الموسيقية وأكثرها صوتاً الدفوف، تضرب موسيقاها يتلوها عدد من الرجال والنساء حاملين تماثيل أظنها من البلاستيك لآدميين أصغر من الحجم الطبيعي، وبعضها لأشياء أخرى لم أعرفها، فلم يكن بالإمكان فحصها، يتبع أولئك الحاملين عربة نارية مجللة بقماش يتقدمها تمثال لرأسين بالرقبة لحصانين أمامها، كأنها تمثل بذلك العربة التي يجرها الحصانان، وفي داخل العربة جلس العريس: شاب في مقتبل العمر قد لبس لباساً يشبه لباس ملوك المغول على رأسه عمامة ليست لها ذؤابة؛ أي طرف بارز من الأمام، وعذبة أي: طرف بارز من الخلف، وقميصاً يضرب إلى ما فوق الركبتين فيه أزارير من الأمام كلها مغلقة، وسروالاً يضرب إلى القدمين وهو محاط بالأنوار الكهربائية التي تحملها العربة معه.

وخلف الموكب جماعة من حملة الأنوار الكهربائية البيضاء (الفلورسنت). والموكب يمشي الهوينا على أنغام الموسيقى، ومع العريس في العربة جلس آخر قالوا إنه يكون قريبه في العادة. والمارة يقفون من رجال وناس يتفرجون ويرقبون، فيتعطل السير لفترة، ويكاد لا يسير، والسير هنا أكثره من الدراجات العادية وعربات الركشا.

وصادف خلال وقوفنا أن نزل العريس من عرشه أو عربته وقصد ما يشبه الكشك الذي يقف عليه الجندي إلى جانب الطريق في الشارع العام، وتبين أنه قصد تمثال آلهة من آلهتهم، فوقف أمامه ونحن ننظر، وأطبق كفيه وهما مفتوحان وجعلهما أمام وجهه على طريقة التحية الهندية، وأومأ بالسجود لتمثال إلهه المزعوم مرتين أو ثلاثاً، ثم عاد إلى عربته بين جمهور من الواقفين والواقفات في الشارع، ثم واصل موكبه بسيره الوئيد.

هذه صورة واحدة.

وشاهدنا صورة أخرى لموكب زواج آخر، كان العريس ومعه شاب آخر جالساً في سيارة قد جللت بأطواق الزهور التي يغلب عليها اللون الأصفر والأبيض، وأمامه الفرقة الموسيقية، وتضم حملة الأنوار الكهربائية.

وثالثة لموكب أكبر مما سبق، كان العريس فيه على عربة حقيقية يجرها حصانان حقيقيان، كان سائقها شخصاً قد شاب شعره، عليه عقد من الزهور في عنقه، ما أن رآنا حتى أشار إلينا بالتحية كما يفعل الجنود، أما العريس ومن معه فإنهم خلفه في عربة تجللها الأنوار الكهربائية، وكان مع العريس أكثر من شخص واحد قالوا: إنهم أقاربه.

وصورة رابعة لعرس يذكر أنه لمسكين، إذ كان على دراجة عادية ذات ثلاث عجلات، وكان عدد الموسيقيين قليلاً، وعدد حملة التماثيل أقل

على أن القاسم المشترك في كل هذه المواكب هم حملة التماثيل الذين لا يخلو موكب منهم يحملونها وهم مشاة. وقال لنا إخواننا من المسلمين: إنهم يحملونها إلى بيت الزوجة، ولما سألتهم عما إذا كان لها علاقة بآلهتهم لم يعرفوا، ولكنني لم ألاحظ منها تمثالاً لمعبودهم القرد الذي سيأتي ذكره.

وهذا الموسم هو موسم الزواج عند الهندوكيين منذ القدم، وهو لمدة ثلاثة أشهر هي: إبريل ومايو ويونيو، وأكثرها مايو، والسبب في ذلك أنهم في هذه الأشهر الثلاثة يكونون قد فرغوا من الزراعة، ويكونون قد حصدوا الغلة، أو هم يحصدونها، ويكونون لم ينشغلوا بالزراعة الفصلية الجديدة.

هذا هو الأصل، ولكنهم محافظة على طقوسهم أو جموداً على هذا التقليد يتبعون هذا التقليد وهم في المدن ولا زراعة فيها.

الموت والحياة:

مظهر الزواج مفرح حتى لمن لم يتزوجوا، لأنه من دلائل الحياة، فهكذا كانت شوارع بنارس التي جلنا فيها هذه الليلة، تحفل بهذا المظهر

من مظاهر الحياة، ولكننا رأينا فيها مظهراً آخر لهذا الوجود هو مظهر الموت، وهو مظهر محزن حتى لمن لا يعنيهم من أمر الميت شيء.

على أن الموت لا بد منه لاستمرار الحياة، لأن التجديد لا يكون إلا بعد هدم، ولولا الشيخوخة لما عرف قدر الشباب، كما أنه لولا الظلام لما قدر النور قدره. قال الله تعالى: ﴿ الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾. فلنذكر ما رأيناه أنا وأصحابي في هذه الليلة.

سمعنا صوتاً لجماعة قليلة تردد ما يشبه النشيد المكرر، كأنها تهتف في مظاهرة، فأسرع أخونا ومرافقنا في هذه الجولة الشيخ عبد الرحمن بن عبيد الله المباركفوري، من علماء مباركفور قرب بنارس وهو يقول: إنها جنازة للهندوكيين، فأسرعنا باللحاق بها، ولم نحتج إلى الإسراع إذ هي تمشي وئيداً، رأيناهم في مقدمتهم في الصف الأول شيخ واحد كبير السن، يليه أثنان صفاً واحداً، ثم النعش يحمله أربعة رجال، وهو ليس ببعيد في شكله من النعش في بعض البلاد العربية، إذ هو على شكل قبر مسنم الظهر، إلا أنه تتدلى في أسفله عدة مناديل، وخلف الجنازة هناك ثلاثة رجال أو أربعة، ثم عدة صبيان في حدود ٤ أيضاً. وكلهم يرددون هذه الجملة: (**رام نام سَتّى هي**) ترجمها لنا إخواننا فقالوا: (رام) هو كبير الآلهة في ديانتهم، و(نام) هي اسم في الأوردية والهندية، وهذه الكلمة أعرف معناها بالأوردية منذ سنوات، و(ستى) تعني حق، و(هي) وصلة تأتي في اللغتين الأوردية والهندية لبيان نهاية الجملة. فترجمة ما يقولونه ويرددونه هي: (رام: اسمه حق). وهم لا يفترون ولا يغيرون نغمتهم ولا يفصلون بينها بفاصل.

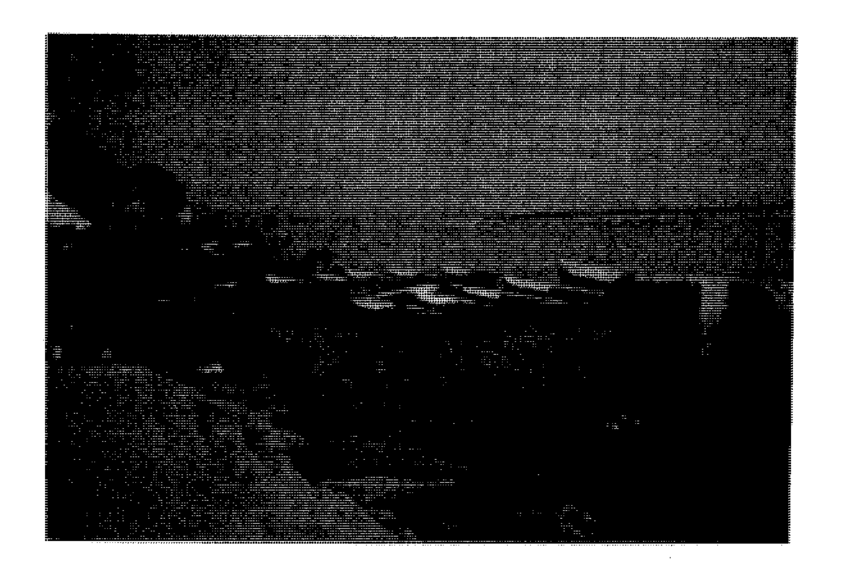
وهؤلاء من أهل بنارس ذاهبون بهذا الميت إلى قرب نهر الكنج، الذي يسمونه القانقا ليحرقوه بعد ذلك، ويضعوا رماده في النهر.

ولما سألتهم لماذا لا يكون معه أشخاص كثيرون ؟ أجابوا بأن الهندوكيين ينفرون من الميت ويخشون قربه، وكثيراً ما يخرجون المحتضر

المخطوفة وقطع البحر، وأشعل النار في موضع راوون الخاطف، وأتى بزوجة إلهم المخطوفة إليه.

أرأيت هذا الإله الذي ينجده القرد كيف يستحق العبادة ؟

إن الإنسان إذا سمع ذلك يحمد الله تعالى على نعمة العقل، وإذا أمعن النظر، وأجال الفكر حمد الله تعالى أكثر من ذلك على نعمة الدين الحق.



ميناء القوارب على نهر الكنج

وعندما قاربنا الوصول إلى النهر حيث ينتهي سير السيارات، وجدنا جمعاً من إخواننا المسلمين في الانتظار، وهم الشيخ عبد الوحيد عبد الحق والشيخ محمد زبير عبد المتين والشيخ عبد الرحمن عبيد الله الرحماني المباركفوري والشيخ عبد السلام البستوي والحافظ أنيس الرحمن العمري، وعندما وصلنا إلى النهر كان قد بقي على شروق الشمس نحو عشر دقائق، ووجدنا ضفة النهر صاخبة مليئة بالناس من مختلف الأعمار، بعضهم يسبحون في النهر، وبعضهم قد نزلوا فيه يغتسلون، لم يظهر منهم إلا رؤوسهم، وقد اختلط الرجال بالنساء إلا أن النساء كلهن قد نزلن بكامل

ثيابهن المعتادة وليس بلباس الاستحمام، وبعض الناس يغسلون ثيابهم في النهر، وأكثرهم متجه بنظره إلى موضع طلوع الشمس يترقبون طلوعها، ومكبرات الصوت المنتشرة على تلك البقعة من الشاطئ تجلجل بترانيم دينية هندوكية لا يتغير نصها: هرى رام، هرى كريشنا، هرى رام، هرى كريشنا . ومعناه: ليدم رام وكريشنا متجدداً. ورام وكريشنا من كبار أربابهم، وهم يرددونه بصوت رتيب وبنغمة لا تكاد تتغير، وبمصاحبة موسيقى مجلجلة فيها شيء من الحزن ممزوجاً بشيء من الخوف، أو هكذا خيل إلينا .

وكان الشاطئ غاصاً بالناس وأكثرهم جاء للتعبد وهم الهندوكيون، وأقلهم من السياح الأجانب الذين جاؤوا ليشهدوا هذه الطقوس الغريبة. وأسرع أرباب القوارب يعرضون قواربهم، وتم الاتفاق مع أحدهم بمبلغ خمس روبيات أي ريالين تقريباً وأن يجدف بنا في النهر جيئة وذهاباً مع التيار وضده، كل ذلك بريالين اثنين، ونزلنا في القارب ونزل معنا في قوارب أخرى جماعات من الأجانب.

وأخذ المراكبي يجدف بمجدافين اثنين في يديه كلتيهما وقد بدا عليه التعب وإن لم يكن شديداً، وهو يشرح لإخواننا بالأوردية ما يستحق الشرح فهو بمثابة دليل لنا إلى كونه مراكبياً.

ويسير بنا القارب قريباً من الضفة التي هي الضفة الشمالية للنهر من جهة الغرب عكس اتجاه النهر الذي يأتي من الغرب ويذهب إلى الشرق في تلك المنطقة.

يسجدون للشمس من دون الله :

أخذ موعد شروق الشمس يقترب، وقد استعد الهندوكيون له، بعضهم في الماء وبعضهم خرج منه وجلس على مدرجات الشاطئ الذي جعل بمثابة درج

من الحجارة القوية، وتربع بعضهم وجلس بعضهم متوركاً، ونحن نرقبهم كما يرقبون الشمس، إذْ أخبرنا الدليل أنهم يسجدون للشمس عند شروقها.

وعندما أشرقت الشمس علت أصواتهم، وأخذوا يومئون بالسجود للشمس إيماءً رافعين أكفهم إلى ما تحت الوجه كما يفعلون في تحيتهم الهندية العادية، وأخذوا يرشون الشمس بماء النهر، أي: يرمون بالماء إلى جهة مطلع الشمس إعظاماً لها وإجلالاً.

وجددنا الحمد لله والشكر مرة أخرى على نعمة العقل والدين.

كل ذلك ومكبرات الصوت تواصل نغماتها الرتيبة بدون كلل أو ملل وقد كنا نرى على البعد جهة الشرق دخاناً متصاعداً قالوا: إنه مكان حرق الموتى، فقلنا: أيمكن أن نراه ؟ فأجابوا: نعم: إن ذلك من ضمن الخط المرسوم للجولة. وسيحين وقته فيما بعد.

ومررنا بفوج من الناس رجالاً ونساءً مختلطين، وهم يغتسلون بماء النهر، فقالوا: إنهم من أهل مدراس في جنوب الهند، فقلنا لهم: لماذا يكونون وحدهم وهم كلهم أتباع دين واحد ؟ فأجابوا: لأن أحد ملوكهم قد أوقف عليهم منزلاً على هذا الجزء من الشاطئ فهم ينزلون فيه وينحدرون إلى النهر مما يليه.

حتى المسلمون يستحمون في النهر:

ثم مررنا بقوم من الرجال والفتيان ليس بينهم امرأة واحدة، وهم يسبحون في النهر أو يستحمون من مائه، فقال لنا إخواننا: إنهم من المسلمين. فسألناهم: لماذا يأتون وهم غير مهتمين بما يفعله الهندوكيون ؟ فقالوا: إنهم لا يفعلونه تعبداً ولا تقرباً، ولكن الفصل فصل الصيف والحر شديد، وقد جاؤوا إلى النهر من الموقع الموازي لمنزلهم في بنارس، وهي من هذه الضفة غير بعيدة، وهم بالكفار غير مختلطين.

فقلنا: ولكن خروجهم في هذه الساعة وعلى تلك الصفة لا يليق، فقد يظن بعض الناس أنهم مثلهم. فأجابوا: ذلك لن يظن، لأنهم متميزون معروفون وهم عنهم في المساكن والمسابح بعيدون.

أوروبي يتهندك:

رأينا على ضفة النهر أوروبياً أبيض قد لبس لباس الرهبان من الهنادك، وجلس متربعاً واضعاً يديه على ركبتيه ومستقبلاً الشمس متعبداً لها مثلهم، وقد حلق جميع شعر رأسه، إلا جزءاً من أعلاه.

فسألنا عنه لأنه متميز عن أهل الهند بلونه الذي لا يخفى. فقالوا: إنه أوروبي اعتنق الهندوكية، وهو يظهر ذلك، أو هو يجربها قبل أن يقدم على الاستمرار في اعتناقها، فمن يدري؟

مشاعر متضاربة:

هذا والنهر كبير أقدر عرضه بنصف عرض نهر النيل، أو ما يقرب من ثلثي النيل، وضفته الشمالية بنيت على شكل درج من الحجارة منعاً لها من الانهيار عندما يفيض النهر في موسم الأمطار، ما عدا جزءاً منها تقول خرافاتهم إنهم كلما بنوه تهدم، حتى تركوه اعتقاداً منهم أنه لا يمكن بناؤه، وتقوم على هذه الضفة المعابد الهندوكية الضخمة والمنازل والقصور، والضفة ترتفع تدريجياً أظن مرجع ذلك إلى وجود مرتفعات طبيعية في أرضها في القديم.

ومنظر تلك المعابد الهندوكية ذات اللون الداكن إلى جانب هندستها التي لا تميل إليها النفس مع أصوات الموسيقى والتراتيل الرتيبة غير المفرحة إلى جانب الدخان الذي يقولون إنه متصاعد من جثث الأموات الذي يرى على بعد، مما يجعل النفس تتقزز ولا ترتاح، إلا أن أفواج السابحين والمغتسلين وأصواتهم التي منها أصوات صبيان وصبايا وأطفال ولعبهم بالماء وقفزاتهم

الخفيفة فيه، إلى جانب إشباع غريزة الاطلاع مما يبهج النفس ويبعث بها أثراً يعادل بها الأثر السابق.

الفرق بين ضفتي النهر:

رجع بنا صاحب القارب أدراجه، فبعد أن كان متجهاً إلى الغرب أي عكس التيار عاد إلى التجديف بقاربه جهة الشرق، وأخذ يحدثنا عن النهر وهو هندوكي الديانة، ويقول: هذه الضفة الشمالية ماؤها طاهر، بل مقدس، والميت الذي يغمس فيها ويتطهر قبل حرقه يبعث ملَكاً، أما الضفة الأخرى الجنوبية فإن ماءها لا يطهر، والميت الذي يغمس فيها يبعث حماراً، ولذلك ترى الناس كلهم يغتسلون من مياه الضفة الشمالية، ووجدنا أن قوله صحيح في هذه النقطة، فلم نر شخصاً واحداً على الضفة الجنوبية، وكدت أن أسأله عن حدّ الضفة المطهرة، وعما إذا غمس الميت في نقطة بينهما، أيبعث ملكاً أم حماراً؟ ولكنني عدلت عن ذلك لكونه رجلاً عامياً يقول ما يسمع، وإلا فالعقل يقول بالعكس. وذلك بأن الضفة الشمالية هي التي تأتي إليها الأوساخ من مجاري البيوت القائمة عليها، وقد رأيت عدداً منها يسيل إلى النهر لأنها أعلى منه بكثير، ولأنها هي التي يرمى إليها بالبقايا من حرق الموتى من رماد وفحم وأشياء لم يتم حرقها، ولأن الناس أجمعين يستحمون فيها. أما الضفة الجنوبية فلا يصل إليها شيء من ذلك أصلاً، على أن النهر كبير وجار، وربما لا تبقى فيه الجراثيم والمكروبات، ولكن هذا من باب القياس، والدليل على ذلك أن مدينة بنارس تشرب من هذا النهر، ولكنهم يقولون إنهم يصفون الماء ويطهرونه قبل إسالته إلى المدينة.

فاتنا أمهم:

مر القارب بنا برجل في سن الخمسين وهو يستحم من ماء النهر ويبالغ في الاستحمام، ويأخذ الماء بيديه ويشرب منه، يكرر ذلك مراراً ويدلك شعره، فلفت فعله نظرنا، فكلمه سائق القارب وأحد الإخوة المسلمين بلغته:

لماذا يبالغ بالاستحمام ؟ فقال بالحرف: (قانقا ماي) أي (قانقا أمنا) وقانقا هو نهر الكنج هذا الذي نتكلم عليه، وقوله أمنا يشير إلى غاية التعظيم عندهم لأنهم يعظمون الأم أكثر من أي أحد.

إلى مكان المحرقة:

لا يزال القارب يتجه إلى الشرق تاركاً الجانب المقدس عند الهنادك، وهو الجانب الشمالي منه إلى جهة اليد اليسرى، ونحن نقترب من دخان متصاعد يزيد اتضاحاً على القرب، والضفة عليها قصور وبيوت يبين عليها أنها لكبار القوم، وهي مبنية بالحجارة في بذخ ظاهر، وهناك معبد ليس على الضفة مباشرة ولكنه قريب منه بناه ملك نيبال وهو هندوكي الديانة جعل على أعلى جزء منه ذهباً خالصاً تراه من النهر.

ورأينا بعد ذلك بيتاً أبيض اللون، فأشار إليه صاحب القارب وقال: إنه بيت مدير الحرق أو قال: صاحب المحرقة، وقال: إنه هو المسؤول عن جميع ما يتعلق بحرق الأموات في هذه الناحية، وإنها مهنة ورثها عن آبائه، وقال: إنها تتم وفق طقوس ومراسم لا بد منها، وإنه لا يمكن أن يحرق ميت إلا بإذن هذا الرجل الذي يرى ما إذا كانت الأوراق المطلوبة لإتمام الحرق متكاملة الإجراءات أم لا.

وأضاف قائلاً: إنه غني كبير.

هذا والزوارق ترافق زورقنا أو تسبقه، وفيها سياح أجانب وبعض الهنود، ونحن نقترب من موقع الحرق، وأصبحنا نرى ألسنة اللهب وأنغام التراتيل الرتيبة الكئيبة تماشينا وتصم آذاننا، لأن مكبرات الصوت تساير ضفة النهر حتى يستقر أحدها قرب مكان الحرق.

كيف يتم الحرق ؟

فوصلناه ورأينا ميتاً قد قارب أن يتم حرقه، وبجانبه رجل عار من

كل شيء إلا خرقة على وسطه مع عود كبير من الحطب يقلب بقايا الميت على النار ويضرم بقايا الحطب، ويرد ما خرج منه إلى وسط النار، أو قل إنه يلملم أطرافه، وقال الرفاق: انتظروا لقد احترق الميت ولم يبق إلا رأسه، إنه يقلبه بعوده حتى يتم حرقه ويستريح منه بعد عملية مجهدة تستمر ثلاث ساعات متكاملة أمام نار مشتعلة، تأكل جسد ابن آدم متأنية غير مستعجلة.

أما الميت الثاني فكانت ناره قد خمدت وتم كل شيء ولم يبق إلا رماده ورماد حطبه، وسيلقونه في النهر، ولكنهم لم يفعلوا حتى الآن، ربما لكي يبرد الرماد.

وهذا الميت الموضوع الآن على درج الضفة وقد تبين لنا بعد ذلك أنه امرأة، إنه مربوط بأعواد مستطيلة مع طوله وأخرى معترضة، وملفوف بخرقة قرمزية اللون وقد قربنا منه جداً، حتى لم يبق بيننا وبينه إلا عدة أمتار، ليس فيها حاجز عن النظر، ونحن في النهر وهم على الضفة، وقد بالغ صاحب القارب بالعناية بنا، وأن يرينا أكثر مما يراه غيرنا، لأننا لم نر من في القوارب الأخرى يفعلون ما يفعله، وسوف نعرف لماذا صنع ذلك فيما بعد، هذا ورجال أربعة حول الميت واقفون في مكان الحرق الذي لا يجوز أن يكون فيه إلا أقارب الميت أو مساعد المسؤول عن العملية، وهو مكان مكشوف عادي محجوز من جهتين بموانع من الحديد كالتي تكون في الرصيف تمنع المشاة من النزول إلى الشارع، وأما الثالثة فهي التي منها المرور إليه لمن يجوز لهم ذلك، ولذلك أحسن وسيلة لمراقبة العملية هي المجيء من قبل النهر الذي يقع في الجهة الرابعة.

وقد جاؤوا بالحطب من كومة كبيرة معدة لذلك، وأخذوا يصفونه على الأرض صفاً عرضاً وطولاً، ثم حمل اثنان منهم الميت وغمسوه في ماء النهر ليتطهر من الذنوب في زعمهم، ثم حملوه ووضعوه على هذا الحطب

المصفوف، ثم أخذوا يصفون فوقه حطباً آخر، وهو خشب جزل سمكه في المتوسط سمك ذراع الإنسان، فلما أكملوا ذلك ولم يضعوا ما يخفي الميت إذ وضعوا فوقه أقل مما وضعوا تحته، ثم جاؤوا بشيء صبوه عليه، قال الإخوة المرافقون: إنه سمن من سمن الجاموس، وكنت أظنه بنزيناً أو نحوه مما يساعد على الاشتعال، وأخبرنا السائق أنه كلما كان السمن أكثر كان ذلك دليلاً على المكانة.

ثم ابتعد بقية الرجال ولم يبق إلا واحد هو أقرب الأقرباء من الميت، والظاهر أن الميتة التي نشاهدها هي امرأته أو والدته، وهو رجل في نحو الخمسين من عمره قد حلق جميع شعر وجهه ورأسه ما عدا جزءاً صغيراً في هامته قد تركه على شكل عرف الديك، وقد ارتدى ثياباً من قطعتين إحداهما حول وسطه، والأخرى على صدره وكتفيه، وكلاهما من غير المخيط، ثم أخذ معه بيديه بعض القش وأخذ يطوف بالميت وهو منكس الرأس عدة مرات، ثم أشعل القش ووضعه على الميت مع حطبه، فابتدأت النار تشتعل فيه ونحن ننظر، وانتظرنا قليلاً ثم تركناه، فليس باستطاعتنا أن نبقى مدة ثلاث ساعات حتى ينتهي الأمر، على أننا أتيح لنا أن نرى نهاية الاحتراق وبدايته ووسطه في ثلاثة أموات، أما الرابع فقد رأينا مكانه رماداً لا يزال.

ومما تتقزز منه النفس أننا رأينا كلباً يتشمم ثم يعالج شيئاً في فمه، قال الرفاق: إنه بقية مما لم يحترق من ميت، كما رأينا بعض الغربان مجتمعة في الموضع الذي يدخل فيه الرماد إلى النهر، قالوا إنها تبحث في هذا المكان عن بعض المتخلفات الآدمية.

وقد تصوّرت مدى فظاعة ذلك التقليد الهندوكي القديم، الذي كان يوجب على المرأة التي يموت زوجها أن تدخل مثل هذه النار وهي حية حتى تموت فتحرق جثتها مع جثته، وهو تقليد كان حقيقياً وحرمته الحكومة

الإنكليزية ثم الحكومة الوطنية، وإن كان في الأزمان الحديثة أقل من الماضي ولكنه كثير الحدوث، فطردت عن خاطري هذا المشهد الفظيع، ثم انصرفنا من هذا المكان متقززين، وبدأنا العودة إلى المكان الذي بدأنا منه ركوبنا لنرسي فيه، ولكن قارباً كان فيه بعض الأوروبيين أوقفه سائقه بجانب قاربنا وسأل الرفاق عنا من أي البلاد نكون ؟ فأخبروه، فقال: إني قد عملت في العراق وإيران، فسألناه هل تعرف شيئاً من العربية ؟ فأجاب بالعامية العربية: شوية.

ثم أخذ يشرح لنا ذلك السائق الدليل بعض تقاليد الحرق، فقال: إن هناك ناراً في المعبد دائمة الاتقاد، وإنه يؤخذ للميت ضراماً منها، وإن الملوك والأغنياء كانوا يوصون على إحراق أجسادهم بخشب الصندل الثمين، وأن الأمر اختلف الآن، إذ أصبح الناس يكتفون بأن يأخذوا شيئاً من نشارة الصندل، يضعونه على الحطب البالي إذا قدروا على ذلك، وقال: إنه إذا كان الميت ذكراً أو امرأة أرملة فإن القماش الذي يلف به يكون أبيض، وإذا كان امرأة ذات زوج فإن لونه يكون قرمزياً.

كل هذا وهو في قاربه، ثم ودعنا بالإشارة وانصرف.

وعلق بعض أصحابنا المسلمين على الحرق فقال: إن هندوكياً دخل في الدين الإسلامي بسبب هذا الأمر، وذلك أنه عندما أشعل النار في جثة والدته أسرعت النار إلى أكل القماش الذي عليها، فبدت له عورتها، فهاله ذلك، وعندما علم أن الدين الإسلامي يقضي بدفن الميت مستوراً قال: إن هذا هو الدين الحق. فأسلم.

ولما سألناهم عما إذا كان يوجد مسجد في منطقة هذه المعابد الهندوكية أجابوا: نعم إنه هناك. وأشاروا إلى ناحية شرقية من هذه الضفة الشمالية، فإذا به مسجد عال ذو قبة فخمة له ست منائر صغار غير مرتفعة لا تكاد تصل إلى نهاية ارتفاع القبة، وقالوا إنه كان ذا منارتين عاليتين كانتا

ترتفعان خمسين متراً، هكذا قالوا، وإن إحداهما سقطت على بعض البيوت المجاورة فضرتهم، فهدمت الثانية لئلا يكون منها ضرر، وإنه لا يصلى فيه الآن إلا صلاة التراويح في شهر رمضان، لأنه لا يوجد سكان مسلمون بالقرب منه، وقالوا إن الذي بناه هو الملك (أورنغ زيب) أحد ملوك المغول الذين حكموا الهند.

نحن راجات:

تكلم المراكبي وهو يشير إلينا بيده كلاماً بالأوردية ترجمه لنا إخواننا بقولهم: إنه يقول إنكم راجات، أي ملوك ووجهاء.

فقلنا له: شكراً. وإن كان يخادعنا بذلك عن بعض النقود فإننا سننخدع له راضين، وهكذا كان، فبعد أن وصلنا ضفة النهر ونقده الشيخ عبد الوحيد عبد الحق أجرته خمس روبيات أعطيناه من عندنا عشر روبيات، فتقبلها بسرور عظيم وقال: أرجو أن يكثر حضوركم إلى بنارس، وإذا جئتم فإنني هنا بانتظاركم كل صباح.

مزيد من عبادة الأصنام:

بعد خروجنا من النهر رأينا عدة معابد صغيرة في الشارع تتمثل في تماثيل لبعض آلهة الهندوك، مثل القرد (هنومان) و(سيتا) زوجة (رام) والبقرة وتمثال الفرجين الذكر والأنثى، ورأينا بعضهم يأتي إلى هذه الأصنام فيحييها بالسجود أو الدعاء، وقد يصب عليها قطرات من ماء النهر المقدس هذا، من إبريق معه لذلك، وقد يضع عليها شيئاً من الأزهار الأرجوانية الشكل، يشترونها من باعة هناك في الشارع، وأكثرهم من النساء، وقد يلقي بشيء من النقود في وعاء حولها.

ومن أطرف ما رأيت في هذا الجو المحزن منظر امرأة فقيرة تبيع قليلاً من الزهور في وعاء من الخوص، وإذا ببقرة تقبل عليها تريد أن تأكل

الزهور، فأسرعت المرأة برفعها من الأرض، لإنقاذها، ولم تستطع أن تضرب البقرة، لأن البقرة تعودت على أن يطاع أمرها في هذه البلاد وتكرم، لولا أن رجلاً من المارة ليس من المتدينين فيما يظهر رأى هذا المنظر فأسرع يحول بين البقرة وبين زهور تلك المسكينة.

من وحي الحرق في نهر الكنج:

فارقنا نهر الكنج (قانقا) وما فيه من أحياء يتبركون وبثيابهم يغوصون وأموات يحرقون، ولا تزال المعاني والأفكار، بل والألفاظ التي ذكرتها ترن في أذني، وتشغل ذهني، فقد رجعت إلى كتاب العلامة أبي الريحان البيروني عن الهند الذي كتبه قبل ألف عام، فوجدته يذكر شيئاً يتعلق بحرق الأجساد وشيئاً من الخرافات الهندوكية المتعلقة بنهر الكنج، وسبب تقديسه عندهم.

ويلاحظ أنه يكتب اسمه (كنكا)، وذلك لكونه يكتب الكاف الفارسية التي هي الجيم المصرية كافاً، وقد سمعتهم ينطقون بها بما لا يصح أن تكتب معه إلا قافاً، لأنها القاف المضرية - بالضاد المعجمة - وهي الجيم المصرية بالصاد المهملة، ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقول.

وقد استطرد أبو الريحان البيروني فيما يتعلق بحرق الأجساد إلى مذاهب أمم أخرى غير كفار الهند فقال:

حق الميت في جسده والإحياء في أجسادهم:

كانت أجساد الموتى فيما مضى من الأزمنة الأولى تدفع إلى السماء بأن تلقى في الصحاري مكشوفة لها، ويخرج المرضى إليها وإلى الجبال ويتركون فيها، فإن ماتوا كانوا كما قلنا، وإن أبلّوا رجعوا بأنفسهم إلى منازلهم، ثم جاء بعد ذلك من تولّى وضع السنن وأمرهم بدفعها إلى الريح، فأقبلوا على

بناء بيوت لها مسقّفة بحيطان مشبّكة يَهبّ الريح منها عليها على مثال الحال في نواويس المجوس، ومكثوا على ذلك برهة إلى أن رسم لهم "نارابن"[1] دفعها إلى النار، فمنذ ذلك الوقت يحرقونها فلا يبقى منها شيء من وضر أو عفونة أو رائحة إلا ويتلاشى بسرعة ولا يكاد يتذكّر.

والصقالبة في زماننا يحرقون الموتى، ويتخيّل من جهة اليونانيّين أنّهم كانوا فيهم بين الإحراق وبين الدفن، قال "سقراط" في كتاب "فادن" لما سأله "إقريطن" على أيّ نوع يقبره فقال: كيف ما شئتم إن أنتم قدرتم عليّ ولم أفرّ منكم، ثمّ قال لمن حوله: تكفّلوا بي عند إقريطن ضد الكفالة التي تكفّل هو بي عند القضاة، فإنّه تكفّل على أن أقيم، وأنتم فتكفّلوا على أن لا أقيم بعد الموت، بل أذهب ليهون على إقريطن إذا رأى جسدي وهو يحرق أو يدفن فلا يجزع ولا يقول: إنّ سقراط يخرج أو يحرق أو يدفن، وأنت يا إقريطن فاطمئنّ في دفن جسدي، وافعل ذلك كما تحبّ ولا سيّما بموجب النواميس.

وقال "جالينوس" في تفسيره لعهود "بقراط": إنّ من المشهور من أمر "أسقليبيوس" أنه وقع إلى الملائكة في عمود من نار كما يقال في "ديونوسس" و "أيرقلس" وسائر من عنى بنفع الناس واجتهد، ويقال إن الله فعل بهم ذلك كيما يفنى منهم الجزء الميّت الأرضيّ بالنار، ثمّ يجتذب بعد ذلك جُزْأهم الذي لا يقبل الموت ويرفع أنفسهم إلى السماء، وهذه إشارة إلى الإحراق وكأنه لم يكن إلا للكبار.

وكذلك يقول أهل الهند إنّ في الإنسان نقطة بها الإنسان إنسان، وهي التي تتخلّص عند انحلال الأمشاج بالإحراق وتبددها، ورأوا في هذا الرجوع أنّ بعضه يكون بشعاع الشمس تتعلّق به الروحُ وتصعد، وأن بعضه يكون بلهيب النار ورفعها إيّاها، كما كان يدعو بعضهم أن يجعل الله طريقه إليه

---

(١) نارابن: اسم رجل.

على خطّ مستقيم لأنّه أقرب المسافات ولا يوجد إلى العلو إلا النار أو الشعاع.

إلى أن قال: فأما أهل الهند فيرون من حقّ جثّة الميّت على الورثة أن تغسل وتعطّر وتكفن ثمّ تحرق بما أمكن من صندل أو حطب، وتحمل بعض عظامه المحترقة إلى نهر "كنك" وتلقى فيه ليجري عليها كما جرى على عظام أولاد "سكر" المحترقة فأنقذهم من جهنّم وحصّلهم في الجنّة.

وقال البيروني فيما يتعلق بنهر الكنج: ومن اعتقاد الهند في نهر "كنك": أنّ مجراه كان في القديم على أرض الجنّة، وسيجيء خبر هبوطه إلى الأرض، وقيل في "مج بران": إنّ كنك لمّا حصل على الأرض انقسم سبعَ شعَب: وسطاها عموده المعروف بهذا الاسم، ثلاث جرت نحو المشرق وأسماؤها: " نَلِنِ، لادنِ، باوَنِ"، وثلاث جرت نحو المغرب وأسماؤها: "سِيتَ، جَكشَ، سِندَ"، فأمّا نهر سيت فإنّه إذا خرج من "هِمَمَنت"[1] يمرّ على ممالك "سَلِلَ، كَرسنبَ، جِينّ، بَرْبَرَ، جَبَر، بَهَ، يُشْكَرَ، كُلَتَ، مَنكَلَ، كَوَرَ، سَنُكوَنُتَ"، ثمّ يقع في بحر المغرب؛ وعن جنوبه نهر "جَكْش" يسقي ممالك "جِينَ، مَرو، كالِك، دْهولِكَ، تُخارَ، بَرْبر كاجَ، بَلْهوَ، باروا نجَت"، وأمّا نهر "سند" فإنه يخترق ممالك "سند، دَرذَ، زنِدُتُندَ، كَاندَهارَ، رَوُرَس، كْرُورَ، سِيبَور، إِنْدُرَ، مَرُو".

إلى أن قال: وعنده تزهدّ "بَهَكِيرث" الملك وذلك: أنه كان لملك لهم يسمّى "سَكَرُ" من الأولاد ستّون ألف ابن كلّهم دُعّار وأشرار، واتفق أن ضلّت لهم دابّة فشدوها[2] وأداموا الركض في طلبها حتى انهارت الأرض من شدّة ركضهم على ظهرها، ووجدوا دابّتهم في جوفها واقفة بين يدي رجل مطرق غاضّ الطرف، فلمّا قربوا منه أزلقهم ببصره فاحترقوا مكانهم وحصلوا في جهنّم بسوء أعمالهم، وصار الموضع المنهار من الأرض بحراً وهو البحر الأعظم، ثمّ كان من نسل هذا الملك ملك يسمّى "بَهَكِيرَث" سمع

(١) هممنت هي جبال هملايا.

(٢) ربما كانت صحتها: فنشدوها، أو (نشدوها) بمعنى سألوا عنها.

بخبر أسلافه فرقّ لهم، وذهب إلى الحوض المذكور الذي قراره ذهب مسحول وأقام هناك صائماً أيامه قائماً في العبادة لياليه، حتى سأله ''مهاديو'' [1] عن حاجته، فقال: أريد نهر ''كنك'' الجاري في الجنّة علماً منه بأنّ من جرى ماؤه عليه مغفور له ذنوبه، فأجابه إلى ملتمسه، وكانت المجرّة السماويّة مجرى كنك وقد أعجب بنفسه ولم ير أحداً يقدر عليه، فأخذه ''مهاديو'' ووضعه على رأسه، فلم يقدر على البراح وغضب من ذلك وتموّج وتغطمط، فتماسك به مهاديو حتى لم يمكنه الغوص فيه، ثمّ أخذ منه قطعة وأعطاه ''بَهَكِيرث'' حتى أجرى الشعبة الوسطانيّة من شعبه السبع على عظام أجداده ونجوا بذلك من العذاب، ولهذا يلقى فيه عظام موتاهم المحترقة، ولقّب نهر كنك باسم هذا الملك الذي جاءَ به.

وقد حكينا عنهم أنّ في الديبات أنهاراً طاهرة كطهارة كنك، وفي كلّ موضع يوصف بفضيلة يعمل الهندُ حياضا تُقْصَدُ للاغتسال، وصار ذلك لهم صناعة يبالغون فيها حتى إنّ قومنا إذا رأوها تعجّبوا منها وعجزوا عن صفاتها فضلاً عن عملها، فإنّهم يعملونها من صخور عظام جداً شديدة الهندام مشدودة بأوتاد حديدة غلاظ درجاً كالرفوف، تدور الدرجة في جوانب الحوض على سُمك أطول من قامة الرجل، ثمّ يعملون على الوجه الذي فيما بين الدرجتين مراقي كالشرف، فتصير الدرجات الأولى كطرق والشرف درجات، لو نزل إليه نفرٌ كثير وصعد آخرون لما التقوا ولما انسدّ عليهم طريق لكثرة الدرجات، ويمكن الصاعد فيها من الانحراف إلى غير التي ينزل عليها النازل، فيزول بذلك مشقّةُ الازدحام. ا. هـ كلام البيروني.

ومنه تعلم بعض الخرافات التي بنوا عليها دينهم.

---

(١) مهاديو: كبير آلهة الهنادك القدماء في تقديس نهر الكنج (قانقا).

من وحي المنام:

بعد هذا الصبح البنارسي العجيب سرنا من النهر إلى بيت أخينا الشيخ عبد القدوس عبد الأحد. إذ قال إنه قد أعد لنا طعام الإفطار فدخلنا منزله في محلة (مدنبره) ومعنا بقية الرفقة، وبعد أن بدأنا طعام الإفطار المعتاد أمر أحد أقاربه فجاء بكبد خروف مشوية حارة لذيذة الطعم، فلما أمعنا فيها أكلاً وامتدحنا صنعها لاسيما ونحن لم نذقها منذ أن خرجنا من بلادنا، قال: أريد أن أخبركم بقصة هذه الكبد: لقد رأيت فيما يرى النائم آخر ليلة البارحة رجلاً يناولني بيديه كبداً وكليتين فلما انتبهت صممت على أن يتضمن طعام الإفطار لكم كبداً وكليتين، قال: ولم يكن في بالي ذلك، ولم نكن نعرف الإفطار به ولم نعتد عليه، وعند ما أردت الذهاب إليكم مع الفجر أمرت زوجتي أن تشتريها بأي وسيلة وأن نقدمها لكم، وهكذا كان.

ولا شك أن ذلك يدل على مزيد اهتمام أخينا بنا، وكونه يفكر فيما سيقدمه لإخوانه حتى رأى في المنام ما دله على ما يريد.

إلى الجامعة الرحمانية:

هذه مدرسة ابتدائية وإعدادية، ولكنهم في الهند يسمون مثلها جامعة على اعتبار أنها تجمع عدداً من العلوم، أو على اعتبار أنها تجمع عدداً من المراحل.

قصدناها سيراً على الأقدام من بيت الشيخ عبد القدوس لأنها غير بعيدة فمررنا بأحد الجزارين فقالوا: إنه قد أدى فريضة الحج وإنه من أهل الخير، وعندما أخبروه أسرع يحيينا، وقد وجدنا عنده لحما جيداً وهو قد علق عدداً من الخراف السمينة وقال: إن سعر الكيلو هو عشر روبيات أي: أربعة ريالات سعودية (يا بلاش)، وقد لاحظت أنه وغيره من الجزارين في بنارس يضعون على واجهات حوانيتهم ستائر تشبه ما يوضع على أبواب بعض

الحانات فظننت أنهم يفعلون ذلك اتقاء للذباب وابتغاء للنظافة ولكنهم قالوا: إن ذلك هو أمر الحكومة، أمرت به لئلا يراه المارة من الهندوكيين فيؤذيهم منظره، وقد تتقزز منه نفوسهم.

فعجبت من مقارنة منظر إحراق جسد ابن آدم من دون حجاب عن المارة وستر لحم الخراف عن النظر.

ثم مررنا بسوق جانبي كله للجزارين قالوا إنهم جميعاً من المسلمين، وقد أسرعوا ليحيونا ويصافحونا، ولكن إخواننا أوقفوهم لأن أيديهم زفرة من اللحم، ورأينا عند شيخ كبير منهم - قالوا إنه كثير التبرع للمشروعات الإسلامية - لحماً أبيض نظيفاً سميناً يشبه لحم العجل قال: إنه لحم الجاموس، وإن سعر الكيلو الواحد منه هو ثلاث روبيات ونصف أي ريال ونصف ريال، ما أرخصه !.

ثم مررنا بسوق للخضار فسألنا عن أسعارها عندهم فإذا بها عندهم كما يلي:

كيلو الثوم بروبية ونصف. وكيلو البصل بثلثي روبية، أي ربع ريال. وكيلو الباميا بروبية واحدة أي: ثمان قروش ونصف. وكيلو القرع بنصف روبية وهو من القرع الذي ظهره أبيض وباطنه فيه صفرة. وكيلو الزنجبيل الطازج بأربع روبيات .

دخلنا الجامعة الرحمانية فإذا هي في بيت ليس بجديد من طابقين عليه تاريخ بنائه أنه في عام ١٩٣٣م وكان تأسيسها قبل ذلك، وهذا البيت كان ملكاً للشيخ عبد القدوس مرافقنا، فوهبه للمدرسة احتساباً للأجر من الله.

والمدرسة كثيرة الطلاب فيها ما يقرب من أربعمائة طالب وطالبة يكادون يكونون مختلطين؛ لأنهم ليسوا كبار السن إذ من تخرج منها ذهب إلى الجامعة السلفية في بنارس التي سبق الكلام عليها. وهي تدرس الطلاب على الطريقة القديمة وعلى بسط في الأرض والصغار من الطلاب يستعملون

الألواح الخشبية، يكتبون عليها ويمحون ما يكتبون كما كنا نفعل ونحن صغار، وذلك لضعف إمكاناتها المادية.

وقد ضاقت المدرسة بطلابها حتى أرسلوا قسمين منهم إلى مكان آخر. وبعد أن تفقدنا الفصول جلسنا في أحدها ليسمعونا تلاوة من القرآن الكريم من بعض الطلاب، فبدأوا بطالب اسمه عبد الظاهر عبد البصير، وثنوا بطالبة اسمها (رخصانة) عبد الحي عمرها في حدود عشر سنوات تلت آخر ثلاث آيات من سورة القيامة التي آخرها: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ وكانت تلاوتها جيدة مرتبة، ثم قامت رخصانة وتلت دعاء باللغة الأردية هو شعر رقيق فيما ترجموه لنا، وكلمة (رخصانة) ليست من الرخص، وإنما من النعومة.

ثم تقدمت صبية في السابعة من عمرها تدعى (عذرا عبد القيوم) فختمت الجلسة بتلاوة كريمة.

رأينا شيئاً من عبادة الهندوك :

هناك مسجد يقال له جامع (فيان وابى) وهو جامع كبير فيه منارات عالية وقبة جميلة، يقع بجنبه معبد للهندوكيين، دخلنا المسجد فإذا بشرطي يصيح يمنعنا من دخوله، فأخبره مرافقنا بأننا من المسلمين فسكت فرأيناه مهجوراً، ويقال إنه تصلى فيه الجمعة وبعض الأوقات مع أنه مسجد قديم قالوا إن الذي بناه هو الملك أورنك زيب المغولي.

ثم تحولنا لنرى المعبد الهندوكي المنزوي خلف المسجد في أرض منخفضة عنه، ولكن ما أن اقتربنا حتى صاح بنا شيخ هندوكي جالس عند تمثال للبقرة في مقدار الحجم الطبيعي مرتين، بمنعنا من الاقتراب فتركناه، ورأينا بعض النسوة يأتين إلى تمثال البقرة ويومين بالسجود بخشوع إلا أن أحد الجالسين أشار إلى مكانين آخرين في الفناء وقال ادخلوا، ودخلنا فإذا بدكة عالية في وسط مربع كالحوض فيه تمثال، وبجانبه شخص يرش

بالماء كل من يقترب منه من الهندوكيين، ولديه دقيق برتقالي اللون يضع على مفرق رأس الذي يأتي إليه منه.

ثم رأينا رجلاً جالساً عند تمثال لشيء جسمه جسم إنسان ورأسه رأس فيل، أمامه خرطوم يصل إلى قرب رجليه، ولم نكن ندري أهذا الرجل متعبد أم من الموظفين في المعبد، فطلبت من أحد الإخوان المرافقين لنا أن يسأله فأشار إلى التمثال بشيء من الانكسار والخضوع وقال: إنه سادن له.

فطلبت من أخينا أن يسأله عن عمل هذا التمثال الحجري فسأله، فأجاب إنه جانيش إله كذا، وأظنه قال: إنه إله الرزق.

وقال إخواننا يخبروننا خبر هذا التمثال ويأسفون لكون ذلك الذي ذكروه يدرس للطلبة في بعض المدارس الرسمية، والمراد بها غير الإسلامية بطبيعة الحال .

وملخص قصته أنه رب صغير أو (ربيب) - تصغير (رب) - بزعمهم اسمه جانيش، ولكن له أم من الآلهة القوية وأن كبير آلهتهم (رام) غضب منه فقطع رأسه، فبقي (جانيش) بدون رأس، فلما عرفت أمه بذلك ذهبت إلى رام وهددته قائله: إذا بقي ابني (جانيش) بدون رأس فإنني أفعل بك كذا وكذا من الأذى، قالوا: فخاف كبير الآلة رام منها، وأسرع يبحث عن رأس (جانيش) لأنه لا يدري في تلك الساعة أين مكانه، ووجد رأس فيل فأخذه ووضعه على جانيش فصار (جانيش) من ذلك الوقت جسمه جسم إنسان ورأسه رأس فيل، وتخلص (رام) من تهديد أمه !!!

ومع ذلك عبدوه فضلاً عن استمرار عبادتهم لـ (رام) كبير آلهتهم (تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً) !.

على أن لمثقفي الهنادكة زعماً آخر، وهو أن هذه الآلهة الآدمية الخرافية ما هي إلا مظهر للإله الأعظم اتخذها قدماء الهنادكة آلهة من أجل أن تتوسط لدى الإله الأعظم لهم بالنفع أو إزالة الضرر، وتسألهم لماذا لا

يتوجهون إلى الإله الأعظم مباشرة ؟ ولكنهم لا يجيبون.

المساجد في بنارس :

مر بنا القول بأن مسجد (فيان وابي) شبه معطل، وكذلك المسجد الذي على ضفة نهر الكنج المقدسة لدى الهندوكيين، وأرجو ألا يفهم من ذلك أن هناك موانع من الذهاب إلى المسجد، ولكن تلك المساجد بناها الملوك ملحقة لقصورهم أو في أماكن قريبة منها تدل بأن السلطان للمسلمين، وأن الهندوكيين الأغلبية إلا أنهم كانوا من المغلوبين على أمرهم، فكان المسلم يستطيع أن يبني مسجداً في أي مكان، أما الآن وبعد أن تغير الأمر فإن المسلمين أخذوا يحرصون على أن يجتمعوا في أنحاء أو جهات معينة ويبنوا بها مساجد، لذلك بقيت بعض المساجد الكبيرة القريبة من قصور الملوك لا يرتادها أحد في الصلوات الخمس لبعدها عن مساكن المسلمين.



أحد شوارع مدينة بنارس يؤدي إلى شاطئ (دشا سميد) على نهر الكنج

ويكفي دليلاً على ذلك أن في مدينة بنارس أكثر من مائة مسجد مع

أن سكانها مليون نسمة، وأن المسلمين لا يمثلون إلا نحو ٢٠٪ من سكانها فيما أخبروني به، ولكنهم لمحبهتم في المسارعة إلى فعل الخير يسرعون إلى تشييد المساجد وبنائها، وربما يصح أن نذكر في هذا الصدد المسجد الذي بناه رجل وحده من ماله الخاص، ويقال له مسجد الأعرج لأن حافظ الأعرج هو الذي بناه في منطقة مزدحمة بالبيع والشراء، وجعل له مآذن ظاهرة واضحة، وبنى أسفله حوانيت تؤجر ويصرف ريعها في مصالح المسجد.

وهذا كله رغم أن الهندوكيين يعتبرون مدينة بنارس مركز الديانة الهندوكية ويسمونها (هولى ستي) أي المدينة المقدسة كما في نشراتهم السياحية.

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فيجعل في بنارس هذا العدد الضخم من المساجد، وليس ذلك فحسب، وإنما يسّر سبحانه وتعالى أن تفتح فيها جامعة سلفية المبدأ والهدف، هي الجامعة السلفية التي مر ذكرها والتي منهجها يحارب مظاهر الوثنية عند المسلمين.

وفي هذا المجال أذكر أنني بعد أن رأيت في فناء المعبد الهندوكي ما مر ذكره رأيت في سوق البيع والشراء قبراً مبنيا عليه قبة صغيرة، وعنده بعض الناس من المسلمين، فتبادر إلى ذهني منظر الوثنية وقلت في نفسي إذاً ما الفرق بيننا وبينهم في هذا المظهر ؟ ويستطيعون أن يقولوا إننا نعظم حجراً وأنتم تعظمون بيتاً فنحن متساويان.

هذا لو كان الأمر مقتصراً على الاستحسان العقلي، وإلا فنحن ولله الحمد مطالبون باتباع أمر رسول الله ﷺ الذي حارب الوثنية حقيقة ومظهراً، شكلاً وموضوعاً فيما يختص بالقبور فنهى عن البناء عليها، وعن وضع الستائر فوقها، وحرم رجاءها والخوف ممن فيها من دون الله، بل سد الذرائع الموصلة إلى الشرك الذي منه دعاء الأموات أو الخوف منهم أو رجاؤهم من دون الله.



إلى بنارس ...

كرّةً أخرى

كنت وصلت إلى دلهي قادماً من مدينة إندور المدينة الكبيرة في ولاية (مدهي برديش) التي هي الولاية الوسطى في الهند في رحلة قصصت خبرها في كتاب "**وسط الهند**" وكان الهدف منها في الأصل حضور الندوة التي تقيمها رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي يرأسها الشيخ السيد أبو الحسن الندوي حفظه الله[1] ، وأنا عضو في الرابطة المذكورة، وكان أملي أن أتمكن من زيارة ولاية أسام الهندية الشرقية، ومملكة بوتان في جبال الهملايا، فوصلت إلى دلهي يوم الجمعة، وأخبرني القائم بأعمال السفارة السعودية (مجدي أبو العيش) أن الهند معطلة لمدة ثلاثة أيام أولها الجمعة وهو اليوم الذي وصلت فيه، وبعده السبت والأحد وهما يوما عطلة ولا يمكن عمل شيْ مما أحتاج إليه إلا يوم الإثنين.

وكنت أريد أموراً ثلاثة:

أولها: الحصول على إذن من الحكومة الهندية لدخول ولاية أسام لأنها إحدى ولايات أربع اعتبرتها الحكومة الهندية ولايات مضطربة لا يجوز للأجانب دخولها إلا بإذن، وهي: كشمير وآسام وهماجل والبنجاب التي يراد بها البنجاب الهندية التي هي أصغر من البنجاب الباكستانية التي عاصمتها لاهور. بل إن الحكومة الهندية قد حرمت دخول منطقتين في ولاية إترابراديش على رعاياها الهنود الذين ليسوا من أهلها، وهي (أيا دهيا) وفيض آباد، لأنها منطقة خطرة يخشى من حدوث اضطرابات أمنية فيها لوجود محل ولادة (رام) كبير آلهة الهندوس الذين يزعمون أنه ولد هناك - واعجب لرب ولد وإن كان عجبك سيزول عندما تعرف أنه تزوج سيتا، وأن عدوه إله أهل الجنوب المدعو (راوون) قد خطف زوجته سيتا وفر بها إلى جزيرة سيلان التي يسمونها لنكا، ولم ينقذها من يديه إلا القرد هنومان الذي أحرق (سيلان) أو لنكا كما يسميها الهنود، وأرجع سيتا إلى زوجها (رام) كبير آلهتهم.

---

(١) كانت هذه الرحلة قبل وفاته رحمه الله.

وليس هذا المقام لبيان خرافاتهم العجيبة، وإنما المقصود أن أخبر كيف قضيت أياماً اعتبرتها ضائعة رغم إرادتي لولا أنني سودت فيها مشاهداتي في الرحلة.

ثانيها: الحصول على سمة دخول إلى مملكة بوتان من سفارتها في دلهي.

ثالثها: الحصول من الحكومة الهندية إلى إذن عودة إلى الهند بعد زيارة بوتان، لأن السمة التي على جوازي من سفارتها هي سمة دخول (دبلوماسية) لمرة واحدة.

وفي يوم الإثنين لم يتصل بي الأخ (أبو العيش)، فحصلت على عنوان السفارة وركبت سيارة أجرة من الفندق سائقها سيخي ذكر أن السيخ يحبون المسلمين لأنهم معهم ضد الهندوك، فوصلنا بعد طول سير إلى مبنى السفارة حسب العنوان الذي معنا، فوجدنا عنده أشخاصاً منهم رجل ذكر انه مسلم وقال: السفارة اليوم في مكان جديد، وأعطانا عنوان المقر الجديد للسفارة، فوصلت إليه بعد سؤال وجواب.

فردني حارس مسلح قائلاً: اليوم ما فيه عمل في السفارة، فقلت: إن المسؤولين فيها أخبروني بأنهم سيعملون، ثم لمحني أحد الموظفين فيها فأدخلني، وإذا بهم ينقلون أثاث السفارة من المقر القديم إلى المقر الجديد.

وقد وصل الأخ (أبو العيش)وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة عندهم فأمر موظفاً هندياً مسلماً اسمه (آصف) ويسميه العرب في السفارة (عاصف) يظنون أن الألف في اسمه أصلها عين، لأنهم لم يعرفوا اسم (آصف) بالعربية مع أنه من المشهور عند علماء السير والمؤرخين الذين نقلوا الأخبار الإسرائيلية بأن (آصف) بن برخيا هو وزير سليمان بن داود عليه السلام وأنه الذي قال لسليمان حينما ذكر عرش بلقيس في اليمن ﴿ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ فقال أحدهم: ﴿ أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك هـٰذا﴾

ذكر أهل السير أن القائل هو (آصف) المذكور.

و(آصف) الموظف في السفارة رجل نشيط وعارف بمجاري الأمور الإدارية في الهند، ويجيد عدة لغات ليست منها العربية، وإنما يتكلم بها بصعوبة.

فجلست في مكتبه فترة ذكر أن الموظف المختص في الخارجية الهندية ليس على مكتبه.

ثم أخبرني (أبو العيش) أنهم سيقومون بكل ما يلزم ويخبرونني، إلا أنهم لم يفعلوا وإنما أخبروني أن الطيران إلى بوتان هو ضحى الإثنين والخميس، ولا يمكن إدراك هذا اليوم ولا عودة من بوتان إلا يوم الإثنين ولدي قبله موعد لحضور المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الذي ستقيمه الجامعة السلفية في بنارس، ثم أخبرني (آصف) يوم الثلاثاء بأنهم على وشك الحصول على إذن الحكومة الهندية لي بالسفر إلى آسام، فأسرعت أحجز للسفر صباح الأربعاء والعودة إلى دلهي السبت من مكتب لشركة الخطوط الهندية المسماة (إنديان إيرلاين) إلا أن السفارة اتصلت وقالت: إن الخارجية الهندية تقول: إن الأمر لدى الداخلية الهندية وإنه يحتاج لوقت، ثم أخبروني صباح الأربعاء بأن الحكومة الهندية لم تأذن بذلك.

وهكذا ضاع عليَّ وقت ثمين في الهند وأنا مقيم في فندق أشوكا في دلهي وهو من فنادق الدرجة الأولى أجرته اليومية (١٠٨) دولارات أمريكية.

والهند عندي من البلاد التي يأتيها الإنسان للقيام بالواجب وزيارة الإخوة في الإسلام من علماء الهند الكرام، ورؤية مؤسساتهم العلمية العظيمة التي يقيمونها بجهدهم الخالص؛ دون معونة من الحكومة الهندية مع أنها مؤسسات ثقافية ينتظر أن تساعد الحكومة على استمرارها وتوسعها؛ بل إن الحكومة الهندية منعت منعاً باتاً على المؤسسات الإسلامية، وأكثرها مؤسسات تعليمية من المدارس والجامعات والجمعيات الخيرية، أن تتسلم أية

معونات أو مساعدات من الخارج، خشية من أن يعمل الدولار - العربي - كما يسمونه - على ترجيح موقف المسلمين تجاه المواطنين الآخرين في الهند.

هدية الهند:

هدايا الهند للقادم من بلاد نظيفة وقد تعوّد على وسائل العيش النظيفة، هي عكس النظافة في الشوارع، وغلاء فاحش في فنادقها النظيفة، فمثلاً فندقي هذا (أشوكا هوتيل) أجرته (١٠٨) دولارات أمريكية، ومع أنه قديم لا تدخل غرفه المكنسة الكهربائية التي ترشف الغبار، وإنما ينظف الخادم أرضه التي هي من البساط الساذج (الموكيت) بمكنسة من القش لها ذؤابة رخوة تطير غباره ولكن لا تزيله فتبعده عن الغرفة.

أما ممراته وكلها مفروشة بالسجاد مثل غرفه، فإن نساء من نساء الهنادك الضعيفات يكنسنها بمقشات من القش كذلك وهن قاعدات يتحركن ببطء وتكاسل حتى يرى من يراهن كذلك أنهن ينبغي أن يكنسن أنفسهن من هذا الفندق الغالي.

وقل مثل ذلك في غلاء الطعام والشراب مما يجعله في مصاف الفنادق العالمية المساوية له في الدرجة أو أغلى منها، مع أن أجور الموظفين والعمال وأقيام الخدمات الأخرى بما في ذلك الطعام هي أرخص بكثير من البلدان التي تماثله في قيمة الأجرة، وتفوقه في المستوى.

والهدية الأخرى هذا الزحام الشديد الذي اشتد واستحكم حتى غدا بمثابة القيود على الحركة في أواسط المدن الهندية بما يصاحبه من أبواق مزعجة، وأصوات منكرة تنبعث من الشاحنات والحافلات، ومن أنواع السيارات الأخرى حتى العربات الركشاوية.

والهدية الثالثة: هي الغلاء الذي يصطلي بناره المواطن الهندي، ويجد

فيه السائح الأجنبي ذهاب شيء كان يعوضه عما فقده في بلاده من نظافة وهدوء.

الهدية الرابعة: الروائح غير السارة التي قلّ أن يخلو منها مكان في مدن الهند الكبيرة، ما بين رائحة من روائح المجاري إلى روائح منبعثة من الأجساد المتحركة المشدودة المكدودة، وإذا عدمت هذا فلن تعدم شيئاً منه أو مثله ينبعث من شخص في السيارة أو المجلس أو نحوهما من مثل ما ذكره البيروني عن أهل الهند منذ ألف سنة حينما ذكر مما يخالفوننا به أنهم يتفاءلون بالضرطة، ويتشاءمون بالعطاس.

وهو الذي ذكره المسعودي في مروج الذهب وقد عاش قبل البيروني، وذلك فيما نقله من نظم أبان بن عبد الحميد بقوله:

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي	مقالة أجاد فيها عندي
لا تحبس الضرطة إمّا حضرت	وخلّها، وافتح لها ما استفتحت
فان أدوا الداء في إمساكها	والروح والراحة في إفكاكها
والقبح في السعال والمخاط	والشؤم في العطاس لا الضراط

الهدية الخامسة: التي لا تمسّك أنت أيها المسلم مباشرة، ولكنك تحس بها أكثر مما تحس بما يمسّك مباشرة مما سبق ذكره، وهي ذلك التعصب الهندوكي الشرس الذي صار يعلن العداوة للإسلام والمسلمين، ومن أظهر ذلك إعلان العزم على هدم المسجد البابري، وإقامة معبد هندوكي مكانه على اعتبار أنه موجود في المكان الذي ولد فيه (رام) كبير آلهتهم كما يقولون[1].

ولو كان ذلك التعصب موجوداً عند جماعة أو جمعية خاصة لما أزعجك كثيراً، ولكن صار شعار حكومات من حكومات الولايات الهندية فازت بالانتخابات الحرة على أساس تنفيذ سياستها تلك المتعصبة.

---

(١) لقد هدم الهنادكة المتعصبون المسجد البابري بالفعل، بعد كتابة هذه الصفحات.

ومنها الحكومة في أكثر ولايات الهند سكاناً، وهي من أهمها تاريخاً ألا وهي ولاية (أترا براديش) يعني الولاية الشمالية التي يقدر عدد سكانها الآن بمائة وثلاثين مليونا.

وحكومة أكبر الولايات الهندية مساحة وهي ولاية: (مدهى براديش)، فهاتان الولايتان تحكمهما الآن حكومتان هندوكيتان متعصبتان.

وإلى جانب ذلك شيء حدث اليوم ليس من الهند، بل مصيبة أصابتها، ولكنني شهدتها وإن لم ينلني ضررها -ولله الحمد _ وهي الزلزال، فقد شعرت وأنا مستغرق في النوم في غرفتي في فندق أشوكا بسريري يهتز اهتزازاً كان مرّ بي مثيله من قبلُ أكثرَ من مرة في عدة بلدان من العالم أصابها الزلزال وأنا فيها، غير أنني لم أستيقظ في أول الأمر، ثم استيقظت وتكرر الاهتزاز خمس مرات عرفت أنه الزلزال، ولكن كان خفيفاً بالنسبة إلى مدينة دلهي التي أنا فيها.

ثم نمت وكدت أنساه إلى أن قرأت جريدة الصباح التي يوزعها الفندق على غرف النزلاء يدخلها من تحت الباب، وإذا بها تنشر أن زلزالاً مدمراً ضرب منطقة في شمال البلاد قريبة من جبال الهملايا، وأنه قتل المئات وشرد عشرات الألوف من منازلهم، وذكرت أن تلك المنطقة تبعد عن دلهي بـ ٦٥٠ كيلو متراً. وتقع في شمال ولاية (إترابراديش) أكثر ولايات الهند ازدحاماً بالسكان.

هذا وقد تحققت أنه فاتني ما كنت أملته من السفر إلى ولاية آسام بسبب عدم موافقة الحكومة الهندية على ذلك، وفاتني بسببه أيضاً السفر إلى مملكة (بوتان) في جبال الهملايا، لأنه لا توجد رحلات إلى بوتان من دلهي إلا مرتين في الأسبوع؛ إحداهما في يوم الإثنين وقد فات، والثانية يوم الخميس وهي غير مناسبة لي، لأنها لا تعود إلى دلهي إلا يوم الإثنين، وأنا سأشارك في المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الذي سيعقد في مدينة بنارس يومي

الأحد والإثنين القادمين بإذن الله.

يوم الخميس ١٧/٤/١٤١٢ هـ - ٢٤/١٠/١٩٩١م.

قلب دلهي القديم:

وقلب دلهي القديم كان خالصاً لنا نحن المسلمين فيما مضى من السنين بل من القرون، وكان يتوسطه جامع دلهي الشهير تحيط به الأسواق التجارية النشطة التي يملكها المسلمون، وتمتد تجارتها إلى خارج الهند.

ولكن الدهر قد تغير بأهله الآن فغلب الهنادك على المسلمين فيه، وكاثروهم حتى على سكناه، حتى اصطبغ بالصبغة الهندوكية الشاملة، وإن كانت بعض المعالم الإسلامية لا تزال باقية، وبعض الحوانيت التي يملكها إخوتنا من التجار المسلمين لا تزال عاملة.



المؤلف في أحد الميادين في الهند

ومع ذلك لا يزال هذا القلب للقلب _ إن صح التعبير - يستحق الزيارة والتقدير، ذلك أن اسم (دلهي) معناه قلبي، وأصله (دللي) غير إلى دهلي في القديم، ثم بهذا اللفظ عرف في كتبنا العربية القديمة، ثم غيره المتأخرون

إلى (دلهي)، وزاد الهنادكة بأن أطلقوا على القسم الجديد من دلهي اسم (نيو دلهي) أي دلهي الجديدة تمييزاً له عن مدينة دلهي التاريخية التي كانت عاصمة إسلامية على مدى القرون .

ذهبت مع الأخ الشيخ عبد الوهاب الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية في الهند إلى قلب مدينة دلهي على سيارة أجرة يقودها سيخي، والسيخ الآن يعتبرون أنفسهم أصدقاء للمسلمين في الهند بعد أن كانوا يعتبرونهم ألد أعدائهم عندما جرى تقسيم القارة الهندية بين الهند وباكستان، وانحاز أكثر السيخ إلى الهند، حيث هجر الذين في لاهور وتوابعها منهم منازلهم إلى البنجاب الهندية التي هي قسم صغير من البنجاب الكبير الذي صار أكثره من نصيب باكستان، وقد نزلوا في مساكن المسلمين الذين نزحوا عن الهند إلى باكستان وتركوا منازلهم في البنجاب الهندية، فكان الأمر إذاً أشبه بفرز السكان وانعزالهم من جهة إلى أخرى.

واليوم يشعر السيخ بالصداقة للمسلمين كما يقولون لأن الهنادك دخلوا بجنودهم معبدهم الذهبي المقدس في أمر تسر، وأنكروا عليهم أن يكونوا طائفة متميزة لها وضع خاص بها.

نزلنا من سيارة الأجرة قبيل الوصول إلى السوق الذي يقع قبل الوصول إلى جامع دلهي الشهير، وقد ذكرت شيئاً من أحوال دلهي في كتاب "**شمال الهند**" من هذه السلسلة من الرحلات الهندية، ولذلك لن أكرر الكلام عليه، وإنما أقول إنني قد لاحظت شدة الزحام فيه التي تضاعفت عما كانت عليه عندما رأيته أول مرة؛ بل عندما رأيته آخر مرة، فالزحام فيه لا يطاق حتى لا يستطيع من يسير على قدميه أن يجد لقدمه موضعاً ولا لبدنه مسلكاً من شدة الزحام الذي يصحبه ضجة عظيمة من أبواق عربات الركشا، ومن الباعة المتجولين، ومن الصائحين لأصحابهم.

وجلست في حانوت لأحد الإخوة المسلمين يبيع العطور ومنها عود البخور الذي وجدته غالياً إلى درجة الإسراف، ويكفي أن تعلم أن الكيلو الواحد

منه وهو خشب من الخشب كما هو معروف يزيد على ثلاثة آلاف دولار.

أما زيته الذي يسمونه (دهن العود) وهو طيب جيد كنا نستعمله، فقد ارتفع ثمنه إلى مائتي دولار للتولة، ووزنها عشر ة جرامات !!!.

ولهذا لم أشتر منه شيئاً لأنني اعتبرت ذلك من الإسراف.

كان البقاء في هذا السوق ممتعاً لكون المرء يرى فيه أشياء لا تتكرر رؤيتها في أنحاء أخرى من العالم، إلا أن الزحام البالغ وتلوث الهواء من المركبات وغيرها يجعل المرء لا يرتاح للبقاء فيه.

ومما يسجل لأهل الهند أنه حتى في هذه الأماكن المزدحمة لا يشعر المرء بالتهديد من السرقة أو الانتهاب، بل البلاد آمنة، وعدد السراق والمنتهبين قليل، حتى وإن كان زائراً غريباً لم يستر غربته بلباس أو مظهر يبعده عن مظهره الحقيقي .

وقد خيل إليّ وأنا أتأمل الناس في هذا القسم المزدحم من مدينة دلهي أنهم الآن أحسن حالاً مما كانوا عليه عندما رأيتهم أول مرة، وذلك رغم كثرة الناس وشدة الزحام فهم الآن أحسن لباساً مما كانوا عليهم قبل عشر سنين، وأجسامهم أكثر ندى مما يعطي الانطباع بأنهم يحصلون الآن على قدر من الغذاء أفضل مما كانوا يحصلون عليه من قبل، وهم أيضاً أكثر قدرة على الحصول على النقود واستهلاكها.

ما أرخص المطية:

أردنا الانصراف من هذا السوق المزدحم ولم نر من السهل علينا أن نخوض في الزحام، ونقارع المناكب والأقدام، فاستأجرنا دراجة ركشاوية هوائية، وهي الدراجة المعتادة أي التي بدون محرك، يوضع فوقها صندوق يتسع لشخصين، وتكون لها ٣ عجلات فيدفعها سائقها برجليه وهو ينقل الراكب والراكبين في ذلك الصندوق الذي يشبه المقعد .

وكانت أجرته خمس روبيات وهي أقل من ثلثي الريال، فصار يزاحم الناس يدفع منهم من يدفع، وينبه من ينتبه لإفساح الطريق له حتى خلصنا من السوق ونزلنا، فكلمه مرافقي الأخ الشيخ عبد الوهاب الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، فذكر أنه مسلم وأنه لا يملك هذه الدراجة الحقيرة، وإنما استأجرها من رجل ضمن أن يدفع له خمسين روبية في اليوم، وما زاد عن ذلك فهو له على أن يضمن الدراجة من أي خراب أو عارض يعرض لها، فأعطيته عشراً بديلة من أجرته خمس روبيات، والعشر كلها تساوي ريالاً ونصفاً من ريالاتنا السعودية، أي أقل من نصف دولار أمريكي.

مقر جمعية أهل الحديث:

صرنا نسير على أقدامنا في قسم آخر من مدينة دلهي القديمة، ويسمون مجموع هذه المنطقة (السوق) لأنها كانت ولا تزال منذ القديم سوقاً عامراً بالبائعين والمشترين، فرأيت من القذارة في أرض الشارع والزحام من العربات التي يجرها الحيوان ما لم أره فيما قبله؛ حتى وصلنا إلى مكان وقوف السيارات التي تحمل البضائع وهي مزدحمة غير منتظمة، ثم دخلنا أزقة ضيقة جداً عليها المنازل القديمة بعضها لا يتسع لمرور سيارة، بل حتى لمرور الدراجة، فوصلنا مقر جمعية أهل الحديث المركزية، وقد يقال في تعريفها: جمعية أهل الحديث لعموم الهند لأنها كذلك، ومقر هذه الجمعية رغم وقوعه في هذا الجزء القديم الضيق الشوارع فإنه واسع فيه حجرات عديدة وقاعة متسعة ومسجد بجانبه.

ولهذه الجمعية أثر بالغ على الحركة العلمية السلفية في البلاد، بل كان لها صوت مُدَوٍّ تجاوز الهند إلى أنحاء العالم الإسلامي، وطالما اجتمعنا بعلماء الحديث الفطاحل الذين يعتز بهم في هذا الشأن .

وكانت ولا تزال لنا بهم صلات متينة، لأنهم كانوا من أنصار بلادنا

وعقيدتها السلفية وقت أن كنا لا نستطيع أن نقدم لإخواننا المسلمين شيئاً من العون لقلة مواردنا وضعفنا عن ذلك، فكانوا يناصروننا، وكان أعداء العقيدة السلفية النقية الذين كانوا يناصبوننا العداء ويحبون أن تشيع عنا أسماء وألقاب ما أنزل بها من سلطان يسمونهم الوهابيين يزعمون أنهم يتبعوننا في العقيدة أو أنهم مثلنا .

وقد شاء الله تعالى، وهو العلي القدير، أن يدرّ لنا الأرض، وأن يعطينا المال والجاه في العالم مما جعل حتى أولئك الذين كانوا يشنعون علينا يعودون يلتمسون عندنا باسم الإسلام الذي يتسمون به أن نساعدهم وأن نعاضدهم ناسين أو متناسين ما كانوا قالوه عنا من إفك، وما كانوا ألصقوه بنا من أكاذيب.

وقد توطدت صلاتنا بإخواننا أهل الحديث في الهند بعد أن سهلت الاتصالات، وكثرت الزيارات فيما بيننا وبينهم، ولذلك لم يعودوا غرباء على أبصارنا كما لم يكونوا غرباء على بصائرنا من قبل، فكان التعاون على الحق والتآزر على نصرة السنة النبوية المطهرة ولله الحمد.

وقد قضيت وقتاً في مقر جمعية أهل الحديث اطلعت على نشاط الجمعية في النشر والتوزيع الذي يشمل طبع الكتب التراثية القديمة، ونشر الكتب السلفية الحديثة.

هذا وقد عدت إلى الفندق بعد هذه الجولة التي لم يكن الحديث عنها من غرض هذه الرحلة.

يوم الجمعة ١٨/٤/١٤١٢هـ - ٢٥/١٠/١٩٩١م

مغادرة دلهي:

دفعت أجرة فندق أشوكا الذي كنت أنزل فيه في دلهي وهي ١٠٨ دولارات أمريكية، حذفوا منها الربع وهو ٢٥ ٪ من أجل الجواز (الدبلوماسي)، ولم يقبلوا نقوداً من نقودهم؛ بل طلبوا أن يكون الدفع بالدولار وهذا مثل من تعنتهم مع السائح وقلة مجاملتهم له.

وخرجت إلى المطار مع الشيخ عبد الوهاب الخلجي وأخ مسلم أخر بعد إجراءات عديدة في الفندق منها ما يتعلق بالأمتعة، حتى إنهم عند خروج الحقيبة من الغرفة يضعون عليها علامة ثم إذا ما دفع صاحبها ما عليه من الأجرة وضعوا علامة أخرى، وذلك أن الذي يأخذ الحقيبة وينقلها غير صاحبها، ولا يستطيع أن يأخذها معه حتى يحضر قسيمة صفراء يكونون علقوا نصفها على الحقيبة ويحتاج ذلك إلى بعض الوقت.

وعند باب الفندق كان عدد من الفضوليين الذين يسارعون إلى بذل أية خدمة لا يحتاجها النزيل من أجل (البخشيش) القليل.

وتوجهنا إلى المطار الداخلي لدلهي وهو الذي تطير منه الطائرات إلى المدن الداخلية وليست إلى خارج البلاد، فوجدنا على بابه شرطياً حازماً يمنع أي داخل من الدخول إلى مبنى المطار حتى يرى تذكرته ويرى الحجز عليها للسفر في هذا اليوم ولا يكتفي بالاطلاع على التذكرة، وكان مبنى المطار مزدحماً إلا أنهم جعلوا أكثر من مكتب عليه موظف يعمل في إنجاز الركاب على رحلتنا اغتناما للوقت.

وعندما وزنوا أمتعتي وجدوا فيها زيادة (٢٨) كيلو جراماً وهي هدايا من مؤلفاتي ومن تمر أخذته من بيتي هدية لإخواني وأصدقائي في الهند، فتقاضوا مائة وتسع روبيات على هذا القدر الزائد من المتاع، وليست هذه

بمشكلة لي لا من حيث المبلغ ولا من حيث تقاضيهم عنه فهذا من حقهم، وإنما المشكلة أن ذلك اعتبر معاملة تحتاج إلى إجراءات معقدة وتوقيعات من عدة موظفين؛ سواء فيما يتعلق باستحقاق المبلغ أو تسلمه، ولولا أن الأخ عبد الوهاب الخلجي كان معي وكان يسعى في ذلك لكان من المحتمل أن تكون الرحلة قد فاتتني لهذا السبب.

ثم الدخول إلى قاعة المغادرة فوجدنا عليها شرطياً قوى البنية، فاحص النظرات، أخذ ينظر في بطاقة الصعود إلى الطائرة ليتأكد من صلاحها، وبجانبه موظف للأمن يختم على بطاقة صغيرة كانوا قد علقوها في حقيبتي اليدوية.

ثم مررنا بموظف التفتيش من أجل الأمن وهم يفحصون جسم الراكب عن طريق لمسه باليد، وأشق ما على النفس في عملهم أنهم يوجهون إليك الأوامر وكأنما أنت تلميذ صغير أمام أستاذ له حازم.

فإذا انتهوا من هذا الفحص ختموا ختماً ثانياً على البطاقة المعلقة على حقيبتك اليدوية.

ودخلت القاعة لأستريح وإذا الموظف يطلب مني القيام بأمر فيه من الصرامة ما أملته الحاجة إليهم، ويقودني إلى مكان خارج القاعة مما يلي المطار، ويأمرني بترك حقيبتي اليدوية في القاعة وإذا به يرى الركاب أمتعتهم حتى يتعرفوا عليها قبل أن تنقل إلى الطائرة احتياطاً للأمن وخوفاً من أن تدس فيها حقيبة تكون فيها متفجرات ولا يصعد صاحبها إلى الطائرة، فإذا ما أريته أمتعتك قطع جانباً من بطاقات كانت قد علقت على الأمتعة علامة على أنها قد فحصت.

ثم عدت إلى القاعة وكان الشيخ عبد الوهاب الخلجي قد ودعني قبل دخولها لأنه سيسافر غداً إلى بنارس وليس اليوم، وهو يحمل تذكرة عليها حجز لذلك سمحوا له بالدخول إلى القاعة.

وعند الخروج من قاعة المغادرة إلى حيث الطائرة في ساحة الوقوف كان هناك شرطي آخر يدقق في البطاقات المعلقة في حقائب اليد ليرى ما إذا كانت قد ختمت فعلاً.

وكل هذه الإجراءات هدفها المحافظة على أمن الراكب ومتاعه والمحافظة أيضاً على الطائرات من الخطف، ولذلك صار الإنسان آمناً في هذه الطائرات الهندية، بل إن الهند كلها تعتبر بلاداً آمنة للغريب، وهذا ما يسجل في سجلات الحسنات لهم.

وتكرر وجود الشرطي الذي يتأكد من أن كل شيء على ما يرام عندما وصلنا سلم الطائرة.

إلى بنارس:

صعدنا لطائرة خطوط إنديان إيرلاين وهي الشركة الوطنية الداخلية خلاف شركة (إيرإنديا) التي هي شركة الهند الجوية العالمية.

وهي من طراز بوينغ ٧٣٧ وجدنا أن فيها مقاعد عديدة خالية مع أنهم شددوا في قلة المقاعد فيها وما كادوا يحجزون لي رغم الوساطات.

لم أرَ في الطائرة عربياً غيري، وأكثر المسافرين فيها من الهنود يليهم ذوو المظهر الأوروبي من السياح، وقد طافت المضيفات على الركاب بصحن فيه حب الكراوية وهو الذي نسميه عندنا بالحبة الحلوة ويسمي المصريون نباته (الشبت) وهم يمضغونه عند إقلاع الطائرة، وهو لذيذ الطعم إلا أنهم يحضرونه منثوراً في الصحن يأخذ كل راكب منه ما يشاء بأطراف أصابعه التي لا تبعد كثيراً عن أنفه أو عن تلقي عطاسه، ومعه حلوى ملفوفة بقرطاس وقطع من القطن ليضعها الراكب في أذنيه إذا شاء.

قامت الطائرة في الحادية عشرة وعشر دقائق متوجهة إلى (أقرا) تلك المدينة التاريخية الحافلة بالآثار التي لو لم يكن منها إلا (تاج محل) و(القلعة

الحمراء) لكان ذلك كافياً، وقد زرتها قبل هذه المرة بسنوات حيث سافرت من دلهي على سيارة السفارة السعودية، وذكرت ذلك في كتاب "**شمال الهند**" من هذه السلسلة من الرحلات في الهند.

عندما نهضت الطائرة رأينا على البعد قلب مدينة دلهي الجديدة بأبنيته العالية التي توشحها مساحات واسعة من الأرض الخضراء المهذبة التي تتصل بحدائق عديدة، وعندما يتجاوزها النظر والطائرة تسرع في الصعود يرى أحياء شعبية في ضواحي المدينة ذات بيوت لاطئة في الأرض، ومظهر ليس بذاك، وتخلو منطقتها من الحدائق أو المساحات الخضر.

ويرى المرء جانباً من نهر (جمنى) وهو أحد الأنهار المقدسة الرئيسية عند الهندوك حيث كان أوائلهم يعتقدون أنه ينحدر من السماء، واستلهموا قداسته من ذلك رغم كونه كان يفيض باستمرار وإن لم يكن ذلك وفق نظام معين، فيجلب الخراب والإرهاب لأولئك الذين يقدسونه ويعظمونه، إلى درجة أنهم قد يعبدونه مثلما عبدوا نهر الكنج (قانقا) وعندما اتسعت مداركهم وعرفوا أن هذا النهر يأتيهم من جبال الهملايا الواقعة في الدنيا وليس في الجنة لم يكفوا عن تقديسه وتعظيمه، وهذه هي حال أكثرهم.

ومن الطريف في هذا الأمر - إن كان فيه طرافة - أن الهندوكيين يعبدون كل نهر أعزب من أنهار الهند، ويعتبرون النهر الأعزب بأنه الذي لم يتفرع من غيره من الأنهار، وإنما هو قائم بذاته.

مطار أقرا:

استغرق الطيران ٣٢ دقيقة حتى هبطت الطائرة في مطار (أقرا) وذلك لقربها من دلهي، ولاحظنا أن المطار الذي نزلت فيه واسع المدرج فيه طائرات حربية عديدة، وبجانب المطار منازل مبنية من الطين وسط أرض ريفية غير بهيجة، وربما كان مرجع ذلك إلى كوننا الآن في فصل الجفاف وقلة

الأمطار في هذه المنطقة من الهند.

وتحيط بساحة وقوف الطائرة أشجار من أشجار الغابات .

و(أقرا) مدينة مشهورة لعلِ من أهم أسباب شهرتها وجود (تاج محل) فيها مع أن فيها آثاراً مغولية مما يسمى بالآثار الإسلامية غير تاج محل، منها القلعة الحمراء و(فتح بور سكري)، وقد ذكرت ذلك في كتاب «**شمال الهند**» من هذه الرحلات الهندية.

هذا ولم نلبث طويلا في المطار، وإنما صعد إلى الطائرة ركاب كثير أغلبهم من السياح البيض الذين مظهرهم مظهر الأوروبيين، وربما كان فيهم أمريكيون.

وقد ملأوا مقاعدها، وبذلك عرفت السر في صعوبة وجود مركب لي فيها مع وجود مقاعد كثيرة خالية من دلهي إلى أقرا.

وركاب هذه الطائرة الآن يخالفون الركاب الذين ركبت معهم قبل بضعة أيام من دلهي إلى بهوبال بكون أكثرهم من أهل الهند بخلاف هذه التي أكثر ركابها من البيض، وذلك لكون منطقة (أقرا) منطقة سياحية مهمة كما قدمت.

من أقرا إلى كاجوراهو:

أقلعت الطائرة من أقرا إلى (كاجوراهو) وليس من غرض في هذه المدينة، بل لم أكن أعرف أن الطائرة ستمر بها، ولكن هذه هي رحلتنا المقررة أن تمر بهذه المطارات المتقاربة.

أول ما بدأت المضيفات الهنديات اللاتي كن ثلاثاً ليس معهن مضيف ذكر بتقديم التحية المعتادة وهي حلوى صغيرة ملفوفة بورق كالتي تعطى للأطفال وهي من نوع غير جيد، وحبوب من الكراويا التي نسميها في بلادنا حب الحلوة، ويسمي المصريون ورقها (شبث) وقطن يأخذ منه من يريد أن

يضع في أذنيه قطناً يخفف من وقع صوت الطائرة عليه.

والحلوى والقطن مما تجاوزه الآخرون في الطائرات العالمية مثل طائراتنا، أما (الكراويا) فإنني لم أرَ من يقدمها غيرهم، ولكن خيّل إليَّ أنهم أحضروها من أجل أن يأكل منها من لا يريد أن يمص الحلوى لمرض أو نحوه.

وكان الازدحام شديداً في الطائرة، وكان مكبر الصوت فيها لا يسمع بوضوح؛ إضافة إلى كون المضيفة تخرج الحروف الإنكليزية من مخارج الحروف في لغتها الهندية، ولاحظت أن من بين المضيفات الثلاث واحدة ذات سحنة مغولية، وربما كانت من منطقة جبال الهملايا في شمال الهند.

مطار كاجوراهو:

لم يستغرق الطيران من (أقرا) إلى (كاجوراهو) أكثر من نصف ساعة.

و(كاجوراهو) منطقة آثار هندية قديمة تضع الشركات السياحية زيارتها ضمن برامجها السياحية، وتختلف عن (أقرا) بكون معظم الآثار القديمة فيها هي هندوكية أو بوذية قديمة بخلاف (أقرا) التي آثارها كلها تعتبر إسلامية، لأنها من مخلفات ملوك المغول المسلمين الذين حكموا الهند في العصور المتأخرة، وهي من أنفس الآثار الموجودة في الهند، بل في أنحاء العالم كله.

وقبل الوصول إلى المطار كان المنظر على الأرض شبيهاً بالصحراوي من ناحية عدم وجود أشجار كثيرة كالتي هي موجودة في منطقة بهوبال عاصمة ولاية مدهي يراديش (الولاية الوسطى)، ولكنها هنا أخصب من بهوبال، إذْ رأينا الأعشاب في الأرض كثيفة وتلالاً عديدة تجللها الخضرة،

هبطت الطائرة في الواحدة إلا ربعاً هبوطاً مزعجاً إذْ ضربت عجلتها الأرض بشدة، حتى رأيت بعض السياح الأوروبيين قد وضعوا أيديهم على رؤوسهم من الانزعاج.

وهذا أمر عرفناه من الطيارين الهنود وبخاصة في المطارات المحلية، حيث لا يكون المدرج طويلاً يسمح للطائرة بأن تظل لمسافة تطير فوق مستوى الأرض قبل أن تلامسها عجلاتها، وقد نزل أكثر السياح في هذا المطار، والغريب العجيب في أمر هؤلاء الأوروبيين هو محبتهم للمعرفة حتى الشبان والشابات الذين هم في سن الطيش وإغراء الشباب لا يلهيهم ذلك عن طلب المعرفة، ولو كان ذلك لا يأتي إلا بمشقة وكلفة، كما هي الحال بالنسبة إلى بعض هؤلاء السياح الذين في طائرتنا فهم شبان يحملون أمتعتهم على ظهورهم، لكون أحوالهم المالية لا تسعفهم باستخدام الخدم والحمالين ويحبون أن يسيحوا ويشاهدوا العالم الذي تجذبهم أخباره إليه، ومنهم -كما قلت- بعض الشابات اللاتي تركن بلادهن وما فيها من راحة ودعة وجئن يحملن أمتعتهن على ظهورهن كما يفعل الحطابون في أرضنا هذه، الذين يحملون الحطب على ظهورهم .

وافتقدت شباناً وشابات من بني قومنا لا نريد لهم أن يحملوا أمتعتهم على ظهورهم لأن الله قد أغناهم عن ذلك، ولكن نريد أن يكونوا في أماكن المعرفة والاطلاع على أحوال الشعوب، وعلى ما خلفته من آثار، وجاء الخيال ليقول: إنك سترى بعضهم الآن في أماكن لا تود أن تراها من أوروبا خاصة تلك البلاد التي أقبل هؤلاء منها يطلبون المتعة الثقافية، وأقبل بعض شبابنا إليها يطلبون المتعة الرخيصة.

إلى بنارس:

تأخرت الطائرة قليلاً في هذا المطار فلم تقلع منه إلا في الواحدة والثلث قاصدة مدينة بنارس، وعندما استوت في الجو قدموا الضيافة التي لم

يقدموها ولا غيرها في الجزأين السابقين من هذه الرحلة بسبب ضيق الوقت، وضيافتهم علبة من الورق المقوى فيها قطعة من الكعك اللين (الكيك) وفطيرة و(ساندويتش) من الجبن وكاس من شراب الانبة (المانقو).

ارتفعت الطائرة فجأة في الجو، وقد قلّ ركابها بالنسبة إلى المحطة التي قبلها، ولم استطع تبين شيء من معالم الأرض تحتنا، لوجود غيم في الجو.

وقبل الوصول إلى بنارس صحا الجو، ورأينا القرى كثيرة مزدحمة في المنطقة، وفيها المزارع التي لا يوجد فيها فراغ، فالريف مزروع كله خلاف ما عليه الحال في أول الرحلة .

مطار بنارس:

هبطت الطائرة في مطار بنارس في الثانية إلا عشر دقائق ظهراً بعد طيران لم يزد على نصف ساعة، وجدت في الاستقبال في المطار الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس أستاذ في الجامعة السلفية، والشيخ أصغر علي بن إمام مهدي مدرس في الجامعة أيضاً.

ولم نمر بأية إجراءات في المطار لكون الرحلة داخلية فقد صحبني الدكتوران على سيارة خاصة أحضروها لهذا الغرض .

بدأت المنازل منذ أن تركنا المطار فتكاد تتصل به، وسلكنا الطريق المعهود الذي سبق أن سلكته قبل ذلك عندما زرت بنارس فوجدت السنين لم تزده إلا سوءاً فهو ضيق كما رأيته من قبل، وقد زاد ضيقه في نظري الآن لما أعطانا الله تعالى في بلادنا من الخير والعناية بالشوارع والطرق حتى صرنا نرى الشوارع والطرق المتوسطة في الجودة رديئة إذا قارناها بطرقنا وشوارعنا. وهذا أمر نسبي ولكن هناك سوء حقيقي أصاب هذا الشارع وأمثاله من المرافق في الهند، وذلك نتيجة لتزايد استعماله، بسبب كثافة السكان وقلة

العناية به، وعدم إمكان توسعته لكونه تقع عليه بيوت كثيرة يصعب إيجاد البديل لها للسكان، كما يصعب على البلدية أن تجد النفقات اللازمة لذلك، وسألت المرافقين - حرسهما الله - عن الطريق فذكرا أنه لم يجر عليه أي تحسين منذ أن تركته قبل سنين.

والشيء الذي لاحظته فيه أن زحام السيارات وبخاصة الشاحنات والحافلات قد زاد زيادة كبيرة، كما أن عربات الركشا وبخاصة (الركشا) ذات المحرك التي يسمونها (موتور ركشا) بأصواتها المزعجة قد تضاعفت في الطريق إضافة إلى زيادة المشاة من الأناسي وبخاصة من النساء والأطفال.

وتكررت رؤية بيوت الطين على جانبي هذا الشارع المهم، وقلّت رؤية النظافة أو هكذا خيل إليّ، وحتى مظاهر الناس لم أرها تحسنت مع أن الذي لاحظته أن سكان الهند على - وجه العموم - قد حسنت حالتهم العامة المتمثلة في الملابس وفي مظاهر التغذية على الوجوه.

وعلّق الإخوة على ذلك بأن الموظفين الكبار لا يهتمون بمصالح العامة من الناس.

ويبلغ طول الطريق ما بين المطار ومدينة بنارس ١٩ كيلو متراً.

في مدينة بنارس:

وهذه المرة كان نزولي في فندق من فنادق الدرجة الأولى وجدت الإخوة قد حجزوا لي فيه واسمه (تاج قانقا) وهو فندق جديد واسع الساحات والأفنية الداخلية وكذلك المرافق، وتحيط به حديقة نضرة معتنى بها.

وعندما رأيته هكذا بعد منظر بعض البيوت التي رأيتها في الطريق لا سيما بيوت الفقراء أو اللاجئين من الريف إلى المدينة، وبعضها من القش وبعضها من الطين، إضافة إلى أكوام من القمامة ومناقع من الماء الأخضر

الآسن تجلى الفرق في ذهني.

وحتى النزلاء فيه فيهم بعض الأجانب من ذوي المظهر الأوروبي، وفيهم نسبة لا بأس بها من أغنياء الهنود الذين لم يمنعهم ارتفاع أجرته من السكن فيه.

ولم أجد هؤلاء الأغنياء من الهنود يبالون بالفروق التي ذكرتها ولا حتى يتأثرون من مناظر الهزال والصفرة في الألوان التي تبدو على وجوه بعض الريفيين والفقراء وبخاصة من طائفة المنبوذين الذين يسمونهم (هاريجان) وذلك لاعتيادهم على هذا الأمر.

بعد أن اطمئن الأخوان المرافقان على كوني أخذت مكاني في غرفة الفندق ودّعا وذهبا.

وطلبت غداء خفيفاً فأحضروه صحناً من الأرز البرياني وهو المخلوط باللحم والأبازيز المقلو معها. وقد أثقلوا الدسم فيه.

ولا حاجة هنا إلى القول بأن المراد باللحم هو لحم الغنم لأنه لا لحم غيره إلا الدجاج، لكون أهل الهند لا يقدمون لحم البقر الذي يقدسونه، ولا يسمحون بذبحه أو بيع لحمه في أكثر الولايات الهندية ومنها ولاية أترابراديش هذه التي نحن فيها.

وقد تقاضوا قيمة هذا الصحن ومعه صحن من الباميا ء، والباميا ء عندهم رخيصة في السوق ١٣٢ روبية.

وزجاجة من الماء المعدني كنت آخذها من فندق أشوكا في دلهي بـ ٣٥ روبية فحسبوها هنا بـ ٥٤ روبية ويساوي ذلك دولارين اثنين على حين أنها تباع عندنا في المطاعم والفنادق بريالين أي أكثر قليلاً من نصف دولار، وأن الأجور في الهند أرخص منها في بلادنا بمراحل.

وتكرر في هذا الفندق الحديث وجود مكيف الهواء مرفوعاً في

الغرفة، ولا مغلاق له من داخل الغرفة إلا بأن يبحث المرء عن شيء يصعد عليه فيغلقه، ربما كان هذا ناتجاً عن كون الحاجة إليه مستمرة في الغرفة ليلاً ونهاراً في هذا الصيف الحار.

هذا وقد قضيت سائر هذا اليوم في الراحة واستقبال بعض المشايخ من العاملين في الجامعة السلفية وغيرهم وكلهم لي صديق، وسبق أن قابلتهم أو أكثرهم هنا في بنارس وفي بلادنا .

يوم السبت ١٩/٤/ ١٤١٢ هـ - ٢٦ / ١٠ / ١٩٩١ م.

تجديد العهد بمدينة بنارس:

كان هذا اليوم هو يوم الجولة المتجددة في أنحاء من مدينة بنارس وهو يوم الذهاب إلى جهة خارجها لم نرها من قبل.

غادرنا الفندق ضحى مع عدد من الإخوة الكرام أهل بنارس.

فسرنا مع الشارع الذي يقع عليه فندقنا (تاج قانقا) واسمه (شارع بارنا) على اسم نهر (بارنا) الذي تألف منه ومن النهر الآخر (السني) اسم هذه المدينة الذي اشتق منه لفظ بنارس الآن.

وقد قصدنا حي المسلمين المسمى (مادنبره) الذي سبق ذكره فمررنا بالجامعة السنسكريتية وهي جامعة لهذه اللغة السنسكريتية التي هي أصل اللغة الهندية الحاضرة المسماة عندهم الآن (الهندي) وهي لغة قديمة كانت قد ماتت في أكثر الأماكن في الهند، وإن كانت اللغات التي أخذت منها ومنها اللغة الأوردية حية نامية، وقد أحياها الهنادك الآن، وإن لم يستطيعوا أن يحيوها حياة كاملة ولكنهم صاروا يستعملون الألفاظ والتعبيرات التي ترجع إليها، كما صاروا يبدلون الكلمات والجمل الموجودة في الأوردية أو في لغة المخاطبة عندهم بما يرادفها أو يشابهها من هذه اللغة السنسكريتية.

والجامعة السنسكريتية هذه هي من أكبر الجامعات في المدينة وأشهرها، ومع ذلك رأيت أسوارها ومظهرها الخارجي ليس بذاك، فهو لا يقارب فضلاً عن أن يقارن بمظهر الجامعة السلفية التي تكاد تجاورها في الموقع إذ لا تبعد عنها إلا قليلاً، فالجامعة الإسلامية حديثة المباني، نظيفة غاية النظافة لا يكاد يصدق من يراها بأنها مرفق عام غير مملوك لشخص معين، وأنها لا تأخذ من الطلاب مالاً أو رسوماً مقابل الدراسة فيها، بل إنها تسكن بعض الطلاب في المهاجع التي تتبعها وتوفر لهم المعيشة فيها، مع أنها

تابعة لجمعية خيرية، بخلاف الجامعة السنسكريتية هذه فإنها حكومية تتقاضى رسوماً وأموالاً من الطلاب الذين يدرسون فيها .

سوق دال مندي :

وهذا سوق تجاري، معروف بأنه للتجار من المسلمين، ولا يزال المسلمون يؤلفون أكثر أهل حوانيته.

وصلنا إليه من شارع اسمه (ني سلك) الشارع الجديد لأن (ني) جديد، وسلك هي شارع كما أخبرونا به.

أظهر الأشياء في هذه السوق غير المحلات التجارية مسجد ظاهر الشعار والمنار نظيف المظهر اسمه (**مسجد حافظ خدا بخش**).



سوق بنارس

والسوق نظيف جداً، ومرتب وأكثر المعروضات فيه من الأقمشة وهناك حوانيت في أطرافه لغير الأقمشة، ولا مقارنة بينه وبين شارع المطار الذي وصلنا منه أمس.

ويقع هذا السوق في وسط المدينة القديمة، وهو مزدحم جداً بالناس، مما ذكرني بالسوق الملاصق للمسجد الجامع الكبير في دلهي القديمة.

ورأيت أعداداً من السياح البيض فيه، وهم لا يكادون يجدون طريقهم وسط الزحام.

وفيه سلع وبضائع لا توجد في غيره لذلك يأتي إليه الناس من بعيد، وهو بالفعل يستحق الزيارة فضلاً عن الحاجة إلى شراء ما يحتاجه المرء منه.

أما أكثر ما يضايق المرء فيه فهو هذا الفيضان الضخم من عربات الركشا التي هي دراجات نارية أو دراجات هوائية معتادة يحمل صاحبها بها الناس بالأجرة ويسوق بهم بقدميه.

خرجنا من هذا السوق إلى الشارع العام الذي هو مزدحم جداً؛ بحيث إن سيارتنا لم تستطع السير إلا خطوة خطوة بين الخطوتين وقفة ووقفة، والسائق يلحّ ببوق سيارته على الجمهور الذي لو أراد أن يبعد عن السيارة بسرعة لما استطاع لأنه لا يوجد خلفه ولا أمامه متسع لذلك.

على نهر الكنج:

أردت رؤية نهر الكنج الذي يسمونه (قانقا) في هذا الوقت الذي هو ضحى، وكنت رأيته في المرة الماضية في الصباح المبكر.

وصلنا إلى منطقة هندوكية خالصة اسمها: (دسا سميد) وهي حي للهنادكة، دخلنا سوقه الذي هو متنوع المعروضات ولكن دون سوق (دال مندي).

ولاحظت في هذه المنطقة كثرة البقر التي يظهر كما لو كانت لا مالك لها والأمر ليس كذلك فهذه الأبقار مملوكة ولكن أصحابها يرسلونها لكي تأكل من فضلات الخضرات وغيرها؛ إضافة إلى ما قد

يعطيها بعض الناس من أشياء تأكلها لكونها معبودة أو مقدسة لدى الهنادك المحافظين، ولك أن تعجب من معبود مملوك !.



على شاطئ نهر الكنج في مدينة بنارس مع الشيخ الدكتور رضاء الله المباركفوري المدرس بالجامعة السلفية

والأهم في شأن البقر في هذا الحي الهندوكي أنها لا تجد من ينتهرها فضلاً عن أن يضربها، وهذا هو الشائع عند الناس غير أني رأيت فيه هذا اليوم بقرة أسرعت لتأكل من فاكهة كان أحد الهنادكة قد جلس ليبيعها فأسرع هذا يرفع فاكهته يبعدها عنها وهو يدمدم بما لا أفهمه.

لقد كانت المناظر في هذا السوق غريبة حقاً من ألوان الثياب وسحن الناس وملابسهم التي تتراوح بين الجيدة النظيفة، إلى آخر ما تتصوره من القذارة غير أن الجيد جداً منها والرديء جداً هما الأقل بينها، وأما الأكثر فهو الوسط الذي يبدو معقولاً في مثل حالتهم.

والشيء الذي يضايق منظره هنا هم أكلة التنبول الذين احمرّت أفواههم، وغلظت أشداقهم، وكثر بصاقهم حتى في هذا السوق المزدحم.

وصلنا إلى موضع من شاطئ النهر لم نره في المرة الماضية فرأيت النهر خالياً هذا اليوم إلا من جماعة يغتسلون فيه، ويظهر أنهم جاؤوا من خارج بنارس، وينبغي أن نتذكر ما سبق أو سبق شبيه له بأن الهنادك يعتقدون أن الاغتسال في نهر الكنج (قانقا) مما يطهر من الذنوب.

نزلنا إلى النهر مع درج طويل، ربما كان ذلك لكون الماء قليلاً في النهر الآن، ولم أر فيه أي شيء يستحق النظر الآن إلا ما وقر في الذهن من مكانته عند الهنادك ومن تجمعهم عنده الذي شهدناه قبيل طلوع الشمس، وما دار في الخيال من أن هذا النهر قد قذف فيه رماد ملايين الملايين من الناس الذين أحرقت أجسادهم على ضفافه ثم ذرّ رمادهم فيه، إلا أن النهر جارٍ فيتفرق ذلك الرماد - إن بقيت منه بقية للتفرق - على بساتين الناس ومزارعهم كما تتفرق المجاري والمياه القذرة التي تنطلق من مدينة بنارس ولا تصرف إلا إليه لعمق مجراه وكونه جارياً غير راكد.

وجاء الخيال ليقول: إن ملايين الملايين من الأرواح التي أحرقت أجسادها في ضفافه تحدق الآن بأعينها في الزائرين الفضوليين، هذا إذا لم تكن قد جرت بجريان النهر حتى مصبه في خليج البنغال، إن كانت الأرواح تجري كما تجري الأجسام وهي ليست كذلك، ولكن لها جريها الذي لا يشبه جري الأجساد مثل بقية أحوالها التي لا يعلمها إلا الله، ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومآ أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾.

ومن الغريب الذي رأيته هنا أن الناس يحملون من ماء النهر للتبرك، ولإهدائه لأصدقائهم الذين لم تتح لهم زيارته مع أن مياه المجاري تصب فيه وقد رأيتها وهي صفراء متغيرة.

والتقطت صوراً للنهر لم ألتقطها المرة الماضية، وعدنا نتأمل سوقاً للخضرات بالقرب منه لم أر فيه أشياء غريبة ما عدا باذنجاناً بنفسجي اللون، وقرعاً من اليقطين الذي نسميه (قرع نجد)، وأما البامياء فإنها

كثيرة في هذا السوق وكل الخضرات رخيصة الثمن .

إلا أنها مما يعسر على المعوزين، وذوي الدخول المحدودة الوصول إليه.

وهناك الفاصوليا بكثرة والليمون الصغير المعروف بالبنزهير.

ومما يجدر ذكره أن البراهمة والمتدينين من الهنادك لا يأكلون اللحوم ولا البيض ولا الأسماك، وإنما يكتفون بالبقول والخضرات لذلك تكثر عندهم وتكثر في أسواقهم.

ريف بنارس :

لم نطق الصبر على معاناة الزحام في وسط المدينة وهو زحام لم أكن عهدته فيها من قبل، ولا شك أنه ناشئ عن زيادة سكانها مع عدم توسعة الشوارع والميادين فيها ، ومع ذلك فقد وجدت متعة في الاطلاع على هذه المناظر الغريبة التي لا يطمع المرء أن يرى أمثالها حتى في داخل الهند.



الزحام في شوارع بنارس

ويظهر في الصورة معبد هندوسي (تُلْسي مندر)

ومن الملاحظ جداً في هذه الأماكن والأسواق المزدحمة أن آداب الطريق مرعية، وأن القوم مؤدبون مهذبون في تزاحمهم، حتى لا تجد من يضايقك فضلاً عن أن يضايق أحد منهم أحداً إلا فيما لا مفر له منه، والنساء هنا كما في سائر أنحاء الهند - والمقصود نساء الأغلبية من الهنادك- لا يعرفن الحجاب ولا ستر وجوههن، بل إن أكثرهن قد كشفن عما يشبه الحزام من وسط بطن المرأة دائراً مع دوران جسمها، ويكون ذلك هو فرق ما بين الصدري الصغير (البلوزة) الذي تلبسه يغطي الصدر تغطية كاملة إلى أسفل النهدين، وبين الجزء الأسفل من الساري الذي يرتفع من القدمين حتى يصل إلى حوالي السرة فيقف قبل أن يلتحم بالصدري المذكور، ومع ذلك لا يشعر المرء بأن الرجال يعيرون النساء أقل التفات. ولا شك في أن مرجع ذلك إلى تربيتهم الصارمة التي تحترم التقاليد، وتتمسك بالموروثات إضافة إلى التعود والنشأة على ذلك منذ الصغر.

وأهم ما يضايق المرء في أمثال هذه الأماكن المزدحمة في الهند ما قد يصيبه من عطسة أو سعلة لا يستطيع صاحبها لها رداً، أو لا يريد ذلك فتعقبها زكمة أو حتى مجرد تقزز إذا ذكره لم يستسغ طعامه.

وشيء آخر وهو دخان المركبات من الدراجات النارية والسيارات، وأصواتها المزعجة.

منطقة تشوك:

تركنا قلب المدينة المزدحم القريب من نهر (الكنج) وذهبنا إلى منطقة أخرى في بنارس لمشاهدة مبنى تملكه الجامعة السلفية، أي أنه موقوف عليها ويقع في حي يسمى (تشوك) بمعنى المنصة أو الدكة، فرأينا المبنى قوي البناء مؤلفاً من خمس طبقات تحتها خمسة حوانيت (دكاكين) كتبوا عليه اسمه (**سلفية بلدنغ فارانسي**) أي مبنى السلفية في بنارس، وهو مؤجر تنتفع الجامعة بغلته.

رأينا في الطبقة الأولى من المبنى احتفالاً يجري بعرس للمسلمين، أهم مظاهره محراب مغمور بالنور بطريقة فنية.

ووجدنا بعض أقارب العروس في المكان فشربنا معهم شرابا بارداً قدموه لنا والتقطنا معهم صورة تذكارية، وكان من البارزين فيهم شخص اسمه (ناني كاخان) مسلم عضو في بلدية بنارس، طلب التقاط صورة معه في الشارع، وعلى ذكر الزواج أخبرنا إخواننا أن بعض المسلمين لا يزالون يتمسكون بعادات موروثة في التزاوج مع طبقة معينة هي طبقتهم لا يقبلون ذلك من غيرها.

وفيما يتعلق بهذا الحي الذي هو في داخل مدينة بنارس رأينا بعض السائحين الغربيين أيضاً، ولكنهم في هذه المرة راكبين على دراجات الركشا التي هي عربات هوائية يسيرها صاحبها برجليه، وينقل عليها الناس بالأجرة.

ولم أر في هذه المدينة ما رأيته في كلكتا من وجود الدراجات التي يسحبها صاحبها وهو يسير على قدميه، والدراجة محملة بالراكب أو الراكبين.

المسلمون في بنارس :

كان موعد الغداء اليوم في الجامعة السلفية حيث وجدنا عدداً من كبار المسؤولين في الجامعة على رأسهم الأخ شاهد جنيد الأمين العام للجامعة، والأخ سعودي بن الشيخ عبد الوحيد الذي كان والده عبد الوحيد -رحمه الله - أحد مؤسسي الجامعة وظل يشغل وظيفة الأمين العام فيها حتى توفي، وعدد من المدرسين. وكان في الحاضرين أيضاً الأخ محمد صالح أنصاري وهو شقيق لشاهد جنيد، ولكن ينبغي التنويه بسيرته، فهو رئيس بلدية بنارس مع أنه مسلم جيد معروف بذلك ويعمل بالتجارة مثل شقيقه الشيخ شاهد جنيد، وتجارتهما رائجة، لذلك وبسبب قوة شخصيته انتخب

رئيساً للبلدية.

سألته عن الذين انتخبوه فقال: بطبيعة الحال انتخبني المسلمون لأنني مسلم ولكن المسلمين في بنارس أقلية كما تعرفون، ولكن غير المسلمين وهم الهنادكة انتخبوني أيضاً، لما يعتقدونه من كوني سوف أؤدي واجبي لخدمة مدينتهم.

وقد حدثنا الإخوة المسلمون أن نسبة المسلمين في بنارس الآن هي ما بين ١٧ و ١٨٪، وأن من أعضاء مجلس بلدية بنارس الذي هو أشبه بالبرلمان المحلي ويسمونه مجلس المدينة ٣٦ من المسلمين من مجموع الأعضاء فيه الذين يبلغون ٩٢ شخصاً فنسبة المسلمين في المجلس هي ٣٤ ٪ أي ضعف نسبتهم العددية تقريبا.

والمهم أنه تم في هذا المجلس انتخاب رئيس مسلم هو الأخ محمد صالح أنصاري بأغلبية كثيرة من أعضاء المجلس.

وكنا أدينا صلاة الظهر جماعة في مسجد الجامعة الذي هو جيد واسع في غاية النظافة في فرشه وأثاثه وفي مبناه، وقد صلى معنا عدد كبير من المصلين كان أكثرهم من الطلاب الذين يسكنون ويعيشون في الجامعة.

وقد أرونا بعد الصلاة أرضاً خالية بجانب الجامعة يعتزمون شراءها لكونها ملاصقة للجامعة والجامعة تحتاج إليها، وقد وعدتهم بإرسال معونة على ذلك من رابطة العالم الإسلامي إذا اشتروها.

أسباب أكلهم الفلفل:

لم يخل طعامهم من الفلفل الحار مع أنهم خففوه فيه لمناسبة وجودنا معهم وكونهم يعرفون أننا لا نستسيغ حرارته، ولذلك جرى الحديث معهم وهم من المثقفين عن السبب في تعلق أهل الهند بالفلفل الحار إلى درجة لا يستطيع غيرهم أن يفهم كيف يصبرون عليها. فهم يكثرون من الفلفل الحار

في الطعام، بل يسرفون فيه، وذلك في جميع الوجبات وفي كل أنواع الطعام، وهذا أمر معروف ولكن الذي لا يلقي له بعض الناس بالاً أنهم يكثرون أيضا من الدسم الثقيل في الطعام بحجة أنه يلطف من تأثير الفلفل على الحلق والمعدة، وبعضهم يقول: إنه يساعد على اتقاء الضرر الذي يلحقه الفلفل الحار بالبطن والأمعاء، ويأتي السؤال ليقول: ما دام أنهم يعرفون أنه قد يؤذي الحلق والمعدة لماذا يأكلونه ؟ وقد اختلفت إجابات الحاضرين الذين كانت كل أجوبتهم ظنية غير مبنية على أسس علمية من البحث والتنقيب.

وكانت الآراء تجمع على أن السبب هو العادة غير أن السؤال لا يزال باقياً على حاله وهو لماذا اعتاد أهل الهند دون غيرهم على الإكثار من الفلفل والبهارات الحارة أو الحريفة - كما يقول علماؤنا الأوائل - ؟

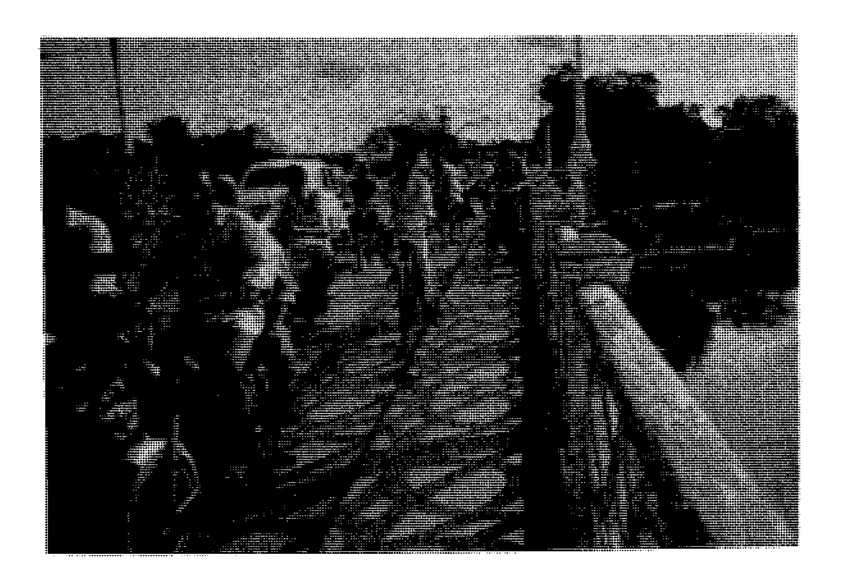
فقلت لهم عندما لم أجد جواباً مرضياً: إنه ربما كان السبب في الأصل سبباً صحياً وهو أن أرض الهند أرض ندية رطبة وبخاصة في أيام مواسم الأمطار وأوقات فيضانات الأنهار، فتنشأ عن ذلك مستنقعات فيها جراثيم متنوعة، والفلفل بطبعه قاتل لبعض أنواع الجراثيم غير الفتاكة، ولذلك يوضع مع بعض الأطعمة المحفوظة فاعتاد الناس على ذلك لهذا السبب.

وقلت لهم: إنني قد قرأت في بعض الإسرائيليات الخرافية أن آدم عليه السلام حينما أهبط من الجنة كان هبوطه في أرض (سرنديب) التي هي جزيرة سيلان أو (سري لانكا) في الوقت الحاضر، وقالت الخرافة: إنه بكى بدمع حار على مفارقة الجنة، فنبتت هذه البهارات الحارة في أرض الهند من دموعه !!! وكل هذا - كما قلت - ليس مبنياً على بحث علمي، وإنما البحث العلمي عن ذلك صدر عن علماء من أستراليا، فقد قرأنا في الأخبار أن أحد العلماء هناك اكتشف أن أكل الفلفل الحار يورث الإدمان، وأن أشخاصاً متبرعين قد استمروا على أكل الفلفل مدة أربعين يوماً بالمقدار الذي يضعه الرجل المعتاد في الهند وجدوا أنهم لم يعودوا يتألمون من حرارته.

إلى منطقة شارناث :

في الساعة الثالثة بعد الظهر كنا نغادر الجامعة السلفية ونودع الإخوة الكرام من أهلها الذين أقاموا لي مأدبة غداء فيها، ونخرج من مدينة بنارس في جولة سياحية إلى منطقة لا تبعد عنها كثيراً ولكنها مهمة من الناحية التاريخية، وهي منطقة (شارناث) حيث يوجد مركز بوذي كبير فيها يزعم البوذيون أن بوذا جاء إليه من بيهار.

اخترقنا وسط المدينة الذي يفيض بالدراجات والمشاة فيضاناً هو أشبه بفيضان الماء الحقيقي الذي لا يكاد المرء يخلص منه إلا بصعوبة.



جسر على نهر (برنا) أحد روافد نهر الكنج، في إحدى ضواحي مدينة بنارس

ومن الطريف أننا رأينا في حاشية قلب المدينة كناسات يكنسن بمكانس من القش والغبار قد جللهن حتى وصل إلى رؤوسهن، وعرفنا أنهن يجمعن التراب الدقيق الذي يكنسنه من الشارع في كويمات صغيرة على جانبه ويتركنه فتحركه الأقدام والدراجات وتطيره الريح فيعود مرة آخرى

إلى الشارع، ولو كانت لديهم استطاعة لشراء السيارات التي تكنس الشوارع عن طريق رشف الغبار منها آلياً وإبعاده عنها مثلما هو موجود لدينا وفي أكثر بلدان العالم المتقدم لكان ذلك أنظف وأسهل.

ومررنا فوق جسر قديم على نهر (بارنا) خارجين من المدينة حيث يعتبر هذا النهر هو حد مدينة بنارس القديمة، والتقطت صورة للنهر وهو هنا غير واسع، لا سيما بالمقارنة مع نهر الكنج (قانقا).

وقد رأينا الزحام قد أمتد حتى شمل منطقة هذا الحد القديم للمدينة.

محلة باندي بور:

بعد الجسر الذي يقع فوق نهر (بارنا) دخلنا أحياء جديدة من مدينة بنارس، وجدتها قديمة - إن صح التعبير - لأن بناءها ليس حديثاً إلا من ناحية كونه أحدث عهداً من المدينة القديمة، ومن ناحية كونه أفسح أرضاً، ولوجود أراضٍ صغيرة مزروعة ومساحات خضر فيه.

أما المنازل في هذه الأحياء الجديدة فإنها مبنية من الطين ذات رواشين خشبية لأنها كانت في الأصل منازل ريفية.

والرواشين: جمع روشان وهي النوافذ الخشبية المستورة بشبك من القصب أو أعواد الأخشاب الدقيقة المتداخلة التي تسمح لمن يكون في داخلها أن يرى الناس في خارج المنزل وهم لا يرونه، وقد ذكرني طراز هذه البيوت بالبيوت الموجودة في ضواحي مدينة كتمندو عاصمة نيبال وفي قراها الجيدة وبخاصة في مدينة (بوغتابور) القريبة من العاصمة (نيبال) وهي هندوكية كما هو معروف، إلا أنه ربما يكون من غير المعروف لسائر الناس أن الدين الرسمي لدولة نيبال هو الهندوكية، بخلاف الهند فإنه رغم كون الأكثرية الساحقة من سكانها هي من يدينون بالهندوكية، فإن الحكومة علمانية ليس لها دين رسمي معين.

ولا يعني هذا أنها لا تشجع نشر الثقافة الهندوكية ولكنها لا تشجع الديانة الهندوكية بمساعدات رسمية، لأن ذلك خلاف دستورها.

وكانت المحلة الأولى التي وصلناها تسمى (باندى بور) وبور: محلة أو مكان السكنى، وهذه الكلمة شاسعة في عموم القارة الهندية، وأما (باندي) فإنها مأخوذة من كلمة بانديت التي تعني إحدى الطوائف البراهمية الراقية بل المتميزة في نظام الطبقات الهندية.

البراهمة في الهند:

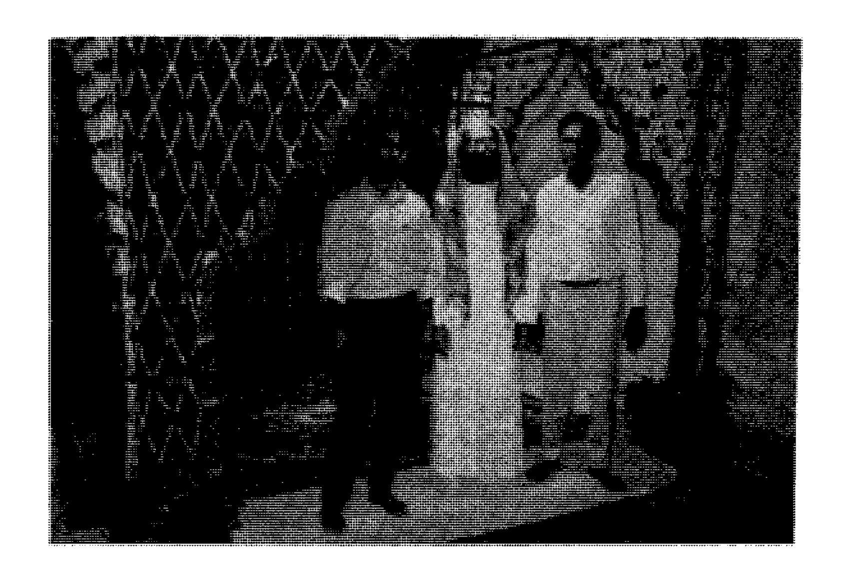
وطائفة البراهمة - كما قلت - هم الطبقة الراقية من نظام الطبقات الهندية، ويعتبرونها متقدمة راقية من أصل خلقتها إذْ يزعمون أنها مخلوقة من رأس الإله الأكبر عندهم، وهي في رقيها أو في تسنمها أعلى الطبقات تقابل طائفة المنبوذين أو (الهاريجان) التي هي أسفل الطبقات الهندية، وذلك بحكم ولادتها وأصلها إذْ يزعمون أنها مخلوقة في الأصل من رجلي ذلك الإله وأنها إنما خلقت لخدمة الطبقات الأخرى وبخاصة طائفة البراهمة.

وقد أصبح نظام الطبقات الهندية على مدى العصور جزءاً من التكوين الديني والتراث الفكري، إن لم نقل العقيدة الراسخة في الهند حتى غدا مسلّما به بقطع النظر عندهم عن امتهان الإنسان، وإهدار كرامته الناشئة عن نظام الطبقات هذا.

ولا يسعنا في هذا المقام الذي ورد فيه ذكر هذا الموضوع - من باب المصادفة - أن نذكر كل ما يتعلق بنظام الطبقات في الهند، ولكنني أذكر هنا ما كان علق بذهني وتأكد عندي من زياراتي الهند، وهو أن طبقة المنبوذين كان من أهم عملها قبل العصر الحديث الذي غير من نظام المراحيض إلى المجاري أن يجمعوا في كل صباح ما تكون الطبقات الراقية قد ألقته في مراحيضها من غائط أي براز، ويحملوه إلى الخارج بعيداً عن

المساكن.

كما أن من اعتقاداتهم أن الطبقات المنبوذة نجسة لا تجوز مؤاكلتها أو مشاربتها ولا أن تمس إناء أو تأكل من إناء، وإلا اعتبر ذلك الإناء نجساً يجب كسره وإتلافه إذا كانوا قد مسوه بالفعل؛ بل إنهم كانوا يعتقدون أنه إذا وقع ظل المنبوذ على شخص من الطبقات الراقية فإنه ينجسه لذلك يكون المنبوذ عرضة للعقاب إذا فعل ذلك.



مع اثنين من الإخوة المسلمين في متجرهما في سوق بنارس

مع أنهم جميعاً يشتركون في اعتناق الديانة الهندوكية مما حمل رئيس وزراء الهند الأسبق (البانديت) جواهر لال نهرو الذي هو من هذه الطبقة الراقية المتميزة أن يقول: إن الهند لم تعرف المساواة والأخوة الإنسانية إلا بعد أن دخلها الإسلام.

ويجدر بنا عند ذكر لقبه الطبقي (البانديت) أي معنى اسمه وهو (جواهر لال) فمعناه (الجوهرة الحمراء) لأن (جواهر) هي (جوهر) العربية، و(لال) كلمة أوردية معناها: حمراء.

ونعود إلى المهم في الأمر وهو أن طائفة البراهمة الراقية لا تؤلف إلا ٥ ٪ تقريباً من عدد سكان الهند، ولكنها كانت هي المسيطرة، من ذلك أنه في كل السنوات التي أعقبت استقلال الهند كانت نسبة الوزارات منها في الوزارات الهندية المتعاقبة تبلغ ٨٠ ٪.

ورأينا في الطريق أكواماً من المنتجات الزراعية المعروضة للبيع على الطريق من أهمها أكوام من الموز، فيه الأخضر الكبير والأصفر المعتاد.

هذه شارناث:

وصلنا منطقة (شارناث) التي نقصدها بسرعة، وذلك لقربها من مدينة بنارس، فلا تبعد عن طرفها إلا بـ ١٨ كيلو متراً.

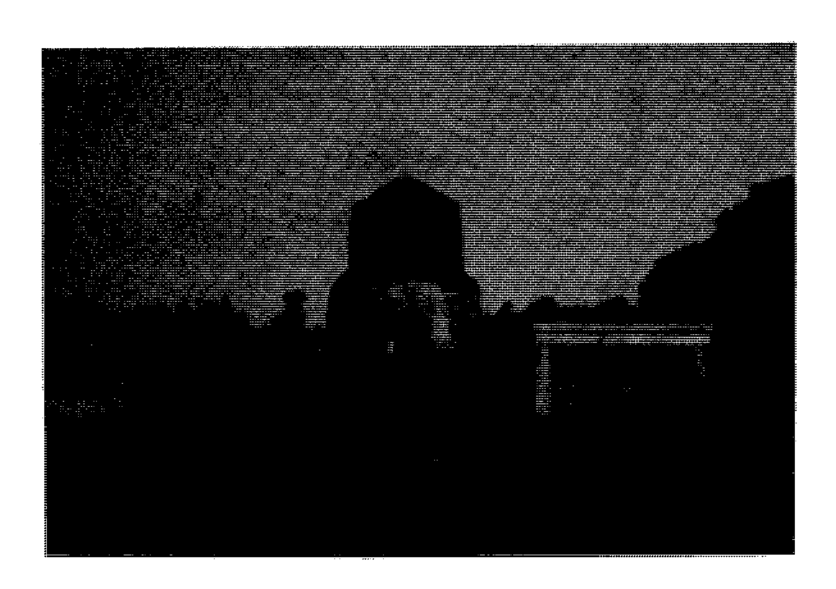
وهي مركز مهم للبوذيين وكانت كذلك مركزاً مهماً لهم في القديم، وفيها أقام بوذا - بزعمهم - ذكروا أنه قدم إليها من ولاية بيهار وأنه أنكر على الهندوكيين نظام الطبقات السائد في الهند، كما أنكر عليهم عبادة الأوثان التي تمثل آلهتهم الكثيرة.

وقد تغلب أتباعه البوذيون على المنطقة من أهلها الهندوكيين فكانت بنارس بوذية بأكثرية سكانها، إلا أن الهنادكة عادت لهم القوة، وتحول البوذيون على مر العصور إلى أقلية قليلة كادت تخلو منهم مدينة بنارس، بل كادت الهند تخلو منهم، مع أن الديانة البوذية هي هندية المنشأ ولكنها وجدت مرتعها الخصب في بلدان مجاورة وبعيدة مثل الهند الصينية وتايلند والصين وسيريلانكا.

ولكن (شارناث) هذه استمرت مركزاً للبوذيين وإن كان نطاقها قد ضاق حتى لا يكاد يتجاوز منطقة المعابد فيها.

المعبد المستدير:

أول ما يسترعي الانتباه في (شارناث) هذه معبد بوذي مستدير الشكل على هيئة الصاع، أو الوعاء الكبير (البرميل).



المعبد البوذي المستدير في (شارنات) المقدسة عند البوذيين

قد بنوا أسفله بالحجارة المحكمة التي قاومت الفناء؛ إذْ بني في القرن التاسع الميلادي، وذكروا أن أول بناء لهذا المعبد كان في القرن السادس، أي في عهد الملك أشوكا الهندي المشهور، وأعلاه بالآجر المتقن، وقد دعم بأعمدة قوية نحتوا عليها صور بوذا نحتاً متقناً، ويبلغ ارتفاعه ٣٣ متراً ونصفاً.

ويأتي البوذيون إليه للتعبد، وابتغاء التقرب إلى بوذا - بزعمهم - فيطوفون حوله وقد رأيتهم كذلك بعضهم جاء من أنحاء الهند، وآخرون جاءوا من بلاد أخرى خارج الهند.

كما يأتي إليه السياح من غير البوذيين للتفرج برؤيته ومشاهدة الآثار القديمة في المنطقة.

وقد ذكر قوم من أهل المنطقة الذين درسوا تاريخها بأن موضعه هو المكان الأول الذي جلس فيه بوذا للتعليم في هذه المنطقة.

دخلنا هذا المعبد فوجدنا في داخله صورة مجسمة لبوذا في جلسة التربع المعتادة الموجودة في أكثر المعابد البوذية، إذْ ينحتون صورته جالساً متربعاً. وفيه محراب مرفوع قليلاً عن الأرض، ولكنه ليس كمحاريب المساجد عندنا، وأحاطوا المعبد بصور منحوتة من الحجارة فيها صور عارية لرجال ونساء، إلا أنهم جعلوا على عورة بعض النساء طرفاً من قلادة تتدلى على الصدر وتنزل إلى وسط الجسم.



المعبد البوذي في شارنات

وبجانب هذا المعبد آثار قديمة متعددة مبنية بالحجارة، ولكنها الآن أصبحت خرائب مهملة، وهي واسعة كلها من الحجارة الحمراء التي هذب بعضها، وبني بعضها من دون تهذيب.

كلمة عن الديانة البوذية:

لخصت هذه الكلمة من أحد الكتب:

البوذية: إحدى الديانات التي نبتت في الهند وسيطرت على المجتمع الهندي مئات السنين، ثم انتقلت من الهند إلى ما حولها في سيلان وبورما وسيام والهند الصينية والصين واليابان، بعد أن اضمحل شأنها وتقلص ظلها في الهند نفسها.

ولد ''بوذا'' "Boddha" في القرن السادس قبل الميلاد سنة ٥٥٧ ق.م وبوذا هذا لقب له، ومعناه "العارف المستنير"، أما اسمه فهو ''كوتاما'' "Gautama" أو سدهارتا "Siddhartha" وكانت ولادته في أسرة حاكمة مترفة من الأكشترية فنشأ على طبع أسرته مترفاً منعماً. ولكن لفت نظره ما كان يراه أحياناً من مظاهر البؤس والمرض والشقاء والتفاوت بين الطبقات، فأخذ يفكر في هذه المظاهر حتى نغص عليه تفكيره هذا ما كان فيه من نعيم وترف، واستمر يفكر في هذه الحياة وفي لذاتها وانقطاعها بعد حين، فأفزعته هذه الحقيقة، وانقطع يفكر ويبحث عن مخرج من هذه الآلام، وهام على وجهه تاركاً القصور والنعيم يبحث عن حقيقة السعادة في الحياة، وكان يلازم شجرة يجلس تحتها ويفكر، وقد صارت هذه الشجرة بعد ذلك ذات مكانة مقدسة ما زال البوذيون ينظرون إليها نظرة تقديس، وتحيطها الحكومة الهندية بضروب العناية حتى تبقي عليها وعلى ما حولها من أشجار مقدسة عند البوذيين.

واستمر هائماً على وجهه بين الغابات وفي الصحارى يعاني آلام البؤس والفاقة والجوع، ويمارس أنواع الرياضات الجسمية والروحية حتى استطاع أن يصل إلى حالة من التجرد عن الماديات، وكان يعلو بنفسه على الشهوات حين أدرك أن الشهوة هي أم الشرور في الحياة، وأنه لا بد من القضاء عليها، حتى يحس الإنسان بالسعادة والراحة، يقول بوذا:

"لما أدركت هذا تحررت من شرور الهوى والخطأ والجهل".

فأخذ يدعو الناس إلى هذا التحرر نحو أربعين سنة مرتحلاً من مكان إلى مكان ينادي بالمحبة بين الناس، وبأن يعطف الإنسان على كل مخلوق ولو كان حيواناً، فلا بد أن ننظر إلى المخلوقات كلها نظرة فيها عطف وحنان بعيداً عن التعالي والغرور، والتفاني في الاعتداد بالنفس والجري وراء شهوتها.

وعمل "بوذا" بما كان يدعو إليه من مبادئ، فقاسم الناس آلامهم وهو يتنقل بينهم يدعوهم إلى مبادئه.



تمثال بوذا داخل المعبد البوذي في شارنات

وكانت البلاد الهندية ظامئة إلى روح جديدة تزيل منها ما علق بها من أفكار سيئة عن الطبقات والتعالي والغطرسة من جانب، والذل والعبودية من جانب آخر.

لقد كان الناس في الهند يعيشون مثقلين تحت وطأة الأفكار الهندوسية التي تقسم الناس إلى طبقات حتى ظهر "بوذا" فأقبلوا ينضوون تحت لوائه، وظل هكذا ينادي بمبادئه حتى توفي سنة ٤٨٠ ق.م. ولفتت هذه

المبادئ نظر الإمبراطور ''أشوكا'' إمبراطور الهند الشمالية في القرن الثالث قبل الميلاد بعد أن خاض حروباً قاسية رأى فيها من العنف والفظاظة ما جعل نفسه تحس بظمأ شديد إلى حياة الرحمة واللين والحب، فوجد في دعوة ''بوذا'' ما يشفي نفسه من سقمها، فاعتنقها ودعا إليها في حماس وأخذ يشكل حياته على أساس مبادئها.

وكان عمله واندفاعه نحو تحقيق مبادئ الحب والعطف والتسامح في رعيته، بل وفي الحيوانات أيضاً لافتاً لنظر الكثيرين، وداعياً عملياً للبوذيين، حتى انتشرت البوذية واكتسحت في طريقها الديانة الهندوسية القديمة وظل الأمر بها كذلك عدة قرون حتى أخذت تضعف شيئاً فشيئاً، بينما كانت الهندوسية تسترد مكانتها الضائعة شيئاً فشيئاً، ولم يعد للبوذية في موطنها الآن إلا قليل من الأتباع يستوطن أكثرهم شمال الهند وفي "نيبال" بينما ازدهرت خارج بلادها كما سبق أن قلنا في سيلان وبورما وسيام والصين إلخ...

إن المؤرخين الذين يؤرخون لبوذا يذكرون عنه أنه كان ماضي العزيمة عزوفاً عن الشهوات زاهداً جامداً لا ينبعث فيه حب ولا بغض، ولا تحركه عواطف، ولا تهيجه نوازل، وكانت مكانته رفيعة في أعين الناس والملوك والأمراء والبراهمة والرهبان، فكانوا يزورونه ويتبركون به، وينتظرون أيام قدومه ويحتفون به، وكان مجلسه حافلاً بالأمراء والوزراء والفلاسفة والعارفين والرهبان.

وكانت البوذية في أول أمرها مذهباً خُلقياً يرمي إلى تزكية النفس وتحررها من الشهوات، ويدعو إلى الحب والتسامح، والعمل بقدر ما يمكن للتخفيف من آلام الإنسان، لا فرق بين إنسان وآخر. فالكل في نظرها سواء على عكس الهندوسية .. ثم أخذت تتشكل وتتعقد وتتشعب حسب أفكار وعقول أتباعها الدارسين لها الداعين إليها، حتى أصبح لكل قرن بوذية تختلف قليلا عن البوذية السابقة واللاحقة، وتفلسفت وصارت أفكاراً منظمة، تعددت حسب وجهات نظر الباحثين.

وتبحث البوذية في أمر الإله كما هو الشأن في الهندوسية ، إذ كان جل مقصد بوذا هو تطهير النفس من شهواتها ، وتحليتها بمكارم الأخلاق في المعاملة مع الناس.

ولذا نجد تعاليم بوذا تدور كلها حول هذا الأساس الخلقي: لا تقتل. لا تسرق مالاً. لا تشرب خمراً. لا ترقص. لا تكذب. لا تزنِ. لا تكن مترفاً. إلخ. . وكان أهم شيء اتجهت إليه نفسه هو العمل على إلغاء نظام الطبقات الذي أوجدته الديانة البرهمية القديمة ، لأن الناس عنده سواسية لا فرق بين صغير وكبير، وتفاوتهم يكون حسب طهارة نفوسهم وما تتحلى به من حب وعطف وتسامح نحو الآخرين.

لذلك لم يُعنَ ''بوذا'' كثيراً بالحديث عن الإله. فإن للبرهمية آلهة متعددة ولكن الناس شقوا بها. وكان هذا المظهر الخلقي سبباً في جذب كثير من الناس إلى دعوته ، لكنهم كانوا حينما يدخلون هذه الدعوة ويعتنقون مبادئها لا يجدون فيها توجهاً لإله يعبدونه ، والناس دائماً بطبعهم مساقون إلى الاعتراف بإله أقوى منهم يتجهون له ساعة اليأس والشدة.



مخلفات بوذية في مدينة شارنات مع الشيخ رضاء الله المباركفوري

وكذلك عاش بوذا مؤسس الديانة البوذية الشهيرة في شمال الهند بين فترتي ٥٦٠ - ٤٨٩ ق.م. وأصبحت هذه الديانة رسمية في عهد الإمبراطور ''أشوكا'' (٢٧٤ - ٢٣٦ ق.م) الذي حمل على كاهله عبء نشر هذه الديانة في أنحاء العالم. وقد اتخذ ''أشوكا'' وسائل عديدة لنشر هذه الديانة ومن أهمها حفر تعاليم بوذا في الصخور والأبراج. وهناك دلائل تشير إلى أنه استعار لغته الرسمية وهي "بالي براكرت" من الحروف الفينقية، وبهذه الحروف كتب معظم تعاليم بوذا .

لقد سميت البوذية في العراق وما تجاورها من البلدان "بالسمنية". وقد اتفق المؤرخون على أن السمنية هي طائفة البوذيين التي سماها المؤرخون والرحالة اليونانيون بـ " سرامينس" و"سرمينيا" و"سموني". ذكر البيروني: ومما زاد في النفار والمباينة أن الفرقة المعروفة بالسمنية - على شدة البغضاء منهم للبراهمة - هم أقرب إلى الهند من غيرهم. وقد كانت خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام في القديم باقية على دينها إلى أن نجم ''زرادشت'' من أذربيجان ودعا في بلخ إلى المجوسية .. فانجلت السمنية عنها إلى مشارف بلخ.





راهب بوذي شاب في المعبد البوذي بجانبه الشيخ حسن جميل أحد أعضاء المجلس الإداري للجامعة السلفية في بنارس

وبدأت البوذية تختلط في مظاهرها بالهندوسية، وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالإله يعترفون بالآلهة، ويتقربون إليها، لذلك لم تعد مظاهر البوذية خالصة للبوذية، بل كانت خليطاً منها ومن الهندوسية، ومن هنا أخذت البوذية تتلاشى في الهند شيئاً فشيئاً، ويندمج أتباعها في تقاليد وطقوس الهندوسية وآلهتها، حتى ظهرت البوذية بمظهر الهندوسية، وبدأت معابدهم تظهر فيها آلهة الهندوس، بل أصبح بوذا بعد حين إلهاً يعبده البوذيون، وبذا مهد السبيل لانحسار موجة البوذية من الهند ورجوع الهندوسية إلى مكانتها القديمة.

هكذا يعللون انتشار البوذية وتغلبها على الهندوسية أولاً، ثم تغلب الهندوسية عليها بعد مرور ألف سنة من ولادتها أعني في نحو القرن السابع الميلادي. .

ومما يلاحظ أن البوذية الأصيلة لا تحتفل بالطقوس البرهمية الرسمية من الغسل في الأنهار المقدسة، والمداومة على الصيام والاشتغال بالعبادات المتعبة، والجولان عراة حفاة، والتزي بزي الرهبان من حلق الرؤوس أو تلبيد الشعر، وتتريب الجسد وعرض النذور والقرابين، فكل ذلك ليس له حظ عند البوذية. يقول بوذا: "التعري وتلبيد الشعر والتعهد بالأوساخ والصوم وتتريب الجسد. . إلخ. . كل ذلك لا يطهر فانياً لم يقهر شهوته" ثم يقول: "لا يطهر نهر رجلاً متعهداً للسيئات، مضمراً للمقت، مرتكباً للجناية".

وقال في موضع آخر: "النجاسة يستحدثها الغضب وشرب الخمر والغرور والحقد لا أكل اللحم" والعمل الصحيح في البوذية هو تطهير الباطن من حب النفس والشح والحقد والغلظة والشهوة والغضب، وهو غض البصر عن عيوب الناس، ومؤاساتهم في أحزانهم وأوجاعهم، والأخذ بالتقوى في شعابها المتعددة من الاجتناب عن قتل كل ذي روح، وعن سلب أموال الناس، وعن النظر إلى نسائهم، وعن قول الزور، وشرب المسكرات،

والتعدي بالجوارح.

المعبد الجيني:

والنون فيه مسبوقة بياء على لفظ النسبة إلى (جين) أو جيني، وهو المنتسب إلى الديانة الجينية، وهي ديانة هندية قليلة الأتباع جدا بالنسبة إلى أتباع الديانات الكبيرة في الهند كالهندوكية والإسلام والسيخية، ولكن أهل هذه الديانة أقوياء متميزون وقوتهم معنوية. لأنهم لا يرون الحروب ولا الثورات، ولا مخالفة الحكام، ولذلك وجدت منهم شخصيات ذات مقامات مرموقة في بعض العهود.

وقد نشأت الجينية واشتهرت على يد زعيم من زعمائهم اسمه (مهاويرا) عاش في القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

وقد مات (مهاويرا) قبل بوذا رأس الديانة البوذية بخمسين سنة، ولكن بعض المؤرخين يعتبرون الجينية مشتقة من الهندوسية. وقد قامت الجينية كما قامت البوذية في وقت ثارت فيه الطبقة المحاربة على البراهمة في الهند لاختصاصهم بجميع الامتيازات. وكان ''مهاويرا'' من هذه الطبقة المحاربة فأسس هذه الديانة التي تختلف عن البرهمية الهندوسية، ولا سيما في القول بتقسيم الناس إلى طبقات وفي عدم الاعتراف بآلهة الهندوسية الثلاثة: برهما، وشيفا، وفشنو، وإن اعترفوا ببعض آلهة أخرى، ولكن لم يعبدوها، فإن هذه الديانة تقوم على عدم الاعتراف بالروح الأكبر أي الخالق عند الهنادكة، وإن اعترفت بوجود أرواح خالدة، وهم يتجهون في عبادتهم إلى أبطالهم الذين يعتبر ''مهاويرا'' آخرهم، فهم يعبدون الإنسان عوضاً عن الله - قاتلهم الله -، ويتخذون الأصنام للعبادة في معابدهم. وتخالف الجينية الهندوسية أيضاً في أنها لا تعترف بمسألة تعدد الولادة التي يقول بها الهندوس نتيجة لفكرة التناسخ التي تقول بأن الإنسان لا يزال يموت ويولد حتى تطهر نفسه تماماً فتصل إلى الخلود والنعيم.

أما الجينية فتقول إن الإنسان يستطيع أن يتحرر من دورة الولادة هذه بتعطيل حياته، وذلك بالتخلي عن كل عمل وكل ما يغذي جسمه حتى تنتهي حياته، وكأنها ترغب بذلك في الانتحار حتى سميت بالانتحارية..

وأهم شيء في الجينية هو الدعوة إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وشهواتها حتى تدخل النفس في حالة من الجمود والخمود لا تشعر فيها بأي شيء مما حولها، والناسك الحق عندهم هو الذي يقهر جميع مشاعره وعواطفه وحوائجه. فلا يحتاج إلى شيء حتى اللباس، لأنه لا يشعر بحر ولا برد ولا حياء.

ويهتم الكهان الجينيون بنتف أشعارهم كلها كدليل على أنهم لا يهتمون بالجسد المادي، لأن الذي يشعر بالحياء - وبالتالي بحاجته إلى ستر عورته، وأن في الحياء خيراً وشراً وحسناً وقبحاً - معناه عندهم أنه لا يزال متعلقاً بها خاضعاً لمقاييسها، ويقولون إن آدم وحواء كانا يعيشان في الجنة بطهر كامل لا يشعران بحياء ولا خير ولا شر، ولا يحملان هماً أو غماً حتى تسلط عليهما الشيطان ليحرمهما من هذه اللذة، فحملهما على أن يأكلا من شجرة العلم بالخير والشر، فأخرجا من الجنة، وبهذه النظرية يعيش نساكهم عراة لا يسترهم شيء مطلقاً لأن هذا هو المثل الأعلى عندهم، إذ معناه أن الناسك تجرد من كل إحساس بالدنيا وآراء الناس فيها، فأصبح لا يهتم فيها بخير أو شر أو حسن أو قبح.

ويفلسفون هذا المعنى فيقولون إن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، فلو لم يكن الإثم في الحياة لما كان الحياء، فترك اللباس هو ترك للإثم وتصوره، وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عارياً ويتخذ من الهواء والسماء لباساً له. هكذا يزعمون !

دخلنا معبد (جين) بجانب المعبد البوذي، وهو صغير لا يعد شيئاً من ناحية المساحة ولا هيئة البناء بالنسبة إلى المعابد البوذية المجاورة، فهو أشبه

ما يكون ببيت متوسط السعة، معتاد الطراز ولكنه مليء بالكتب والكتيبات والنشرات بلغات مختلفة، وبعضها يوزعونه مجاناً، مما يعكس النشاط الثقافي لأرباب هذه الديانة الهندية على قلة أعضائها قلة نسبية، وبُعد أهلها عن المُسلمات في الديانات الأخرى، حتى إن الهنادك يعتبرونهم من الزنادقة المنحلين البعيدين عن الدين، وليس المراد بذلك بعدهم عن الديانة الهندوكية، فذلك يصدق على الديانات الأخرى، ولكن بعدهم عن الدين المتعارف عليه عند الناس مثل إنكار وجود الخالق، أو التعري عن اللباس، وعدم تحريم الفواحش كالزنا إذا مورس بموجب قواعد عندهم.



الرجل الجيني في معبد أو مكتب الطائفة الجينية خارج بنارس

وجدنا في المعبد رجلاً مثقفاً يجيد الإنكليزية أخذ يحدثنا بالإنكليزية عن ديانتهم حديث من يحاول أن يشرح أمرها للآخرين بزعمهم لا أن يقنعهم

بصحتها، لأنه يعرف أن ذلك بعيد أو مستحيل. واسمه (جمنا لال جين).

أعطانا هذا الجيني الذي كان قد بادرنا بقوله: إنه جين كتيباً صغيراً بالإنكليزية ذكر أنه يتضمن بعض القواعد العامة في ديانتهم، ولكنه لم يكتف بذلك، بل أخذ يشرح مذهبهم قائلاً:

لقد تفرعت هذه الديانة من الديانة الهندوكية القديمة إلا أنها قائمة على الزهد، فالجينيون لا يلبسون الملابس، لكونهم يعتقدون أن منشأ الخلاف بين بني آدم هو في غريزة التملك، لذلك يسعون ألا يلبسوا الملابس لكيلا يحسوا أنهم يملكونها، وبالتالي يفضي بهم ذلك إلى تملك الأشياء التي لا يحتاجون إليها؛ حيث يسبب هذا الأمر النزاع والخلاف بين بني البشر.

وقد أرانا صوراً لمن أسماهم القديسين والقديسات من طائفتهم وهي صور عارية، أما هو فإنه قد لبس لباساً معتاداً مؤلفاً من قميص وفوطة.

وذكر أنهم لا يزرعون الأرض لأنهم لا يريدون أن يقتلوا حشرة أو ذرة من المخلوقات الأرضية. وقال: لقد بلغ الورع بهم هذا الحد، وبلغ بهم من ناحية أخرى إلى حد أنهم يعتبرون أن مجرد قطع ورق من شجرة هو ظلم واعتداء على تلك الشجرة، ولذلك لا يأخذون الأوراق فضلاً عن أن يقطعوا الشجر.

وقال: نحن لم نعتقد بما اعتقد به الآخرون لأنه من المحتمل في أي رجل ألا يكون صادقاً لأنه لا أحد معصوم، حتى زعماؤنا الدينيون لا نقول إنهم معصومون، ولذلك نقول: إنه لا يوجد أحد من البشر يمكن أن يكون معصوماً.

وقد أعطانا ظرفاً آخر فيه أوراق وقال: هذا أيضاً عن مذهبنا ولكنه يحتمل الصدق والكذب، ومع ذلك قال: ذكر أتباع الديانة الجينية في الهند وغيرها عددهم ٢٤ مليوناً .. هكذا قال ! وقد عجبت من تظاهره بهذه السفسطات التي يترفع العقلاء عن حكايتها، فضلاً عن تقريرها والإيمان بها.

وبخاصة ما ذكره من كون الكذب والصدق جائزاً على الجميع حتى على رؤسائهم وحتى ما هو من المسلمات في دينهم .

قلت للإخوة المرافقين: اسألوه عن رأي مذهبهم في الزنا ماداموا يقولون: إنهم لا يريدون أن يتملكوا شيئاً لئلا يشغل أذهانهم فما هي علاقة الرجل بالمرأة عندهم، وهنا حاد الرجل عن الإجابة الصريحة، وأخذ يحور ويدور حتى تركناه حامدين الله تعالى على نعمة العقل والدين.

وقد نقلت هذه الخرافات والخزعبلات الكفرية من باب الاطلاع، ولكي يحمد المسلم ربه ﷻ على أن هداه للدين الإسلامي الحنيف الذي يتضمن السعادة لمن آمن به، وتمسك بما جاء فيه.

عود إلى تجمّع البوذيين:

وذلك لمشاهدة معبد للبوذيين يعتبر حديثاً نسبياً، ولكنهم بالغوا في تشييده، وزخرفة بنائه، واتساع مرافقه والساحات الخضر حوله واسمه (معبد مولي غاندي كوتي اوفيهار) بني في عام ١٨٣١ م .

وهو معبد بوذي تقليدي كالمعابد البوذية الموجودة في أكثر أنحاء البلاد التي يعتنق أهلها الديانة البوذية، وأهم ما فيه من ذلك صورة ذهبية لبوذا يجلس متربعاً وهو شاب كما هي أكثر صوره وتماثيله، وقد رأيت في التبت ولاوس آلاف التماثيل لبوذا في المعابد، وكلها تظهره شاباً، ويبدو في أكثرها متربعاً إلا ما كان من التماثيل التي تقتصر على رأسه وكتفيه.

وقد ملأوا حيطان هذا المعبد بصور بوذا، وبعض كبار البوذيين غيره ومن المتعبدين له. وكالعادة كان الجمع الذي في المعبد مختلطاً فيهم بوذيون حضروا للتعبد، وبعضهم يظهر الخشوع وبعضهم سياح جاؤوا مثل ما جئنا للفرجة والاطلاع.

وبعد ذلك انطلقنا إلى بلدة صغيرة باسم (شارناث) المجاورة لهذه المنطقة

الأثرية فرأيت الفرق بينها في النظافة وبين منطقة المعابد التي هي نظيفة لكونها منطقة سياحية تتقاضى رسوماً زهيدة من السياح ولكن يجتمع منها الكثير لأن القليل من الكثير كثير كما هو معروف.

أما البلدة فإنها هندية في المظهر والمخبر تغلب عليها الرداءة من ناحية النظافة وعدم العناية.

العودة إلى بنارس :

عدنا مع غروب الشمس إلى بنارس فصرنا نخوض في زحام مرهق للأعصاب اشتركت فيه العربات والدراجات والأبقار والمشاة، وأما السيارات فإنها موجودة ولكنها أقل المذكورات هنا عدداً. وشاركت الجواميس بأجسامها الثقيلة في هذا الاستعراض الثقيل فصارت موجودة في الأماكن المتسعة من الميادين ونحوها.

وكان الزحام يحطم الأعصاب حقاً لأن المرء يخشى أن يدوس أحداً بسيارته ممن لا يستطيعون أن يبتعدوا عنها رغم كون بوق السيارة كان يزعجهم وغيرهم بصوته الذي يظهر وكأنما هم لا يسمعونه أو لا يبالون به.

ومررنا بمشهد على قبر فيه قبتان ومنارتان. وعلل الإخوة المرافقون وجوده بأن المغول كانوا يسكنون هنا، وأن من عادتهم تشييد مثل هذه الأبنية على المشاهد ونحوها. ولكن أكثرهم يبنيها للذكرى أو التعظيم كما في (تاج محل) وهذا لا يجوز لأنه مخالف للشرع الشريف الذي ينهى عن البناء على القبور .

مسجد أهل الحديث :

عدنا إلى حي (مادن بوره) فقصدنا مباشرة مسجد أهل الحديث في الحي فوجدنا المسجد واسعاً نظيفاً جداً والمصلين فيه كثراً. وآثار العناية

عليه واضحة.

فتعرفت على إمامه الشيخ عبد اللطيف عبد الأحد بعد الصلاة، وجرى بحث عن عدد المساجد في حي (مادن بوره) الإسلامي هذا من مدينة بنارس فذكروا أن فيه خمسين مسجداً ستة منها للسلفيين الذين هم أهل الحديث وذكروا أن السلفيين يؤلفون ٨ ٪ من المسلمين فيه. أما مجموع عدد السكان المسلمين في الحي فإنهم ذكروا أنه خمسون آلف نسمة.

وبعد الصلاة ذهبت مع الإخوة إلى عدد من بيوت المسلمين في الحي التي اتخذوها متاجر لبيع الساري الهندي الأصيل الذي يشتهر المسلمون بصناعته أو الاتجار فيه، ويكون من الحرير الخالص، وذلك لشراء عدد منه أوصتني بشرائه بعض نسوتنا.

وقد عجبت من كثرة ما عندهم من أنواع الساري الحريري، ومن تنوع ألوانه وكثرة التطريز فيها.

مع رئيس بلدية بنارس:

انتقلت بعد ذلك إلى مقابلة الأخ محمد صالح الأنصاري رئيس بلدية بنارس الذي سبق الحديث عنه، وأنه انتخب بأصوات المسلمين معها أصوات من الهندوكيين الذين لهم الأغلبية في مجلس المدينة .

وكان هذا اللقاء المتجدد بناء على طلبه، وقدم إليّ فيه سجادة جميلة قال إنها من مصانع المسلمين في بنارس.

وقد ذكرت له ما أخبرني به الإخوة أهل الجامعة السلفية من كونه سمى الشارع الذي تقع عليه الجامعة شارع الجامعة السلفية رغم كون المنطقة هي منطقة هندوكية، وليس فيها مساكن للمسلمين، فأكد ذلك. وذكر أن فئة قليلة من السكان اعترضت على ذلك على اعتبار أن سكان الحي هم من الهنادكة وأن تسمية الشارع ينبغي أن تكون باسم له علاقة

بالثقافة الهندوكية، قال: ولكننا لم نلتفت إلى ذلك، وتمت تسمية الشارع بالاسم المذكور.



شارع الجامعة السلفية في بنارس

هذا وقد سألت الإخوة القائمين على أمر الجامعة السلفية عما إذا كانوا قد لاقوا أية مضايقات من السكان الهنادكة سكان الحي الذي تقع فيه الجامعة فنفوا ذلك، وذكروا أنهم لم يؤذهم أحد منهم، ولم يعترض أحد منهم على وجود الجامعة السلفية في حيهم هذا .

وقد طلب مني الأخ (محمد صالح أنصاري) الدعاء له في المسجد الحرام فوعدته بذلك. أسأل الله تعالى أن يقبل منا دعاءنا وصلاتنا.

يوم الأحد ٢٠ /٤/١٤١٢ هـ - ٢٧ /١٠/١٩٩١م

يوم المؤتمر:



جانب من الحاضرين في مؤتمر السيرة النبوية في الجامعة السلفية في بنارس

هذا اليوم هو يوم افتتاح المؤتمر الذي تقيمه الجامعة السلفية في بنارس تحت عنوان (مؤتمر السيرة النبوية العطرة) وهو الذي من أجله جئت إلى بنارس هذه المرة.

وصلت إلى مقر الجامعة السلفية قبيل العاشرة فوجدتها حافلة بالألوف من الإخوة المسلمين الذين خشيت أن تضيق بهم، ولكنها كانت واسعة منيرة؛ بل مشرقة الأبنية تتخللها أشعة الشمس ويطّرد فيها الهواء.

وقد أخذ القوم أماكنهم في قاعة ضخمة فيها غصت بهم فأخذ الناس يجلسون في غرف مطلة بها مفتحة الأبواب والنوافذ وفي خارج القاعة وكلهم نظيف الثوب والبدن، يتحلى بأدب جم في التعامل مع الآخرين وحرص شديد

على حفظ النظام في الاحتفال، ومع ما يشيعه الناس هنا عن أهل الحديث الذي هم السلفيون الذين انشأوا هذه الجامعة السلفية من كونهم أناساً بعيدين عن الالتزام بآداب الاجتماعات والمؤتمرات العامة بسبب بعدهم الثقافي عن هذه الأمور فإنني رأيتهم اليوم في هذا الاحتفال على هيئة لا أشك في أن منظمي المؤتمرات الثقافية المدنية، أو لنقل غير الدينية الذين قد أخذوا أنفسهم بمثل تلك الآداب كما يقولون لا يصلون إليها.

والواقع أن هذا وأمثاله من عجائب الإخوة المسلمين في الهند الذين يتفردون عن إخوانهم المسلمين في العالم بأمور عديدة من أكثرها وضوحاً حرصهم على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات التعليمية التي تقوم على تبرعات المتبرعين لهم وعلى جهود العلماء الذين يفنون حيواتهم في ذلك العمل العظيم.

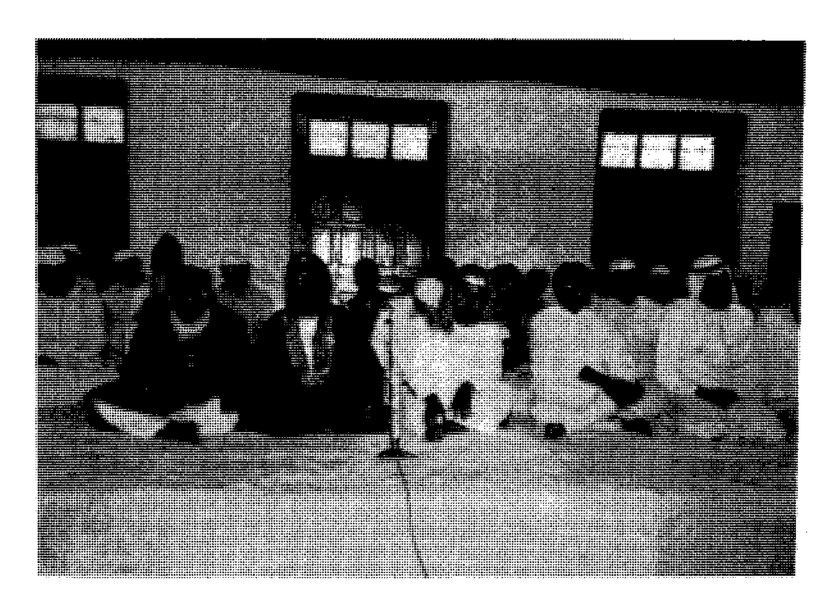
وقَلَّ أن يوجد رجل نابه أو على شيء من الثراء من مسلمي الهند إلا وتكون له إسهامات في تغذية المدارس الإسلامية، أو تشجيع الجمعيات الاجتماعية والإنفاق على جمعيات الإسعاف للمسلمين.

بدء المؤتمر:

بدأ المؤتمر - كما كان مقرراً - في العاشرة بالقرآن الكريم تلاه أحدهم تلاوة مجودة متقنة خالية من أية لكنة.

وبعد ذلك تقدمت فرقة من طلاب الجامعة فألقت نشيداً بالأوردية كان يقودها فيه أحدهم وهو نشيد موزون الكلمات متسق النغمات فيما يبدو لمثلي ممن لا يعرفون الأوردية.

ثم تقدم أحدهم فقدم كبار الضيوف الحاضرين من داخل الهند ومن خارجها، وقد نوهوا بوجودي وكانوا قد وضعوا اسمي في المكان الرئيسي من المنصة الرئيسية جزاهم الله خيراً. واعتبروني رئيس الجلسة الافتتاحية.



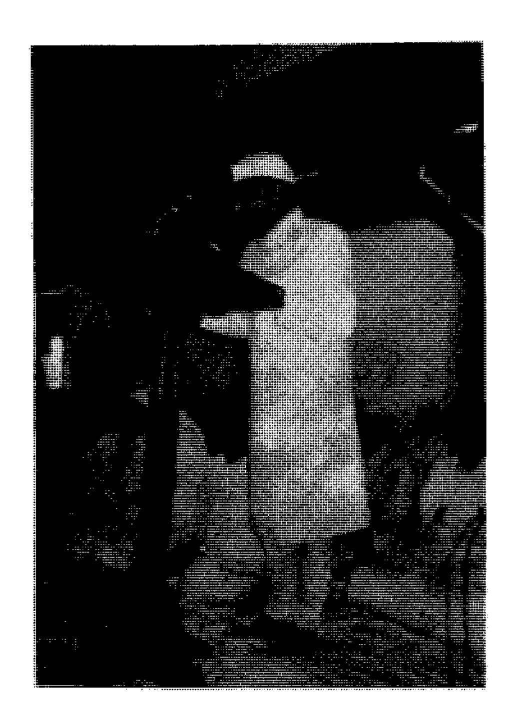
المؤلف جالساً في المنصة الرئيسية في المؤتمر

كما ذكروا الوظائف التي شغلتها والكتب التي ألفتها، ونوهوا بأنني زرت أكثر بلدان العالم حيث التقيت بالجماعات الإسلامية وسجلت ذلك كله في كتب الرحلات التي قاربت المائة، وذلك كله في ثناء على شخصي الضعيف لا أستحقه، ولكنه ناشئ عن محبة لأخيهم القادم لهم من بلاد الحرمين الشريفين ليشترك معهم في هذا المؤتمر المهم.

وقد أعقب هذا المتكلم الأستاذ عبد الله سعودي بن الشيخ عبد الوحيد عبد الحق الأمين العام السابق للجامعة السلفية وأحد مؤسسيها رحمه الله أسموا كلمته (كلمة الاستقبال) حيث رحب بالحاضرين وذكر بالذات عدداً من الشخصيات منهم بالاسم - وكانت كلمته باللغة الأوردية.

أعقب ذلك كلمة باللغة العربية للأخ شاهد جنيد الأمين العام للجامعة السلفية وهو أكبر موظف فيها من حيث العمل وبذل الجهد، وكانت بالعربية حيث يجيدها إجادة تامة في الإلقاء والخطابة، وإن لم يكن في مثل تلك الإجادة في لغة المحادثة، وقد أثنى عليَّ جزاه الله خيراً في أول كلمته.

وقد رأيت إثبات نص كلمته هنا كما ألقاها مع اعتذري عن إيراد ما قاله في الثناء عليّ لكونها كلمة أكبر مسؤول في الجامعة، ولكونها تبين أموراً كثيرة من أحوال هذه الجامعة، وقد نشرت الكلمة بعد ذلك في مجلة الجامعة المسماة (**صوت الأمة**) في عددها الصادر عن شهري رجب وشعبان عام ١٤١٢هـ.



الأخ شاهد جنيد الأمين العام للجامعة السلفية في بنارس يلقي كلمة الجامعة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فيسعدني كثيراً أن أرحب بالضيف الكريم والعالم الكبير والأديب البارع الشيخ محمد بن ناصر العبودى الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، حفظه الله وتولاه، في هذه المناسبة العظيمة، مناسبة المؤتمر العالمي عن السيرة النبوية العطرة، الذي عقدته الجامعة السلفية ببنارس، وذلك أصالة عن نفسي ونيابة عن رئيس الجامعة الشيخ العلامة المحدث أبى الحسن عبيد الله الرحمانى حفظه الله، وعن جميع القائمين على الجامعة وعن مدرسيها وطلابها.

ضيفنا المكرم ! إن الجامعة السلفية ليست غريبة عندكم ومجهولة لديكم، بل تشرفت منذ التأسيس بتوطيد صلتها معكم، وحظيت برعايتكم الكريمة وتوجيهاتكم الرشيدة منذ ذلك الوقت إلى الآن. وقبل هذه الزيارة الكريمة إنها تشرفت بالترحيب بسعادتكم في بعض المناسبات الأخرى، والمتخرجون في هذه الجامعة الذين يقيمون في المملكة العربية السعودية المحروسة يكونون على صلة معكم، ويستفيدون من مشورتكم وتوجيهكم، والأمل أن هذه الصلة تبقى متينة هكذا بإذن الله تعالى .

صاحب السعادة ! خبرتكم في مجال العمل الإسلامي واسعة تستنير بها الأجيال، وصلتكم بالمؤسسات التعليمية والمنظمات الإسلامية متينة يعتز بها المسؤولون. زرتم بلدان العالم، وشاهدتم أحوال الأمم والشعوب عن كثب، وأعددتم عن المسلمين فيها دراسات وافية ممتعة فلا يخفى عليكم شيء من أحوال الأمة الإسلامية التي تسكن في أرجاء الدنيا، وتعيش حاكمة أو مشاركة في الحكم أو محكومة.

وكذلك لا يخفى عليكم شيء من أحوال المسلمين في الهند، الذين هم جزء من الأمة الإسلامية. ولكن هذا الملتقى الميمون فرصة سعيدة للإشارة إلى بعض الأحوال التي يمر بها المسلمون في البلاد. وكذلك إلى ظروف هذه المؤسسة التعليمية التي تشرفت بزيارتكم الكريمة.

فانتهازاً لهذه الفرصة المباركة أود أن أعرض على سعادتكم بعض

أحوال هذه الجامعة، وأبدي بعض المشاعر والأحاسيس التي تكنها قلوبنا لكم.



منظر للقسم الأمامي من مؤتمر السيرة النبوية في الجامعة السلفية في بنارس

تأسست هذه الجامعة في سنة ١٣٨٣هـ في هذه المدينة على أن تكون جامعة مركزية لجماعة أهل الحديث في الهند، وأفراد هذه الجماعة وقفوا مع الجامعة يقدمون لها ما تحتاج إليه من الدعم المعنوي والمادي، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء.

ومن الأهداف الأساسية لهذه المؤسسة التعليمية:

- أن تنظم تدريس علوم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح.
- وأن تهتم بتدريس اللغة العربية وتعميمها بين الناس في هذه البلاد.
- وأن تقوم بتربية النشء الإسلامي على الأسس السليمة.
- وأن تسعى لإعداد العلماء والدعاة والكتاب الأكفاء الذين

يتمكنون من تحمل مسؤولية الدعوة بين المسلمين وغيرهم، ومن الكتابة والتأليف في الموضوعات التي تشغل بال المسلمين وهم يودون معرفة رأي الإسلام فيها.

- وأن تحارب أعمال الشرك والبدع التي تسربت إلى صفوف المسلمين نتيجة ابتعادهم عن العقيدة الصحيحة وتوجيهات الكتاب والسنة.
- وأن تبذل العناية بتوحيد صفوف المسلمين الذين تفرقوا شيعاً وأحزاباً، وتأصلت فيهم بذور الحقد والكراهية، وتفرقت بهم السبل، وتحكمت فيهم الأهواء والشهوات.
- وأن تمهد السبيل للتعاون الجاد والتبادل المثمر بين المدارس الإسلامية بالهند وبين المؤسسات التعليمية والجامعات في الدول العربية الإسلامية.

وهذه أهداف كبيرة تتطلب الجهد المستمر والتضحية البالغة من الأمة الإسلامية جمعاء، وليس من مؤسسة واحدة أو اثنتين، والجامعة دائبة إلى تحقيقها حسب الإمكانيات والوسائل، ونحمد الله تعالى على أنه كتب لها بعض النجاح في هذا الصدد وهو المسؤول لأن يرزقها التوفيق لتحقيق هذه الأهداف كاملة في المستقبل.

وفي هذه الكلمة الموجزة ينبغي أن نشير إلى المتخرجين في هذه الجامعة الذين التحقوا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أو بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، أو بغيرها من جامعات المملكة. إن المتخرجين الذين لم يستطيعوا مواصلة الدراسة بعد مرحلة الليسانس يمارسون نشاطهم في مجال الدعوة والتدريس والتأليف، والذين ساعدهم الحظ في إتمام الدراسات العليا والحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه، فإنتاجهم العلمي أحسن وأكثر. إنهم يمارسون عملهم في التدريس والدعوة، وبجانب ذلك يقومون بالتأليف والتحقيق والترجمة، وقد انتشر إنتاجهم العلمي وحظي بالقبول

والإعجاب في العالم الإسلامي كله، فالحمد لله على ذلك.

أما إدارة البحوث الإسلامية التي تهتم بالتأليف والتحقيق والترجمة، فإنها قد نجحت بعون الله وتوفيقه في إخراج مجموعة من الكتب الإسلامية النافعة باللغات العربية والأردية والهندية والإنجليزية، والعاملون فيها مستمرون في بذل الجهد وتوجيه أمة الإجابة وأمة الدعوة إلى طريق الهدى والسعادة. والقائمة التي نشرتها إدارة البحوث الإسلامية تحتوي على تفصيل هذه المطبوعات ما بين الصغير والكبير.

صاحب السعادة! إنكم تشغلون منصباً عظيماً في رابطة العالم الإسلامي، وهذه الرابطة تقوم بخدمة عظيمة للإسلام والمسلمين، وتهتم بشؤون الدعوة الإسلامية في العالم، وتخطط للعمل الإسلامي، وتدافع عن قضايا المسلمين في المحافل الدولية. وحكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله تعالى ترعى كثيراً من المؤسسات التعليمية والجمعيات والمنظمات، وإنها فتحت أبواباً جديدة لتنشيط العمل الإسلامي في أوروبا وأمريكا وغيرها من القارات، وفتحت صدرها للمسلمين في العالم، واستهانت بالمال والمادة في سبيل تحقيق الرخاء والسعادة للأمة.

والعالم قد شهد في الشهور الأخيرة تحولاً كبيراً وانقلاباً عظيماً في الدول الشيوعية. وكان هذا متوقعاً منذ سنوات. وكان النظام الشيوعي قد أخضع عديداً من الدول المسلمة، وضمها قهراً إلى الاتحاد السوفيتي. والمسلمون في هذه الدول حافظوا على إيمانهم ودينهم طوال هذه السنوات الطويلة، والآن أعاد الله تعالى إليهم حريتهم، وأزال عنهم كابوس الظلم والعدوان، فبدؤوا يتطلعون إلى معرفة الإسلام وإلى الاتصال بإخوانهم في العالم، وحكومة خادم الحرمين الشريفين بدأت تهتم بشؤونهم وتقدم لهم ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. والذي نأمل ونتمنى هو أن تقدم إلى هؤلاء الإخوة الكتب الإسلامية التي تمثل الإسلام الصحيح، وتشرح تعاليم

الكتاب والسنة، وتوضح العقيدة الإسلامية الصحيحة، وذلك أننا لو قدمنا لهم الكتب الفاسدة المفسدة، الكتب التي تشجع عادات الشرك والبدع، وتزين الجمود والتقليد، وتدعو إلى الحزبية والطائفية، وتزرع في النفوس اتجاه التأويل والتحريف، فكأننا لم نفعل لهم شيئاً، بل أقبرناهم من جديد بعد الحياة التي نعموا بها بزوال الشيوعية، ونسأل الله العافية.

ضيفنا المكرم! إن الاجتماعات الشعبية والندوات الثقافية والمؤتمرات العلمية من مظاهر نشاط المسلمين في الدعوة والإرشاد. ولهذا النشاط آثار طيبة وفوائد معروفة، لا يستهين بها من له صلة بالعمل الإسلامي في هذه البلاد. وحرصاً على تحقيق هذه الفوائد والآثار عقدت الجامعة السلفية عدة ندوات ومؤتمرات في مناسبات مختلفة. ومن أهمها: مؤتمر الدعوة والتعليم في عام ١٤٠٠ هـ، والموسم الثقافي في عام ١٤٠١هـ، والندوة العلمية عن مساهمة المسلمين في العلوم الإسلامية في عام ١٤٠٦ هـ، والندوة العلمية عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة في عام ١٤٠٨ هـ.

وقد نجحت الجامعة بتوفيق الله تعالى في إخراج مجاميع تذكارية تتضمن الكلمات والبحوث التي ألقيت في هذه الاجتماعات، وأسماء العلماء والمشايخ الذين شرفوها، ونصوص القرارات والتوصيات التي اتفق عليها المؤتمرون والمستمعون.

وتوجد نسخ هذه المجاميع في المكتبة السلفية بالجامعة.

والآن يسر الله تعالى للجامعة عقد هذا المؤتمر عن السيرة النبوية العطرة، على صاحبها السلام والصلوات الزكية.

وإذا كانت الموضوعات الأخرى للمؤتمرات والندوات في حاجة إلى إبراز المناسبة والتمهيد، فإن موضوع السيرة الطيبة يستغني كل الاستغناء عن ذكر هذه المناسبة وهذا التمهيد. وذلك أن سيرة الرسول الأكرم ﷺ هي الأسوة الحسنة التي أمر المسلمون باتباعها، وهي الحياة الكريمة المثالية التي

تتضمن الفوز والفلاح للبشرية كلها. صاحب هذه السيرة ﷺ رحمة للعالمين، والكتاب الذي أنزله الله تعالى عليه هو شفاء ورحمة للمؤمنين. هذه السيرة العطرة تتسم بالكمال والشمول، فتقدم التوجيه النافع لجميع نواحي الحياة، وتضيء الطريق لكل فرد من أفراد البشرية في كل عصر من العصور. كانت هذه السيرة الطيبة موضع عناية المحدثين الكرام والأئمة العظام، فدرسوها وشرحوها وتمسكوا بها حتى بلغوا قمة البحث والتحقيق، وقدموا منهجاً علمياً فريداً لا يزال موضع إعجاب الباحثين. وفي هذه السيرة الكريمة تكمن حلول المشكلات التي نواجهها في العصر الراهن. وللبحث عن هذه الحلول وللدلالة على طرق الاستفادة منها اجتمعت هذه النخبة الصالحة من العلماء والمشايخ، أحسن الله تعالى لهم الجزاء، ونفع الأمة بكلماتهم وجهودهم عاجلاً وآجلاً.

وأهمية السيرة هذه هي التي دفعت المسلمين في كل مكان إلى الاعتناء بها علماً وعملاً ودراسة ونشراً، سواء في ذلك الأفراد والجماعات والمنظمات والحكومات. وفي العصر الحديث ضربت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، التي يمثلها ضيفنا الكريم في هذا المؤتمر، مثالاً رائعاً في العناية بالسيرة النبوية الطيبة، فقامت بنشر وتوزيع البحوث الخمسة التي ظفرت بالجوائز المالية الكبيرة من الرابطة، وكذلك نشطت في العصر نفسه مراكز السيرة والسنة في المملكة العربية السعودية وفي مصر وفي باكستان، تهدف إلى تشجيع البحوث والدراسات الخاصة بالسيرة الطيبة. وإلى إخراج مصادرها المهمة إخراجاً علمياً، وإلى توفير كتب السيرة للعلماء والطلاب ولعامة الناس، وإلى تأليف الكتب العلمية، حول السيرة العطرة في اللغات العالمية المعروفة.

وفي هذه الخلفية تعقد الجامعة السلفية هذا المؤتمر راجية من المولى جل وعلا أن يبارك في هذه الخطوة الصغيرة بنفسها والكبيرة بموضوعها، ويجعلها فاتحة عهد جديد في سبيل العناية بالسيرة الطيبة من الناحية العلمية

والعملية.

وفي اختيار موضوع السيرة النبوية لهذا الملتقى اعتبار آخر، وهو أن المسلمين في هذه البلاد يواجهون أنواعاً من التحديات والتهديدات وسيرة النبي الكريم ﷺ بقسميها المكي والمدني توحي إليهم كثيراً من الدروس والعبر، وترشدهم إلى الوسائل والأساليب التي يستطيعون بها الحفاظ على كيانهم ودينهم وحضارتهم، ويستطيعون بها تقديم الشريعة الإسلامية كشريعة فيها سمو وكمال، ومرونة وشمول، وعدالة ومساواة، وحرية ومؤاخاة. وهذا المؤتمر يحثهم إن شاء الله على الإقبال على هذه السيرة المباركة، وعلى الالتزام بها التزاماً دقيقاً. ويدلهم على أنواع الزيغ والضلال والذل والهوان التي منيت بها الأمة الإسلامية نتيجة ابتعادها عن هذه السيرة الطيبة وانخداعها بالميول المنحرفة والاتجاهات الباطلة والشعارات الكاذبة. هذا هو ما نتوقعه من المؤتمر، ولو يسره الله تعالى له فإن ذلك مكسب عظيم، والتوفيق من الله.

ضيفنا المكرم ! إني أطلت عليكم، ولكن أرجو أن هذه الإطالة لا تكون مملة، وقبل اختتام هذه الكلمة أرحب بسعادتكم مرة أخرى في هذا المؤتمر، وفي الجامعة السلفية عني وعن جميع منسوبي الجامعة، وأقدم إليكم الشكر الجزيل الوافر على هذه الزيارة الكريمة التي شرفتم بها هذا الملتقى، وأرجو أن توجيهات سعادتكم تنير لنا السبيل في خدمة السيرة النبوية، وأن هذه الجامعة تسعد بالترحيب بكم في المستقبل أيضاً.

وأقدم الشكر والترحيب إلى العلماء والباحثين الذين شرفوا هذا المؤتمر من المدارس الإسلامية والجامعات الرسمية، وأرجو من الجميع الصفح عن التقصير الذي وقع منا في أداء واجب الضيافة، فإن ذلك ليس بتعمد منا، وأسأل الله تعالى أن يكتب لكم السلامة والعافية، ويجمعنا دائماً على الخير والتقوى، ويوفقنا لاتباع سيرة المصطفى ﷺ، إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

أمين عام

الجامعة السلفية ببنارس بالهند

شاهد جنيد محمد فاروق

ثم تعاقب المتكلمون حتى وصل الأمر إلى الشيخ مختار أحمد الندوي الذي كان أحد الشخصين المؤسسين للجامعة السلفية وهما عبد الوحيد عبد الحق ومختار أحمد السلفي، فبدأ مشكوراً بذكر ما أسماه بالجهود الطيبة التي بذلتها عند إنشاء الجامعة، وكان يتكلم بالأوردية غير أنه تكلم بالعربية وهو يجيدها كأبنائها في مخاطبتي بالترحيب والثناء .



المؤلف يلقي كلمته في مؤتمر السيرة النبوية في الجامعة السلفية في بنارس

ثم طلبوا مني الكلمة فألقيت كلمة مرتجلة وكانوا يرغبوا إليّ في أن

تكون كلمتي مكتوبة من أجل أن يترجموها ويعدوها للتوزيع في الاجتماع، فأعددت كلمة مختصرة مكتوبة غير أني أهملتها ولم أخرجها من جيبي جرياً على عادتي في هذه المحافل بأن ألقي كلمتي من غير ورقة، وكنت قد قدمت لهم بحثاً مستفيضاً عن فقه غزوة الحديبية ليكون من بين أبحاث المؤتمر، ولكن العادة أن يلقى في الجلسات الأخرى بعد الجلسة الافتتاحية.

وقد استغرق إلقاء كلمتي مع ترجمتها التي كان أحد العلماء يترجمها فقرة فقرة إلى اللغة الأوردية ساعة إلا ربعاً، ونشرتها بنصها مجلة (صوت الأمة) وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا وحبيبنا ودليلنا إلى الله سبحانه وتعالى، عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم نثلث بشكر إخوتنا الكرام القائمين على هذه الجامعة السلفية المباركة، الذين كرموا فدعونا إلى حضور هذا الاجتماع المبارك الذي نعتبر أن السير فيه والذهاب إليه هو من أفضل القربات عند الله سبحانه وتعالى لأن زيارة المسلم لأخيه المسلم في الله هي أمر مطلوب، وأمر يثاب عليه فاعله. فإذا ضم إلى ذلك أن هذه الزيارة هي الزيارة العلمية لمكان علمي عظيم محترم هي الجامعة السلفية كان ذلك أمراً مهماً جداً، وكان يجب على من وفقه الله إليه أن يحمد الله ويشكره وأن يدعو لإخوانه الذين أتاحوا له هذه الفرصة.

أيها الإخوة في الله ! سعادة رئيس البلدية ببنارس وأخي الكريم الأستاذ شاهد جنيد الأمين العام للجامعة السلفية في بنارس، أخي الكريم الأستاذ مقتدى حسن مدير الجامعة ! أشكركم جميعاً على ما كرمتم به من ثناء على أخيكم الصغير الذي لا يستحقه، وإنما هو ناشئ عن حسن ظنكم بأخ لكم قادم من مكة المكرمة من جوار الكعبة المشرفة: بيت الله الحرام.

أيها الإخوة في الله ! إنني أحمل إليكم تحيات إخوانكم في رابطة العالم الإسلامي ومن خلفهم وبواسطتهم تحيات إخوانكم المسلمين في العالم كله الذين يرتبطون بهذه الرابطة الإسلامية ، ويرتبطون برابطة العالم الإسلامي عن طريق وجود ممثلين لهم في الرابطة ومجالسها وهيئاتها ، وعن طريق التعاون ما بين الجمعيات والجامعات الإسلامية وبين رابطة العالم الإسلامي ، لذلك أحييكم باسم الشعوب الإسلامية كلها التي ترتبط برابطة العالم الإسلامي.



جموع من الحاضرين في مؤتمر السيرة في بنارس

ثم أيها الإخوة الكرام ! ربما لا يتصور بعضكم شعورنا سواء شعوري الشخصي أو شعور إخواني الذين يتكلمون ويعرفون تاريخ هذه الجامعة ، فقد عاصرنا محاولة التأسيس لهذه الجامعة السلفية ، وعاصرنا جهود أخوين كريمين فاضلين هما الشيخ الجليل عبد الوحيد بن عبد الحق رحمه الله وأجزل ثوابه ، والشيخ الجليل أخونا الحاضر الآن مختار أحمد الندوي ، مدّ الله في عمره وبارك في جهوده. لقد كنا نتابع جهودهما وجهود إخوانهما الذين آزروهما وعملوا معهما في إنشاء هذه الجامعة ، بل جهود إخوتنا أهل

الحديث في الهند، الذين عملوا على إنشاء هذه الجامعة المركزية لأهل الحديث في الهند، ولم نكن نظن ولم يكن يظن غيرنا أن تصبح هذه الجامعة بعد سنوات قليلة بهذه المثابة العظيمة التي هي في الحقيقة موضع اعتزاز لأهل الحديث ولمحبي السنة النبوية المطهرة وللمسلمين جميعاً، ولله الحمد.

لقد استقبلنا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ حوالي عشرين سنة أول إنتاج هذه الجامعة، أول ثمرات هذه الجامعة، الثمرات الطيبة من الطلبة النجباء الذين لاحظنا أنهم كانوا دائماً يحوزون على السبق على غيرهم من الطلاب الذين قدموا إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من أنحاء العالم، فكانت لهم الأولوية، كانت الأولوية في صفوفهم، وكان لهم كما لاحظنا، ولله الحمد، العمل الصالح بما تعلموه. وهذا بلا شك مرجعه إلى إخلاص العلماء، علماء الهند الموجودين في هذه الجامعة وغيرهم في تربية أبنائهم وإخوانهم طلبة العلم.

إننا إذا نظرنا حولنا إلى أنحاء العالم كله نجد الجامعة السلفية في مثل هذه الفترة وكانت لها هذه الثمرات الطيبة، بل أصبح أهل الحديث والأثر قلة في غير هذه البلاد الهندية، بل كانوا أقل من القليل في العدد وإن لم يكونوا أقل في المقدار عند الله سبحانه وتعالى، ولكنهم في العدد كما يقال: « أعز من الكبريت الأحمر ».

لقد اختار الله سبحانه وتعالى لخدمة سنة رسوله ﷺ نفراً من علماء إخواننا من الهند، وكانوا سباقين في العصر إلى نشر كتب الحديث، كنا ونحن طلبة صغار، لم يكن بين أيدينا من كتب الحديث إلا ما نشر في الهند، وربما نسي بعضكم البلدان التي طبعت فيها بعض كتب الحديث، ومنها مثلاً أمر تسر، ومنها أيضاً كجرات وبمبئ وغيرها. ونحن إذا نظرنا إلى هذه الجهود الكريمة فإنها الدليل على أن الإسلام دين عالمي، وأن السنة المطهرة هي لكل من اتبع الرسول ﷺ، وليست خاصة بقطر دون قطر،

وليست ملكاً لأهل البلدان العربية أو غيرها، بل من اختار الله لخدمة سنة رسوله، فهو الذي اختاره الله لأمر عظيم وشرفه به.

بل إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الثواب الجزيل لمن اتبع سنة رسوله ﷺ، وبين أن الناس هم المحتاجون إلى دين الله، والله سبحانه وتعالى غني عنهم، ولذلك من تولى عن خدمة هذا الدين فإن الله سبحانه وتعالى سيبعث لدينه ناصراً غيره، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثلكم ﴾.



الأخ المترجم عبد السلام أبو اسلم مدرس في الجامعة يترجم كلمة المؤلف إلى الأوردية

وإن وجود هذه الجامعة السلفية المباركة في مدينة بنارس، المدينة التي ذكرها العالم المسلم الكبير أبو الريحان البيروني قبل ألف سنة. وذكر أنها مقدسة عند قدماء الهندوك أي غير المسلمين، حتى قال: إنهم يقولون إن من مات في بنارس غفر له ما كان قد مارسه من الذنوب. هذا ما نقله أبو الريحان البيروني عن أهل الهند، قدماء الهند ووجود الجامعة السلفية في

مدينة بنارس هو شاهد على أنه يمكن أن تزدهر الثقافة الإسلامية النقية في مكان موجودة فيه ثقافة وطنية أخرى قديمة. ولا يمنع وجود هذه الثقافة الإسلامية النقية أن تكون موجودة ثقافة أخرى في الهند، لأن هذا هو الذي كان عليه الحال منذ ثمان مائة سنة، منذ أن دخل أول المسلمين حاكماً على دهلي، أي في القرن السادس الهجري وإلى الآن. فتعاصرت ثقافتان: الهندية والمسلمة معاً. والمهم أن يعرف العقلاء من الطرفين أن المسلمين في الهند لم يكونوا يرمون من وراء الدعوة الإسلامية إلى إلغاء الأديان الأخرى، لأنهم لو كانوا يرمون إلى ذلك بالقوة لكانوا ألغوها منذ ستمائة سنة أو سبعمائة سنة حيث لا يمكن أن يكون لعملهم هذا مستنكر في ذلك الوقت، ولكنهم لم يرضوا بذلك.

وحتى هذا الشارع الذي تقع عليه الجامعة السلفية قد أخبرني إخواننا، ومنهم سعادة رئيس البلدية محمد صالح الأنصاري بأن السكان عليه كلهم أو جلهم من غير المسلمين، وأخبرني إخواننا في الجامعة، ومنهم الأخ الكريم الشيخ شاهد جنيد، والأخ الدكتور مقتدى حسن، هؤلاء كلهم أخبروني بأنهم ليست لديهم مشكلات مع مواطنيهم غير المسلمين الذين يسكنون بجانب الجامعة السلفية.

وهذا يجعلنا ننظر في المستقبل إلى مزيد من ازدهار وتقدم الثقافة الإسلامية في الهند، سواء في هذه المنطقة أو حتى في ولاية أوترا براديش وكذلك في غيرها من ولايات الهند، كما كان عليها الحال في السابق. ونحن سواء في رابطة العالم الإسلامي أو في جميع أقطار المسلمين، نتابع الحركة الثقافية لإخوتنا المسلمين في الهند، ونعتبر أن أي معاونة، بل أي بادرة طيبة تجاه الإخوة المسلمين وتجاه ثقافتهم الإسلامية في الهند هي بادرة طيبة تجاه المسلمين في أنحاء العالم. فإذا بلغنا أن الجامعة السلفية في هذه المنطقة بالذات، وهذا الشارع بالذات، وهذه المدينة بالذات، وهي لا تجد أي معارضة ولا أية عرقلة من الأكثرية من مواطنيكم غير المسلمين، فإن هذا

بغير شك سيكون له الأثر الطيب في نفوس المسلمين في العالم، ويعتبرونه اتجاهاً بحسن المعاملة نحو المسلمين كلهم، وفيما لو حصل غير ذلك، لا قدر الله، فإن المسلمين في العالم سيعتبرون ذلك عملاً ضدهم جميعاً.

وذلك بأن المسلمين في جميع أنحاء العالم تربطهم رابطة من الأخوة الإسلامية التي عقدها الله سبحانه وتعالى في السماء، وأوضحها في كتابه فقال: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ وهذه الرابطة والعلاقة والأخوة الإسلامية تجعل المسلم في كل مكان على وجه الأرض يتابع ما يحدث لإخوانه المسلمين في أرض الهند، ويرى أن استمرار الثقافة الإسلامية في الهند على ما كانت عليه في السابق أو ازدهارها أكثر مهم للمسلمين في أنحاء العالم كله وليس للمسلمين في القارة الهندية وحدها.

أيها الإخوة الكرام! إن رابطة الأخوة الإسلامية هي أقوى من رابطة النسب، لأن رابطة النسب منشأها من الجسد، والجسد من التراب أما رابطة الإسلام الروحية فهي سماوية، وأكبر دليل وشاهد على ذلك في أبي لهب عم رسول الله ﷺ، وهو كما نعرفه شريف النسب في قومه وذو مال، وعم الرسول ﷺ، ومع ذلك عندما عصى الله سبحانه وتعالى، ولم يطع أمر رسوله ﷺ أنزل الله سبحانه وتعالى في ذمه سورة تتلى إلى يوم القيامة: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ۝١ ما أغنى عنه ماله وما كسب ۝٢﴾.

ونحن نلاحظ أنه لم يرد في القرآن الكريم تصريح باسم أي شخص ممن عادى الرسول إلا اسم أبي لهب، وهذا، والله أعلم، له حكمة بالغة وهو أن يعرف الناس على مدى العصور أن شرف النسب والقرابة من النبي أو الولي أو العالم أو الرجل الصالح لا تنفع عند الله شيئاً إذا كان صاحبها لا يطيع الله ولا يطيع رسوله.

لقد ذكر أخونا الأستاذ الجليل الأخ شاهد جنيد واستشهد بحال إخوتنا المسلمين في الاتحاد السوفيتي، وأحب أن أعلق على ذلك، لأنني

حديث عهد بتلك البلاد ، فقد زرتها ثلاث مرات ، وكان آخر هذه المرات قبل أشهر. وجدنا أن الإخوة المسلمين كانوا صامدين صابرين على دينهم متمسكين به ، وأن الطغيان الشيوعي حرم عليهم حتى الاستماع إلى الإذاعات الدينية. وذكروا لنا قوائم لأسماء إخواننا الذين سجنوا سنتين أو ثلاثاً بتهمة أنهم يستمعون إلى الإذاعة الدينية ، هذا قبل مدة طويلة ، والآن والحمد لله تغير الحال ، انهزم الشيوعيون ، وشهدوا على أنفسهم بأنهم كانوا كاذبين ، وإخواننا انتهزوا هذه الفرصة ، ولله الحمد ، فأخذوا الآن يؤسسون المساجد ، ويقيمون المدارس ، وينشرون الكتب الإسلامية.

ولقد شهدت بنفسي كيف أن الرجال الذين لا يملكون مالاً ، سواء كانوا من الشيوخ أو الأطفال ، يتقدمون ويبنون المساجد بأنفسهم وبأيديهم ، وليس معنى ذلك أنه ليس عندهم عمال ، ولكن يريدون أن يوفروا نقود المسلمين ، وأن يسهموا في إقامة هذه المساجد ، ورأينا أنهم يقيمون المُعاهد. أقيم معهد في تاجكستان في مدينة دوشنبه عاصمة تاجكستان. وهذا المعهد يشبه المعاهد الإسلامية القديمة قبل ألف سنة ، وأنه مبني على طراز عريق ، و يوفر فيه لطالب العلم كل ما يلزم. وهذا بعد أن كان اعتقد الشيوعيون والملحدون أن الإسلام قد مُحي من قلوب المسلمين في الاتحاد السوفيتي .

لقد تجددت آمالنا عندما رأينا حال المسلمين قد تبدلت هناك إلى الأحسن ، ولله الحمد ، في أن تعود تلك البلاد فتخرج لنا العلماء والمحدثين الذين يشدون أزركم هنا في هذه البلاد وفي غيرها من البلدان الإسلامية ، لأن تلك المنطقة قد أخرجت أربعة من أصحاب السنن الستة ، وهم الإمام البخارى ، والإمام الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، كلهم من أهل المنطقة التي سيطر عليها الاتحاد السوفييتي والتي تخلصت منه ، ولله الحمد ، بقدر ما يفهم أهلها لأن أكثر من سبعين سنة من الضعف والتحريم الديني قد جعل أهلها ليس عندهم ثقافة إسلامية كافية ، ولكن الحمد لله أخذوا بأسباب وجود هذه الثقافة .

وبشارة أخرى: وهو أن الإسلام الآن يفتح حصوناً جديدة، ويحل في بلاد لم تكن دار إسلام من قبل، ومن ذلك مثلاً أن حياً واحداً من أحياء مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا فيه ثمانية عشر مسجداً، ولديَّ أسماؤها جميعاً، وكلها أنشئت بعد تمام ألف وتسع مائة وأربعة وسبعين ميلادية. ثمانية عشر مسجداً في حي واحد في مدينة بروكسل كما نعلم ولم تصل المدة عشرين سنة.

وزيادة على هذا أن فرنسا وحدها فيها أكثر من ثلاثة آلاف ما بين مسجد ومصلى، والفرق بين المصلى والمسجد هو أن يبنى المسجد على هيئة المساجد المعروفة من القبة والمنارة، والمصلى بيت يتخذه المسلمون للصلاة إذا فقدوا ما يلزم من القدرة على بناء مسجد كبير.

إن انتشار الدين الإسلامي في أوربا الآن له معنيان كبيران من المعاني التي يفهمها الناس، وإن الحكم الإلهية تجلّ عن الحصر. المعنى الأول: تكذيب ما يقوله أعداء الإسلام بأن الإسلام انتشر بالسيف، وانه لولا السيف ما كان المسلمون في العالم، ونحن نجد الآن أن الإسلام لا سيف له في أوروبا، بل ولا في أي مكان في العالم، أي سيف للمسلمين الآن؟ ونجد الإسلام يغزو تلك البلاد. والمعنى الثاني: ما قيل من أن الإسلام دين الذين لا ثقافة لهم، أي غير المثقفين، ويقولون إن الإسلام ينتشر في إفريقيا، وينتشر في أماكن أخرى لأن أهلها غير متعلمين.

ويكذبهم الواقع الآن فقد انتشر الإسلام في أوروبا بين أساتذة الجامعات والفلاسفة الكبار والمفكرين الذين تعلموا إلى نهاية مراحل التعليم، وثقفوا إلى أقصى درجات الثقافة.

ولا شك أن المسلمين لو عملوا بالإسلام حقيقة، قولاً وعملاً واعتقاداً ومعاملة مع الناس، لكانوا القدوة الحسنة ولدخل الناس في دين الله أكثر وأكثر، لأن البشر مفطورون على أن يتأثروا بالفعل أكثر مما يتأثرون

بالقول، بل إن بعض المسلمين الذين لا يلتزمون بالإسلام يجنون جناية عظيمة على دينهم وعلى أنفسهم، لأنهم يجعلون الناس ينظرون إلى الإسلام عن طريق أفعالهم وعن طريق مخالفتهم هذه للإسلام، إذن فأول ما يجب علينا نحن المسلمين، سواء كنا دعاة ذاهبين إلى أوروبا أو غيرها، أو كنا في بيوتنا هنا في الهند أو في أي مكان في العالم، يجب علينا أن نحاسب أنفسنا، ونعرض جميع أعمالنا وأقوالنا على ما جاء من الله ورسوله. فإن كانت أقوالنا مطابقة لأعمالنا التي عملنا بها فهذا خير، وإن وجدنا فيها مخالفة فإن علينا أن نتجنب المخالفة ونصحح ما وجد فيها. والجاهل منا الذي لا يستطيع أن يعرف يمكن أن يسأل أهل الذكر، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾.

يجب أن يكون التاجر المسلم بعيداً عن الغش، لأن الرسول ﷺ يقول كما في صحيح البخاري: (من غشنا فليس منا). وفي رواية في صحيح مسلم: (من غش فليس منا). وقد يكون الفرق بين الروايتين أن رواية مسلم: من غش حتى غير المسلمين فإنه ليس من المسلمين، والرسول ﷺ يقول: (لا إيمان لمن لا أمانة له)، ويقول ﷺ: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قالوا: من يا رسول الله، قال: من لا يأمن جاره بوائقه). والبوائق: الغوائل والشرور. فالمسلم إذا كان حسن المعاملة فإن أول فائدة له هو أن يقبل الناس من مسلمين وغيرهم على الشراء منه، لأن الالتزام بالدين الإسلامي والتحلي بما فيه هو خير في الدنيا والآخرة. ثم الفائدة الثانية هي الثواب الجزيل من الله سبحانه وتعالى. والفائدة الثالثة هي أن الناس يعرفون بذلك الإسلام ويقولون: هذا المسلم حسن المعاملة، إذن الإسلام هذب أصحابه، وهو الدين الحق، فيدخلون في الإسلام.

ولذلك يجب علينا نحن المسلمين أن نربي أولادنا على الصدق وعلى الأمانة وعلى حسن المعاملة مع الآخرين، لأن هذا هو ما أمر الله به ورسوله وإن هذا هو السبيل الذي سلكه سلفنا الصالح، وبواسطته دخل الناس أفواجاً

في دين الله .

وينبغي أن ننظر إلى البلدان التي فتحها المسلمون، وعلى سبيل المثال ننظر إلى دمشق، كم بقى فيها بعد فتحها من الصحابة يعلمون الناس، ويحفظون الدين ؟ قليل جداً ، لأنهم كانوا يخرجون إلى بلاد أخرى يجاهدون، ولكن كانوا قدوة، كانوا أسوة، فكان الناس يسلمون لو لم يقولوا لهم: أسلموا أيها الناس. إنما يرون أفعالهم وأعمالهم فيسلمون، فنرجو إن شاء الله، أن يكون لكم أنتم، إخواننا أهل الحديث، ولغيركم من إخواننا المسلمين في سائر الهند وسائر المسلمين في العالم، أن يكون لكم القدوة الحسنة وتقتدوا أثر السلف الصالح في هذه النقطة وفي غيرها، إن شاء الله من الأقوال والأفعال.

وأعود في الختام إلى أن أحمد الله سبحانه وتعالى، وأشكره فهو الذي قدر هذا الاجتماع المبارك بهذه البقعة المباركة من دار الحديث السلفية، ثم أخبركم بأن التعاون سيكون مستمراً، إن شاء الله، بين رابطة العالم الإسلامي وبين الجامعة السلفية وبين جمعية أهل الحديث كما هو مستمر أيضاً مع إخوتكم المسلمين في جميع أنحاء العالم والسلام عليكم ورحمة الله، والحمد لله رب العالمين .

وعندما انتهيت من إلقاء الكلمة كانت الساعة قد بلغت الواحدة ظهراً، فأوقفوا هذه الجلسة الافتتاحية، لأداء الصلاة في مسجد الجامعة الكبير الذي هو داخل مبنى الجامعة.

وذهبت إلى فندق (تاج قانقا) أي تاج كنج الذي هو نهر الكنج المقدس عندهم، وقد أخذوا مني (٧٥ دولاراً) أجرة الليلة الواحدة ولم يخفضوا شيئاً من أجل الجواز (الدبلوماسي) كما هو المعتاد في الفنادق الكبيرة أن يخفضوا الأجرة بمقدار يتراوح بين ٢٥٪ و ١٠٪ لحملة الجوازات (الدبلوماسية)، وقد فرغت من الفندق في الوقت المحدد، لئلا يحتسبوا عليَّ

الليلة مع أنني سوف أغادر بنارس في مساء هذا اليوم بإذن الله .

مادبة الجامعة :

عدت إلى الجامعة السلفية بعد الثانية بقليل لحضور مأدبة الغداء التي تقيمها الجامعة السلفية لكبار الضيوف الذين حضروا المؤتمر .

وكانت المأدبة حافلة بما لذ وطاب مما قل فلفله ودسمه لكونهم قد جعلوا الطعام طعاماً لمن لا يحبذون الفلفل وآخر لمن يريده .

وكانت المأدبة ـ فيما عدا ذلك ـ هندية أصيلة كان نجمها الكاري بلحم الغنم، والأرز البرياني، و الأرز الآخر الذي يسمونه (رز بلاو)، كما أحضروا السمك الذي ذكروا أنه نهري أحضروه من نهر الكنج (قانقا) فعافته نفسي لأنه خيّل إليّ أنه يأكل من الفضلات الصغيرة التي تلقى في النهر بعد حرق أجسام الموتى، كما رأيت كلباً يفعل مثل ذلك .

ولا شك في أن السمك حلال، ولكنني تركته من غير اعتقاد لتحريمه.

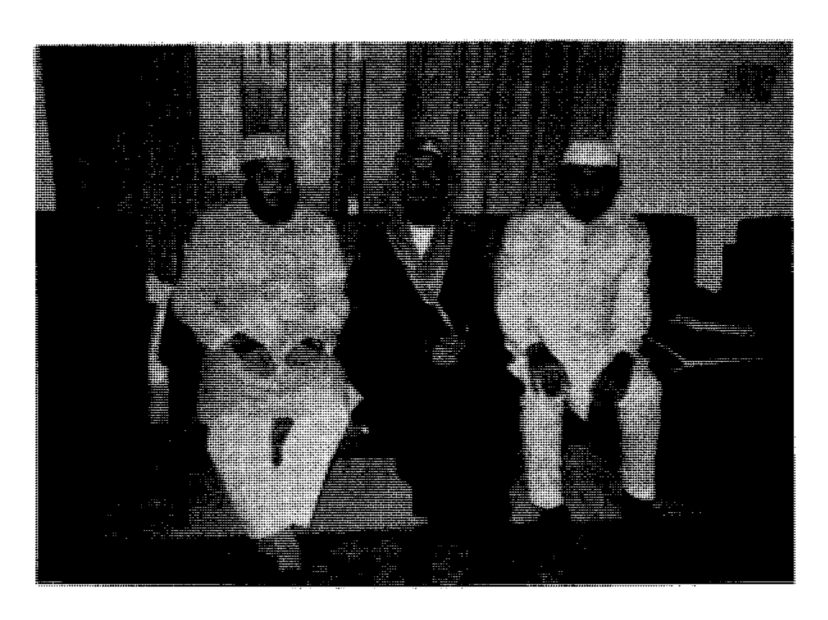
وأما الفاكهة فإنها التفاح الهندي الذي ينمو في شمال الهند، وفي ولاية جامو وكشمير، ويجلب من تلك الجهات إلى سائر أنحاء الهند .

وبعد الغداء استرحت مع بعض الضيوف في غرف ملحقة بالجامعة في غاية النظافة ذكروا أنها دار الضيافة، وهي عندي خير من فندق (تاج قانقا) وأنظف.

وقد واصل أثناء ذلك مؤتمر السيرة النبوية العطرة، وقد يسمونه (المؤتمر العالمي للسيرة النبوية العطرة) أعماله حتى انتهت بالقرارات التالية:

١- إن المملكة العربية السعودية التي هي مهوى أفئدة المسلمين في كل مكان حيث هناك بيت الله الحرام ومسجد رسول الله ﷺ ومدينته ومهبط الوحي ومنطلق الدعوة، وقد انبثقت منها أنوار الرسالة المحمدية،

إنها تحرص على إشعاع جميع أقطار العالم بنور التوحيد ، وتسعى جاهدة لخدمة الحرمين الشريفين وغيرهما من الأماكن المقدسة بتوسعتها وتعميرها وتجهيزها بجميع متطلبات الراحة والطمأنينة مما يحتاج إليه قاصدو بيت الله الحرام والمسجد النبوي في أداء مناسكهم بكل خشوع وأمن.



المؤلف في دار الضيافة في جامعة بنارس السلفية، على يمينه الأخ سعودي عبد الوحيد، وعلى يساره شاهد جنيد

وكذلك تقوم برعاية جميع الندوات والاجتماعات والمؤتمرات الدينية التي تعقد في أي بقعة من العالم بهدف توجيه الأمة الإسلامية إلى الاتجاه السليم، والبحث عن الحلول السليمة الصحيحة للمشكلات التي تواجه الأمة، ومنها مؤتمرنا هذا، المؤتمر العالمي للسيرة النبوية حيث حظي منها برعاية كريمة خاصة. وبهذه المناسبة يسرنا أن نرفع أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان بالجميل لخادم الحرمين الشريفين و وليّ عهده الأمين ولشعب المملكة العربية السعودية، راجين من الله تعالى دوام التقدم والازدهار لحكومة و شعب المملكة، وموفور الصحة والعافية لخادم

الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين .

وكذلك نرفع أخلص الشكر والتقدير إلى معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة على تكرمه بإيفاد وفد ثنائي إلى المؤتمر للمشاركة في أعماله و لإلقاء الكلمات فيه .

٢ - أصيب سكان المنطقة الشمالية في الهند بزلزلة رهيبة ذهب ضحيتها ألوف من الناس، وقد أسرعت الحكومة إلى إغاثة المنكوبين في نطاق وسائلها. والمؤتمر إذ يبدي حزنه وألمه نحو هذا الحادث يناشد المسؤولين عن الحكم والنظام وجميع أهل الخير أن يسرعوا إلى تقديم الحاجات اللازمة إلى المنكوبين والمصابين، ويبذلوا جهودهم في سبيل إسكانهم من جديد ، فإن الواجب الإنساني يتطلب ذلك من الجميع وليس من الحكومة فحسب.

٣ - إن المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الذي عقدته الجامعة السلفية ببنارس في رحابها في الفترة ١٨ ، ١٩ / ربيع الآخر سنة ١٤١٢هـ / الموافق ٢٧ ، ٢٨ / أكتوبر سنة ١٩٩١ م ليناشد جميع المسلمين - ولا سيما العلماء منهم - التأسي بالسيرة النبوية العطرة وتطبيقها في جميع مناحي حياتهم، وحث الأولاد وأفراد الأسرة وكل من يرتبط بهم على الاقتداء بالسيرة النبوية في حياتهم.

٤ - وبما أن المسلمين لم يؤدوا واجبهم كما ينبغي في عرض الرسالة العالمية التي جاء بها النبي ﷺ على شعوب العالم وبالخصوص على شعوب الهند مع إيمانهم برسالته ﷺ وسيادته يطالب هذا المؤتمر جميع المؤسسات الإسلامية والجماعات و الأفراد بكل أدب واحترام بعرض الجوانب السامية من سيرة الرسول ﷺ على جميع المواطنين الهنود عرضاً سليماً وبلغة سليمة خالية من التعقيدات.

٥ - ولتحقيق هذا الهدف الجليل في فرصة عاجلة وللإسراع في إنجاز هذا

العمل الجليل يوصى المؤتمر بطبع وتوزيع كتيبات ورسائل صغيرة في جوانب مختلفة من السيرة النبوية باللغة الهندية إلى جانب اللغة الأردية كما أنه يقترح دعوة المواطنين غير المسلمين للحضور في المؤتمرات والمحافل الخاصة بالسيرة النبوية، ليطلعوا على المعلومات الصحيحة عن الإسلام ورسول الإسلام .

٦ - ويطالب من العلماء و المفكرين بإثراء أدب السيرة النبوية بكتابة مقالات قيمة وتأليف كتب علمية على المستوى العالمي .

٧ - ويوصى المتخصصين منَ العلماء والأساتذة أن يؤلفوا مع مراعاة متطلبات العصر الحاضر والحالات الثقافية والاجتماعية في الهند والظروف العامة للمسلمين فيها كتباً ورسائل تنير لهم الطريق في الظروف الراهنة من الناحية العملية.

٨- ولتربية المعلمين والمتعلمين تربية إسلامية صحيحة يشعر المؤتمر بوجوب تدريسهم للسيرة النبوية كمادة أساسية من الناحية التوجيهية والتطبيقية.

٩ - وتجنيبا للمسلمين من الآثار السيئة التي تتسبب لها حفلات المولد النبوي يعتقد المؤتمر بأنه يجب على المؤسسات والعلماء من أصحاب العقيدة الصحيحة والفكر السليم إقامة ندوات ومؤتمرات خاصة بالسيرة النبوية من حين لآخر يركز فيها على إبراز الجوانب العلمية فيها .

١٠ - ويرجو المؤتمر من أئمة المساجد وخطبائها إلقاء خطب أمام العامة ولو في الأسبوع مرة واحدة على الأقل يلتزمون فيها بإبراز جانب من الجوانب الخاصة بالسيرة النبوية بأسلوب الوعظ والإرشاد، وتسليط الأضواء على النواحي التي تساعد في تطبيق السنة الصحيحة في الحياة اليومية .

١١ - وبهدف إيقاف المسؤولين في الحكومة، والسلطات التنفيذية وغيرها من الجهات وإطلاعهم على السيرة النبوية الصحيحة وتعليمهم بالطرق التي تمكنهم من تقديم الخدمات للعوام وفق السنة النبوية الصحيحة يرى

المؤتمر إرسال ما ألف فيها من كتيبات و رسائل صغيرة بلغة سهلة وميسرة بين فئة وأخرى.

١٢ ـ ولتحقيق المخطوطات المهمة في السيرة النبوية وطبع الكتب الصحيحة فيها يقترح المؤتمر إنشاء مركز خاص بالسيرة العطرة، ويرجو من المسؤولين المخلصين في الجامعة السلفية المبادرة إلى تحمل أعباء هذه المهمة، والقيام بحث الأساتذة في هذه الجامعة وغيرها والعلماء الآخرين على تأليف كتب خاصة بالسيرة النبوية .

١٣ ـ ويرجو من المؤسسات الإسلامية ولا سيما الجامعات والمعاهد المبادرة إلى إصدار مجلة خاصة بالسيرة النبوية بتعاون واستشارة فيما بينهم وتهتم هذه المجلة بجانب التحقيق والإصلاح، وتسهيلاً للأمر يمكن أولاً الاقتصار على دورية تصدر بعد كل شهرين أو ثلاثة أشهر .

١٤ ـ ويرى المؤتمر نقل الكتب المهمة التي ألفت في السيرة النبوية باللغة العربية إلى الأردية والإنجليزية، كما يرى نقل خلاصتها إلى اللغة الهندية وغيرها من اللغات الإقليمية ليستفيد منها شبابنا وغيرهم ممن يتقنون هذه اللغات.

١٥ ـ ويرى إعداد كتب دراسية باللغة الأردية والهندية والإنجليزية وفق المناهج التعليمية المعاصرة، ثم تنقل هذه الكتب إلى اللغات المحلية الأخرى لتقديمها إلى من يعرفون بها .

١٦ ـ ويناشد المؤتمر أصحاب الخير والثروة للقيام بطبع كتيبات مختصرة ورسائل صغيرة في السيرة النبوية وتوزيعها على الناس ولا سيما الجيران من غير المسلمين على نفقاتهم، والمساهمة بكل ما يملكون في سبيل طبع المؤلفات القيمة والتحقيقات النافعة في السيرة النبوية ومساعدة المركز الخاص بها والجامعة السلفية وغيرها من المؤسسات التي تقوم بمثل هذا العمل الجليل.

١٧ ـ واتباعاً للسنة النبوية في الاعتراف بالجميل والشكر على الإحسان، أن المؤتمر ليبدي عن شكره وامتنانه البالغين لمسؤولي الجامعة السلفية وأساتذتها وطلابها والعاملين فيها على الحفاوة البالغة والضيافة الكريمة والرعاية الشاملة التي استقبلوا بها جميع الضيوف و المندوبين وأصحاب المقالات.

ويتضرع إلى الله العلي القدير داعياً بأن يكتب لهذه الجامعة النجاح والتقدم والازدهار ويجنبها جميع الآفات والبلايا ويبارك في علوم أساتذتها وطلابها وعامليها وأعمارهم، ويملأ حياتهم الشخصية والاجتماعية بالخيرات والمسرات. آمين .

مغادرة بنارس :

في الساعة الرابعة كنا نودع الإخوة الكرام كبار العلماء في الجامعة والضيوف ونخرج إلى المطار مع بعض العاملين في الجامعة وذلك للسفر إلى بمبي حيث من المقرر أن تقوم الطائرة في السادسة مساءً، غير أنها تأخرت عن موعدها المقرر حيث لم تقلع إلا في التاسعة ليلاً .

وقد لاحظت أنهم يشددون جداً في التفتيش على أمتعة الركاب وأجسامهم خوفاً من إخفاء قنبلة مع أحد الركاب قد تسبب في اختطاف الطائرة.

وقد زاد وزن الأمتعة التي أحملها قليلاً عن الوزن المعتاد فأخذوا أجرة ذلك كله لم يتغاضوا عن شيء .

وعندما نادوا بالخروج للطائرة تكرر التأكيد على الأمتعة بأن طلبوا من كل راكب أن يتعرف على أمتعته، وكل من عرف متاعه علقوا بطاقة على متاعه، وحتى حقائب الأيدي لا يسمح المسؤول عند سلم الطائرة للراكب بحملها إلا بعد أن يتأكد من كونها مختومة بختم على ورقة معلقة

فيها من قبل أمن المطار .

وجدنا الطائرة من طراز بوينغ - ٧٣٧ - تابعة لشركة (إنديان إيرلاين) وهي مليئة كلها بالركاب الذين أكثرهم من الهنود وفيهم قلة من السياح الأوروبيين أو ذوي المظهر الأوروبي، وقد أقلعت الطائرة من مطار بنارس إلى مطار لكنهو عاصمة ولاية أترابرديش في طريقها إلى بومبي وأعلنوا أن الطيران إلى لكنهو سوف يستغرق ٣٥ دقيقة فقط .

وفي مطار لكنهو نزل معظم الركاب الذين كانوا قد ملأوا مقاعد الطائرة.

إلى بومبي :

لم تلبث الطائرة طويلاً في مطار لكنهو وإنما غادرته قاصدة مدينة بومبي الكبيرة، وليس على متنها إلا نحو٦٠٪ من حمولتها من الركاب .

وقد بدأت المضيفات فور صعود الركاب بتوزيع الحلوى وحبوب الكراويا والقطن على الركاب كما هو المعتاد عندهم .

ولاحظت أن بعض الركاب يأخذون مقادير كبيرة من الحلوى يضعونه في جيوبهم مع أن المفروض أن يأخذوا من الحلوى قطعة واحدة ليمصوها عند قيام الطائرة حتى يخرج الهواء الذي يدخل في أذن راكب الطائرة إذا لم تكن مكيفة الضغط من الداخل، وقد تجاوزت شركات الطيران ومنها طائرات خطوطنا السعودية هذه الأمور اكتفاء بتكييف الضغط داخل الطائرة .

وكانت الضيافة صحناً من القصدير الأبيض فيه أرز أبيض، ومعه غير مختلط به حبات من فول هندي أو هي من الفاصولياء لا أدري. وقد أكثروا عليه من الفلفل الذي حال دون أن يقترب منه مثلي لو كنت في حاجة إليه، وكومة من خضار مخلوط كأنه السبانخ، ولم يقدموا في الوجبة أي شيء

من اللحم، ولم يسألوا الراكب كما كانوا يفعلون عما إذا كان نباتياً أو من أكلة اللحوم، ومع ذلك خبزة صغيرة جداً ملفوفة في قصديرة وكأس من الماء لم تطاوعني نفسي على شربه .

وقد وجدت ابن الشيخ أحمد مختار الندوي واسمه (أكرم) في استقبالي في مطار بمبي، فقد هتف به والده من بنارس أن يكون في استقبالي مع أنني أعرف طريقي هناك؛ حيث نزلت في فندق (سنشور) القريب من المطار .

يوم الإثنين ١٤١٢/٤/٢١هـ ـ ٢٨ /١٩٩١/١٠ م

في قلب مدينة بومبي :

تكلمت بالتفصيل على مشاهداتي في مدينة بومبي في عدد من هذه الرحلات الهندية وبخاصة في كتاب: " **غرب الهند**" ولذلك لن أذكر عنها شيئاً من ذلك إلا ما وجدت في مذكرتي عن هذا اليوم الذي سأغادر في غده (بومبي) إلى الرياض بإذن الله تعالى .

حضر إليّ في الفندق (الأخ أكرم بن الشيخ أحمد مختار الندوي) وركبنا في سيارة لهم يسوقها سائق من الإخوة المسلمين وتوجهنا إلى قلب المدينة حيث لقينا عنتاً من الزحام ومن الرائحة الكريهة في إحدى ضواحي المدينة حيث يجري فيها نهر المجاري القذر وقبل ذلك مررنا بحي الدباغين الذي لا تقل رائحته خبثاً عن نهر المجاري .

ثم وقعنا في قلب المدينة في الزحام المزعج على دخان الحافلات الضخمة وأصوات محركاتها المؤذية إضافة إلى عربات الركشا والسيارات الأخرى وأفواج المارة الذين ضاقت بهم الأرصفة فامتلأت بهم الشوارع .

ولقد عجبت من السائق وكثرة تحمله في السير وسط هذا الزحام المنكر، مع أنه كان يواصل إطلاق بوق سيارته يحذر القوم ولكنهم لا يحذرون، أو كأنهم لا يسمعون .

مطبعة الدار السلفية :

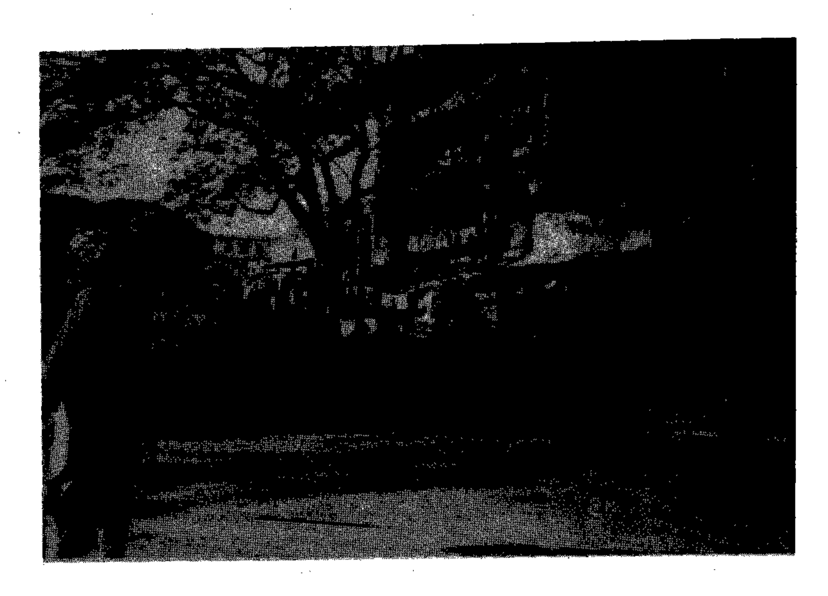
وصلنا إلى مطبعة الدار السلفية التي يملكها صديقنا الشيخ مختار أحمد الندوي. وهي مطبعة حديثة تشغل مساحة واسعة من قلب المدينة غير الواسع، وذلك بآلات حديثة أهمها ظهوراً الحاسب الآلي الذي تصف به الحروف و تصحح به الأخطاء .

ومن المفرح أننا وجدنا العمال يطبعون فيها كتباً من الكتب القديمة

في الحديث وكتباً إسلامية باللغة الأردية، ويطبعون إلى ذلك أوراقاً ومطبوعات حكومية اتفقت الحكومة معهم على طباعتها متجاوزة بعض المطابع التي يملكها الهندوكيون لأنها قديمة وغير متقنة ..

وشاهدت من ذلك أوراقاً من التي تلصقها الحكومة ومصانع الأدوية على زجاجات الأدوية وهي مطبوعة بهذه المطابع السلفية بأكثر من لغة .

ومن العجيب الغريب أن صاحب هذه المطابع الشيخ مختار أحمد الندوي لم يشغله العمل التجاري عن العمل الخيري الإسلامي الذي ينفق عليه جل وقته، ويصرف إليه أكثر اهتمامه، فالرجل يبدأ برنامجه اليومي بإلقاء درس علمي في مسجده، ويقوم إلى ذلك برحلات متكررة إلى سائر أنحاء الهند حيث بنت المؤسسة التي يقوم عليها أعداداً كبيرة من المساجد جمع لها التبرعات من الهند ومن البلدان العربية. وقد أسس الجامعة المحمدية في (مليقاون) وهي جامعة عجيبة في سعة أبنيتها وحداثتها وفي كثرة ما أنفق عليها من نفقة لا يقوى عليها إلا الحكومات الغنية .



شارع واسع في بومبي

ثم ذهبنا إلى مكتب الخطوط السعودية لتأكيد الحجز غداً. فرأيت من الزحام على مكاتبها ما أزعجني، وعلى من يريد مراجعتها أن يقف في هذا الصف الطويل، غير أن الشركة خصصت ممراً للسعوديين إلى مراجعة أحد الموظفين خاصاً بهم دون غيرهم .

ولم أقف حتى في هذا الممر، وإنما دخلت على مدير المكاتب فسلمت عليه وعرفته بأنني أحتاج إلى مقعد بالدرجة الأولى إلى الرياض فلم يتردد في ذلك .

ولاحظت الإقبال العظيم على هذه الرحلات حتى إنني وجدت أحدهم عند المدير يرجوه ويلح في الرجاء في أن يحصل على مقعد واحد في الدرجة السياحية فيعتذر إليه المدير بعدم وجود أي مقعد خالٍ .

ومررنا بالسوق التجاري لشراء مقادير من عود البخور المعروف بالهندي وأنواع أخرى من الطيب، فكان ما يكدر ذلك الزحام الشديد والروائح غير المحببة، وكثرة الشحاذين الملحفين الذين فيهم طائفة من الزمنى وذوي العاهات الظاهرة وهم يعرضون عاهاتهم على الناس رجاء أن يعطفوا عليهم، ولكنهم إذا تمنع المسؤول عن أن يعطيهم أسرعوا يحتكون به ويلمسونه بأطرافهم التي بعضها قد أكله الجذام فيحمله ذلك على أن يعطيهم حتى يتخلص منهم، لكونه لا يستطيع أن يسرع مبعداً عن المنطقة التي يوجدون فيها حيث إنه سيصطدم بوجود آخرين مثلهم .

ومن الطريف أن بعض السياح الأوروبيين موجودون في هذا الزحام لم يمنعهم ما ذكر عن الاطلاع والتفرج، ولكن بعضهم كان راكباً على عربات الركشا يعتصم بذلك من السير في الزحام ومضايقة الشحاذين.

هذا والمسلمون لهم وجود ظاهر بين السكان في هذه المناطق وذلك بكونهم يلبسون القلانس (الطواقي) على رؤوسهم كما أن المسلمات يلبسن ملابس سوداً سابغة .

وعندما رأيت الزحام الشديد في شوارع بومبي مع ضيق ظاهر في سيارات الركوب التي تقع في بلادهم بحيث لا تكون عريضة، قلت في نفسي: ماذا لو استغنوا فصاروا يستطيعون تملك السيارات الأجنبية أو حتى الوطنية ؟ لا شك أن شوارعهم سوف تضيق بها أكثر حتى لا يجد راكبو السيارات لها مسلكاً، اللهم إلا إذا كان لهم آنذاك من الإمكانات ما يجعلهم يهدمون أجزاء من مدنهم ويوسعون شوارعها .

وعلقت على ذلك بأنه لا شك في أنهم إذا حصلوا على الإمكانات اللازمة لذلك فإنهم سوف يبدؤون بسكنة الشوارع والأرصفة من الفقراء الذين لا يملكون أي مسكن ولا يملكون أي أثاث إلا قطعة من الخيش أو الورق المقوى (الكرتون) يفترشونها في الشارع هم ونساؤهم وأولادهم.

حتى المسلمون :

يتألف معظم سكان الشوارع والأرصفة من فقراء الهنادك، بخاصة المنبوذين المعروفين عندهم بالهاريجان غير أن الإخوة المرافقين أرونا شارعاً بجانب أسواق البيع والشراء فيه مسلمون ذكروا أنهم يوجدون هكذا في هذا الشارع وحدهم، وأنهم جاؤوا من ولاية أصيبت بالمحل وانحباس المطر ففقدوا كل ما يملكون وجاؤوا إلى بومبي حيث اتخذوا من هذا الشارع مسكناً أقاموا على جانبيه مساكن مؤقتة على هيئة غرف صغيرة من الخشب أو الأعواد الملبسة بالخيش .

وذكر الإخوة المسلمون أن هذه المساكن تعتبر بمثابة الملاجئ المؤقتة وأن المسلمين ليسوا بالذين يرضون بالسكن في الشوارع .

تركنا هؤلاء المسلمين البائسين الذين يقدر عددهم بنحو ٨٠٠ نسمة ووقفنا عند سوق صغير في قلب المدينة التجاري خاص بالمسلمين، فأصحاب الحوانيت فيه من المسلمين، و البضائع التي فيه إسلامية مثل اللوحات التي

تتضمن الآيات القرآنية، واللوحات التي تتضمن الأدعية بالعربية والأوردية إلى جانب المصاحف الكريمة والكتب الدينية الصغيرة .



منازل بعض اللاجئين المسلمين في بومبي

ولاحظت في أسواق البيع والشراء أن الهندوكيين يشترون من التجار المسلمين وأن المسلمين يشترون أيضاً من التجار الهنادك فسألت الإخوة المسلمين من باب التأكد من هذا الأمر، فذكروا أنه لا يوجد تمييز في العمل التجاري في هذه البلاد، وإنما يبحث المرء منهم عن السلعة الجيدة والثمن الرخيص، سواء أكانت عند تاجر من معتنقي ديانتهم أو من غيره .

وهذا أمر مهم للمسلمين؛ لأن الأكثرية من السكان هم من الهنادك ولو قاطعوا التجار المسلمين لأثر ذلك في عملهم التجاري، قالوا: وحتى باعة الجملة من كبار التجار لا يفرقون في البيع بين من يشترون منهم من التجار الصغار إلا بحسن المعاملة والسرعة في وفاء الدين .

ولم أعد إلى فندق (سنشور) الذي أسكن فيه إلا قبيل المغرب، وقد جددت به عهداً قديماً فرأيت أن حالته قد ساءت إذْ كانت الحمامات خارج

الغرفة تحتاج إلى ترميم، وحتى الغرفة نفسها فيها أشياء تحتاج إلى إصلاح ولم تصلح.

ومع ذلك فإن أسعاره غالية لا تكاد تنقص عن مثيلاته في أوروبا، فزجاجة الماء المعدني بـ ٤٩ـ روبية أي بدولارين مع أنها عندنا بريالين، حتى معاملة الموظفين فيه تكاد تكون خالية من المجاملة.

يوم الثلاثاء ١٤١٢/٤/٢٢ هـ ـ ١٠/٢٩ /١٩٩١ م.

مغادرة الهند:

دفعت لفندق (سنشور) ١٦٠ دولاراً أجراً لغرفتي مع مكالمة هاتفية قصيرة.

وخرجت إلى مطار بومبي مع أخوين من المودعين ولكن أهل المطار منعوهما من الدخول وأخذوا مني (٣٠٠) روبية ويساوي ذلك (١٢ دولاراً) أمريكية تقريباً ضريبة المغادرة، ولم ينفع عندهم كون جوازي (دبلوماسياً).

وفي المطار كان معي ٣ حقائب توقفوا في حملها إلى أن رأوا تذكرتي بالدرجة الأولى وجوازي دبلوماسياً، وقد أخذوني إلى غرفة كبار الزوار في المطار، وكان هذا مريحاً هذه المرة خلاف ما كنت اعتدت عليه من الشقاء مع الركاب وعدم الرغبة في الذهاب إلى غرفة كبار الزوار التي تكون معزولة في العادة. وذلك لكون العزلة في مطار بومبي مريحة لا يخشى المرء أن يفوته بسببها معلومات أو مناظر لم يرها من قبل، لأنني ركبت عدة مرات من هذا المطار.

وعندما نادوا على الركاب كان جمعهم كبيراً استغرق تفتيشهم وإركابهم وقتاً طويلاً وذلك لكون أكثرهم من العمال الذين يعملون في المملكة أو من أناس في مستواهم.

وأقلعت الطائرة السعودية في الثامنة إلا ربعاً مساءً وهي مليئة بالركاب وأعلنوا أن الطيران إلى الظهران الذي ستنزل فيه قبل الرياض سيستغرق ثلاث ساعات.

تــم الكتاب

الفهرس